شرح
دعاء كميل

تأليف

المولى عبد الأعلى السبزواري

كلمة قيمة حول الدعاء بقلم الشهيد مرتضى المطهري (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

روحانية الدعاء

بغض النظر عن اجر الدعاء وثوابه، أو الاستجابة التي ينشدها فإن الدٰعاء إذا تجاوز اللسان والألفاظ، وتناغم القلب مع اللسان، واهتزت روح الانسان مع هذا الدعاء، فسوف يشعر الانسان بروحانية مقدسة هائلة، كما لو رأى نفسه غريقاً في أمواج النور، يحس في تلك اللحاظات بقداسة الطبيعة الانسانية، ويدرك جيداً كيف كان منحطاً، غبياً، في اللحاظات الاخرى التي يشغل نفسه فيها بالأشياء، والهموم الصغيرة، والتافهة، حيث يقلق من أجلها ويتألم، ان الانسان يحس بالذل حين يطلب شيئاً من غير الله، ولكن حين يطلبه من الله فسيشعر بالعزة لذلك كان الدعاء طلباً ومطلوباً، وسيلة وغاية، مقدمة ونتيجة، وأولياء الله لا يتلذذون بشيء كالدعاء، فإنهم يكشفون لدى محبوبهم الحقيقي كل طموحات وآمال قلوبهم، ويهمهم الدعاء نفسه، والطلب والاحتياج، أكثر مما تهمهم مطالبهم، وتحقيق آمالهم، لا يشعرون بالملل والتعب أبداً في تلك اللحاظت كما يشير لذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خاطبه لكميل النخعي:

«هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، استلانوا ما استوعره المترفون، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا

Books.Rafed.net

بـأبدان أرواحهـا معلقـة بـالمحل الأعلـى» علـى العكس من القلوب الموحلة المنغلقة، والمظلمة التي تباعدت عن ذلك المحل الأعلى.

طريق من القلب لله

فـي قلب كل أحد طريق لله، وباب توصله إليه، حتّى أكثر البشر شقاء وانحطاطاً وعصياناً، فإنـه فـي سـاعات المحـن والشدائد حين تضيق بوجهه الدنـيا، وتغلـق جمـيع الابـواب، وتسـد كـل الـدروب، يهـتز كـل وجوده ثُمّ يلتجـئ إلـى الله، وهـذه الحالة من الميول الفطرية الطبيعية المودعة في كيان الانسـان، ولكـن تسـترها احـياناً حجـب المعاصي وركام الذنوب، ولكن في المحـن والازمـات تتكشـف هـذه الحجـب والسـتائر، قلـيلاً، ويـتحرك ذلك الميل الفطري ويتدفق.

سـئل الصـادق (علـيه السـلام) عـن الله تعالى، فقال للسائل: «يا عبد الله هـل ركبـت سـفينة قـط؟ قـال: بلـى، قـال: فهـل كسـرت بك حيث لا سفينة تنجـيك ولا سـباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلق قلبك هناك ان شيئاً من الاشـياء قـادر ان يخلصـك مـن ورطتك؟ قال: بلى، قال (عليه السلام): فذلك الشـيء هـو الله القـادر علـى الانجـاء حيـث لامـنجٍ وعلـى الاغاثـة حيـث لا مغيث».

أجل لقد عرّفه الامام (عليه السلام) على الله تعالى بواسطة قلبه ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصورن**﴾ هذا الميل والدافع الكامن في فطرة الانسان والذي يدفعـه، حيـن تغلـق بوجهه أبواب الدنيا إلى تلك القدرة الغالية القاهرة، التي

Books.Rafed.net

هي فوق الاسباب والقوى الظاهرية، دليل على وجود هذه القدرة، واذا لم يكن لهذه القدرة وجود، لم يكن لهذا المنيل الفطري وجود أيضاً.

وبالطبع هناك فرق بين وجود هذا الميل في الانسان، وبين تعرف الانسان على ذلك الميل، واهدافه بصورة كاملة. فالميل والرغبة لشرب الحليب، موجود في الطفل منذ ولادته، وحين يجوع، ويلح عليه هذا الاحتياج، يتحرك هذا الميل ويهيج، ويوجه الطفل إلى البحث عن الثدي الذي لم يشاهده ولم يعرفه، ولم يأنس به، وذلك الميل هو الذي يهديه، ويدفعه، ليفتح فمه، ويفحص واذا لم يعثر على ضالته، فإنه يبكي، والبكاء بنفسه يعني طلب المعونة من الأم، تلك الأم لم يعرفها بعد، ولكن الطفل هل يعرف هدف الميل هذا، وهدف البكاء، ولماذا وجد هذا الميل والدافع فيه، لايعلم بأنه يملك الجهاز الهضمي، وبأن هذا الجهاز يطالب بمالمواد الغذائية. هو لا يريد لماذا يريد ويطالب؟ ولا يعلم بأن فلسفة البكاء اخبار الام بحالته، تلك الام التي لم يكن قد عرفها بعد، والتي سيتعرف عليها بالتدريج، ومن جملة ميولنا ونزعاتنا الانسانية السامية، الرغبة في معرفة الله الميل للدعاء، والالتجاء لله، الذي لم نشاهده تماماً، كذلك الطفل، الذي خرج جديداً للحياة بالنسبة للثدي الذي لم يشاهده ولم يعرفه، والأم التي لم يشاهدها ولم يعرفها.

وبطبيعة الحال، لو لم يوجد الثدي والحليب الملائم لذلك الطفل. فأن الغريزة لا توجه الطفل باتجاه ذلك، فهناك علاقة وثيقة بين ذلك الميل وبين الغذاء وكذلك الامر في سائر الميول البشرية، فلم يودع أي ميل عبثاً في

Books.Rafed.net

وجـود الانسان، بل ان كل الرغبات والميول خلقت، وفق الحاجات، ولأجل اشباع الحاجات.

الانقطاع الاضطراري والانقطاع الاختياري

يمكن للانسان ان يدعو الله في حالتين:

الأولى: حين تنقطع كل الاسباب، وتغلق كل دروب الخلاص بوجهه ويصبح مضطراً للالتجاء لله.

الثانـية: حيـن تـتعالى وتسـمو روحه، فسوف ينتزع نفسه، ويقطعها عن كل الاسباب والوسائل وبإراته، لا أنه مضطر لذلك كالحالة الأولى.

وفـي الحالـة الاولـى، حالـة الاضطرار وانقطاع الاسباب بنفسها، يندفع الانسان لله، مقهوراً ولا يحتاج لدعوة خاصة، ومن الواضح ان هذه الحالة، لا تعـد كمـالاً للنفس الانسانية، ولكن الحالة الثانية كمال للنفس، حيث يسموا الانسان بإختياره، ويقطعها بإرادته عن كل الاسباب.

شـروط الدعاء

١- الشــرط الأول: ان تتملك وجود الانسان الرغبة والطلب الجدي، حيـث تصبح كل شرائح وجوده وخلاياه معبرة عن طلبه، ويتحول ما يريده، ويرغـب فـيه، إلى حاجة حقيقية، كما لو تعرض موضع من البدن، للإحتياج فإن جمـيع اعضـاء البدن وجوارحـه سـوف تـبدأ بالعمل، وربما تزيد بعض الاعضاء من فعاليتها من أجل ان تشبع حاجة ذلك الموضع، فلو شعر الانسان بـالعطش، فإن ملامح عطشه ستبدو عليه واضحة، وتهتف اعظاؤه كلها طالبة

Books.Rafed.net

البناء: الفم، والكبد والمعدة والشفة واللسان، وحتّى لو نام في تلك اللحظات فسوف يلوح الماء له في نومه، لأن البدن يحتاج ويطالب بالماء جدياً، وهذا تماماً كالإحتياج الورحي والمعنوي في الانسان، الذي هو جزء من عالم الخليقة والتكوين، الذي يشمل العالم كله، ان الورح الانسانية جزء من عالم الوجود، فلو افتقرت لشيء ما، بصورة جدية وحقيقية فان جهاز الكون الكبير لا يهملها ولا يدعها لشأنها.

وهناك فرق كبير بين تلاوة الدعاء الحقيقي، فإذا لم يواكب قلبه لسانه، ولم ينسجم معه، فلا يعد ما يدعو به، دعاء حقيقياً وجدياً، فلابد ان ينبثق الطلب والاحتياج، ويتدفق من اعماق الإنسان، بصورة جدية وحقيقية، لابد ان يبدوا الاحتياج الحقيقي في كيان الانسان كله...

(ان كل ما يظهر في الوجود، يبحث هنا وهناك حول من يحتاجه، حتّى يعثر على الطالب له.

ان من يبحث عن شيء، سيعثرعليه في النهاية، وما يبذله الانسان ويتحمله في هذا السبيل، وان كان مجهداً ومضنياً، ولكنه رحمة في الواقع.

ان الجواب يتجه للمشكلات، والماء يتجه للموضع المنخفض.

لا تبحث عن الماء ، بل دع نفسك تظمأ، فحينئذ سيصل إليك الماء من كل جانب).

﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾

٢- الثقة بالاستجابة

وتعني الإيمان واليقين، الايمان بالرحمة اللامتناهية لذات الباري،

Books.Rafed.net

الايمان بأنه تعالى لا يمنع من فيضه ابداً ولا يبخل به على أحد، الايمان بأن باب الرحمة الالهية لا تغلق على عبد أبداً، وان النقص والقصور ـ إذا كان ـ فهو من جانب العبد نفسه، وفي الحديث: «إذا دعودت فظن حاجتك بالباب» والامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في الدعاء المعروف بأبي حمزة الثمالي، يخاطب الله تعالى:

«اللهم إني أجد سبل المطالب اليك مشرعة، ومناهل الرجاء لديك مترعة، والاستعانية بفضلك لمن امّلك مباحة، وابواب الدعاء اليك للصارخين مفتوحة، وأعلم انك للراجين بموضع اجابة، وللملهوفين بمرصد اغاثة وان في اللهف إلى جودك والرضا بقضائك عوضا عن منع الباخلين،و مندوحة عما في أيدي المستأثرين، وان الراحل اليك قريب المسافة وانك لا تحتجب عن خلقك إلا ان تحجبهم الآمال دونك.

يقول حافظ: الشاعر الفارسي:

(انما يمكنك النظر لسر الدنيا، حين يمكنك ان تصنع من تراب الحانة كحلاً لبصرك.

انما يكشف مرادك النقاب عن وجهه الوردي، حين يمكنك ان تخدمه كنسيم السحر.

ان الاستجداء على أبواب ؟؟؟ حفنة من الاكسير إذا مارسته، سيمكنك ان تصنع من التراب ذهباً.

تقدم وامض إلى الأمام، في طريق العشق والحب، بكل عزيمة وثبات، فإنك ستجني الكثير من الفوائد، لو أمكنك هذا السفر.

Books.Rafed.net

أنـت... الـذي لا تخـرج نفسـك عـن مـدار الطبيعة، فكيف يمكنك ان تطوي مراحل الطريقة وتجتازها.

لـيس لجمـال الحبيـب نقـاب، ولكـن حـاول إزالـة الغـبار عن الطريق ليمكنك النظر.

تعـال... فـلا سـبيل لـك للذوق والحضور، ونظم الامور إلا إذا امكنك الاستفادة من فيوضات أهل النظر.

ولكـن... انـت الـذي تحلـم بشفاه الحبيـب، وكـأس الخمـر، لا تطمع بعمل آخر، فإنه لا يمكنك ذلك ما دمت تحلم بهما.

أيهـا القلـب، لـو تعرفـت على نور الهداية، فستكون كالشمع، يضحك ولكنه يضحى برأسه).

٣- أن لا يخالف السنن التكوينية والتشريعية

ويشـترط فـي الدعـاء ان لا يكـون مخالفـاً لـنظام التكويـن والتشـريع، فالدعـاء اسـتمداد واستعانة ليتوصـل مـن خلالـه الداعـي إلى الاهداف التي قـررها لــه التكويـن والوجـود، أو التشـريع والقوانيـن السـماوية الالهـية، المنسـجمة فـي طبيعـتها مع التكويـن، فإذا كان الدعاء بهذه الصورة فسوف يتخذ لنفسه طابع الحاجة الطبيعية وسوف يندفع الوجود لتقديم المعونة لـه، وايصـال الفـيض والمـدد لحاجاتـه ومتطلباته بحكـم المحافظة على التوازن والتعادل الـذي يتسـم به نظام الوجود، واما لو كان الطلب والاحتياج مخالفاً لاهـداف التكويـن والتشـريع، امـثال المطالـبة بـالخلود فـي الدنـيا، أو بقطـع الـرحم، فإن مثل هذا الدعاء لا يقبل الاستجابة، أي ان هذه الادعية لا تكون

Books.Rafed.net

تطبيقات حقيقية للدعاء.

٤- مجانسة شؤون الداعي كلها مع الدعاء

ويشترط أيضاً ان تكون شؤون الداعي كلها، وشتى مجالات حياة وأبعادها متناغمة مع الدعاء ومواكبة له، فلابد ان تكون جميعاً متطابقة بدورها أيضاً مع أهداف التكوين والتشريع فالقلب لابد ان يكون نظيفاً وطاهراً ولم يسلك لمعيشته طرق الجرام، ولا يحمل على عاتقة وزراً ومظلمة لأحد، وفي حديث عن الامام الصادق (عليه السلام):

«إذا أراد أحدكم ان يستجاب له فليطلب كسبه وليخرج من مظالم الناس وان الله لا يرفع إليه دعاء عبد وفي بطنه حرام أو عنده مظلمة لأحد من خلقه».

٥- ان لا يكون مطلوبه من آثار الذنوب

الشرط الخامس: ان لا تكن حالته الراهنة التي يحلم بتغييرها إلى حياة أفضل بالدعاء قد حصلت نتيجة عصيانه وتهاونه في ممارسة وظائفه وتكاليفه فيجب ان لا تكون الحالة التي عليها الداعي، والتي يدعوا من أجل تغيرها، عقوبة في حقه، ونتيجة منطقية لما اقترفه من ذنوب، واستهانة بوظائفه، فإن حالته حينئذ لا تتغير بالدعاء وحده، بل لابد ان يتوب، ويستغفر، ويزيل كل أسباب الحالة الراهنة وعواملها.

فمثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الشرعية وصلاح المجتمع، أو فساده متوقف تماماً على تطبيق هذين الاصلين

Books.Rafed.net

وعدمه، والنتيجة المنطقية لعدم تطبيقهما هو توفير المناخ المساعد، لسيطرة الاشرار على مقدارت المجتمع، والعبث بما شاؤوا به، واذا فرط المجتمع في ممارسة هذه المهمة المقدسة فسوف يتعرض للعقوبة وللنتيجة المنطقية الناجمة من تقصير هذا المجتمع وتفريطه بالوظائف الملقاة على عاتقه وطريق الخلاص من الواقع التعيس الذي يعيشونه يتحدد بالتوبة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمدى ما يملكونه من امكانات وقدرات وبذلك فحسب، سيتوصلون إلى الآمال التي يحلمون بها ﴿**انّ الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ وهذه من السنن الالهية، وفي رواية معتبرة: «لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم ثُمّ تدعون فلا يستجاب لكم» وفي الواقع ان مثل هذه الادعية على خلاف السنن التكوينية والتشريعية.

وهكذا الامر بالنسبة لمن يستسلم للبطالة والكسل، فلا يعمل شيئاً، بل كل ما يفعله هو الدعاء، فإن هذه الحالة مخالفة للسنن التكوينية والتشريعية.

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر» فلابد أن يضم العمل للدعاء، لانّ كل واحد منهما يكمل الآخر.

٦- يلزم ان لا يحل الدعاء محل العمل

الشرط السادس للدعاء: ان يكون الانسان محتاجاً واقعاً ويتحقق ذلك في المجال الذي لا يمتلك فيه الانسان أي وسيلة وسبيل للوصول لمطلوبه، حيث يكون عاجزاً عن التوصل إليه، واما لو وضع الله تعالى في يده مفتاح

Books.Rafed.net

حاجته ولكنه كفر بتلك النعمة الالهية وتجنب استخدام هذا المفتاح ثُم يطلب من الله ان يفتح له تلك الباب التي يمتلك مفتاحها، حتّى لا يتحمل عناء استخدام المفتاح، فمثل هذا الدعاء لا يقبل الاستجابة.

ومثل هذه الادعية يلزم عدها من الادعية المخالفة للسنن التكوينية. ان الانسان يستهدف من الدعاء تحصيل القدرة، والدعاء في مثل هذه الحال التي تتوافر فيها القدرة لدى الانسان من قبيل تحصيل الحاصل، وقد اشير لهذ الفكرة في بعض الروايات التي وردت عن أئمة الدين (عليهم السلام).

فقد روى جعفر بن ابراهيم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: أربعة لا يستجاب لهم دعوة:

رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألمْ آمرك في الطلب؟ ورجل كانت له امرأة فاجرة فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها اليك؟ ورجل كان له مال فأفسده، فيقول: اللهم ارزقني، فياقل له: ألم آمرك بالاصلاح [بالاقتصاد] ثُمّ قال والذين إذا انفقوا لم يسرفوا، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. ورجل كان له مال فأدانه رجلاً ولم يشهد عليه فجحده، فيقال له: ألم آمرك بالاشهاد»[1].

ومن الواضح ان عدم الاستجابة لا تختص بهذه الأربعة فانها قد ذكرت من باب المثال، فاذا تمكن الانسان من التوصل لاهدافه بواسطة العمل والتدبير ولكنه قصر في ذلك، ويرغب في ان يحل الدعاء محل

---

(١) عدة الداعي: ص١٢٦.

Books.Rafed.net

عمله، فأن ذلك لا يتحقق أبداً، ان الدعاء لم يشرع حتّى يتخذ موقع العمل، بل الدعاء مكمل للعمل، ولا يحل محله.

تساؤلات حول الدعاء

قد طرحت حول الدعاء تساؤلات عديدة قديماً وحديثاً امثال ان الدعاء لا يتلاءم والاعتقاد بالقضاء والقدر، فمع الاعتراف بأن كل شيء محدد وفق القضاء والقدر الالهي فما هو أثر الدعاء حينئذ؟ وهل يمكن له تغيير القضاء والقدر.

وقد يسأل بأن الدعاء لا يتلاءم والاعتقاد بأن الله حكيم، وانه لا تجري الامور إلا وفق المصالح، فهل نستهدف بالدعاء ان يغير ما يوافق الحكمة والمصلحة، أو ما يخالفها؟ فإذا كنا نستهدف تغيير الموافق للحكمة فكما يلزم علينا ان لا نطلب من الله ما يخالف الحكمة، وكذلك فان الله لا ستجيب لمثل هذا الدعاء واما إذا استهدفنا تغيير المخالف لها فذلك يستوجب الاعتراف ضمنياً بوجود ما يخالف الحكمة والمصلحة في هذا العالم، الذي يجري وفق المشيئة الالهية الحكيمة.

وكذلك قد يسأل بأن الدعاء يخالف الرضا والتسليم، وانه يلزم على الانسان ان يرضى بكل ما يحدث.

ولهذه الأسئلة وما يدور حولها من دراسات وبحوث تاريخ طويل، وحتّى انها تشكل جانباً من ادبنا ولسنا في صدد البحث عنها، وكل هذه الاعتراضات والشبهات ناتجة من هذه الفكرة وهي: ما يتوهم من ان الدعاء خارج عن نطاق القضاء والقدر الالهي وخارج عن حدود الحكمة الالهية

Books.Rafed.net

مع ان الدعاء واستجابة الدعاء من مسائل القضاء والقدر الالهي، ولاينافي الدعاء الرضا بالقضاء والحكمة الالهية، ولا مجال لنا للبحث اكثر حول هذا الموضوع.

ليالي القدر

لابد ان نحتذي في سلوكنا وحياتنا خطى قادة الدين، ولابد من التزود من هذه الفرصة الثمينة وهي ليالي القدر، والعشرة الاخيرة من شهر رمضان المبارك.

يقول القرآن الكريم: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾ وقد ذكرت هذا الآية الشريفة خلال آيات الصوم ولعل في ذلك دليلاً على تميز هذا الشهر المبارك بالدعاء والاستغفار، وكان أئمة الدين يهتمون كثيراً بليالي القدر، والاحياء فيها.

وكان الرسول (صلّى الله عليه وآله) لايمد فراشه في العشرة الاخيرة من شهر رمضان المبارك، وذلك لأنه كان يعتكف في المسجد، ويتفرغ للعبادة والدعاء مع خالقه، وكان الامام زين العابدين (عليه السلام) لا ينام أي ليلة من ليالي شهر رمضان، ويقضي الليل اما بالدعاء أو الصلاة أو بإعانة الفقراء والضعفاء، وفي السحر كان يتلو الدعاء الذي يعرف بدعاء أبي حمزة الثمالي.

Books.Rafed.net

لذة الدعاء والانقطاع

اولئك الذي عرفوا وذاقوا لذة الدعاء وحلاوة الانقطاع من الخلق للخالق، لا يرجحون أي لذة عليها، ان الدعاء في تلك اللحظات يسموا إلى ذروة عزته وعظمته ولذته، ويغرق فيها الداعي بسعادة عامرة حيث سيرى اللطف والمدد الالهي الخاص وآثار الاستجابة لدعائه في نفسه «وأنلني حسن النظر في ما شكوت وأذقني حلاوة الصنع في ما سألت».

ويقول العلماء هناك فرق بين علم القين وعين اليقين، حق اليقين، ويضربون لذلك مثالاً لنفرض انه كانت هناك نار في موضع ما، فتارة ترى آثار النار من بعيد كالدخان الذي يتصاعد منها، وبواسطته تكتشف وجود النار هناك، وهذا يعبر عنه (بعلم اليقين) واخرى تقع عينك على النار نفسها عن كثب وهنا يعبر عنه (بعين اليقين) والمشاهد أسمى من المعلوم، وثالثة ان تقترب إلى النار أكثر إلى الحد التي تصل فيه حرارتها إلى بدنك وتحتويك النار، وهذا ما يسمى (حق اليقين).

فيمكن للانسان ان يعرف الله تماماً ويؤمن بوجوده المقدس، ولكن لا يرى في حياته آثار لطفه، وعناياته الخاصة التي تفاض احياناً لبعض عباده وهذه مرحلة (علم اليقين) وأحياناً يشاهد آثار التوحيد عملياً يدعو الله، ويستجاب دعائه، ويرى كل ذلك، ويعتمد على الله، ويتوكل عليه في كل اعماله، ولا يعتمد على غيره، ويرى آثار التوكل في حياته، فيشاهد آثار التوحيد وهذه مرحلة (عين اليقين) وتشعر هذه الفئة باللذة والسعادة لإنها من أهل القلوب، وأهل التوكل وتبتهج من هذه الحالة، ولكن هناك مرحلة

Books.Rafed.net

اسمى، ان يرى الداعي نفسه، قد ارتبط بذات الله بصورة مباشرة، بل لا يرى (الانا) ولا يبصر نفسه فالفعل فعله، والصفة صفته، ويراه في كل شيء.

حين يتعلم الانسان حرفة أو علماً ما، ويصبح طبيباً أو مهندساً مثلاً، وبعد سنين طويلة، من المتاعب، والمشاق والجهود المضنية حين يشاهد لأول مرة آثار صنعته أو عمله كما لو عالج مريضاً ويرى نصب عينيه ان المريض يبرأ من مرضه بسبب علاجه، يغرق هذا الشخص بالسعادة ويتملكه الفرح ويشعر بلذة غامرة فمن أفضل اللذات، ان يرى الانسان بعينيه نتائج علمه، وصنعته.

فما هي حالة الانسان، وما هو شعوره، حين يشاهد آثار ايمانه، أي يلمس المدد الالهي الخاص به، فإنه سيشعر بالعزة نتيجة نجاحه في طريق التوحيد، ويشعر ببهجة فائقة تغمر اعماقه، اعذب وأسمى من اللذات جميعها، ندعوه تعالى ان يجعلنا مؤهلين لمثل هذه الألطاف الخاصة.

Books.Rafed.net

شرح دعاء كميل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد العلي الذي أشرق ببهجات وجهه نجوم سموات
الأرواح وتلألأ بلمعات ظلال إشراقاته نجوم أراضي
الأشباح الأحد الصمد الذي لما عنت من كمالاته لقد
ندب إليه المشتاقون في الغدو والرواح بل استصرخ لذلك
المذنبون والمشتاقون في كل مساء وصباح المدعو المرجو
الذي كل من دعاه صادقاً كئيباً محروراً الكبد فقد أكشف عنه
السوء وأعطاه سؤله حتى اطمأن من الاضطراب واستراح
والصلاة على مثل نوره الذي هو مشكوة فيها مصباح
الذي اقتبس كل مستنير من أنواره السنية سراجاً لنادي
قلبه حتى تميز به الخبيث من الطيب والمحظور من المباح وعلى
آله المقتدين الذين هم هداة الخلائق إلى سبيل الفلاح

والختام

الصفحة الأولى من النسخة الحجرية

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

بما تشاء أي أنت تفعل ما تشاء وما تريد بمحض الإرادة والمشيئة
لا حالة منتظرة لجنابه تعالى كما قال إنما أمره إذا أراد شيئاً أن
يقول له كن فيكون يا من اسمه دواء لكل داء وبلاء وذكره
شفاء لكل ألم وسقم ومرض مزمن تعجز عنه الأطباء والآساة
عن معالجته وطاعته غناء عن الخلق الغناء بالفتح والمد
الكفاية وفي الحديث من يستغن بالله وعطائه يغنه الله أي
يخلق في قلبه غنى ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه
البكاء السلاح بالكسر هو ما يقاتل به في الحرب ويدافع
الخصم أسلحة يا سابغ النعم أي كاملها وتامها وواسعها
يا دافع النقم ومزيلها يا نور المستوحشين في الظلم
الظلم جمع الظلمة وهي الغسق المستوحش القاعد في الخلوات من
الوحشة وهي الخلوة وإن عمم لفظ المستوحش فيشمل الأجنة
التي في غواسق الأرحام والواقعين في ظلمات الأوهام من الشك
في الأسفار في الليالي المظلمة والطرق المدلهمة وهو مؤنسهم
ونور جنبهم يا عالماً لا يعلّم من التعليم أي غير متعلم من أحد
صلّ على محمد وآل محمد وافعل بي ما أنت أهله
وأنت أهل التقوى والمغفرة

مطبعة كتبه العبد محمد علي علي

١٣٤٣

الصفحة الأخيرة من النسخة الحجرية

Books.Rafed.net

شرح دعاء كميل

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

شرح دعاء كميل

تأليف

المولى عبد الأعلى السبزواري

Books.Rafed.net

▣ هوية الكتاب ▣

الكتاب : شرح دعاء كميل
المؤلِّف: المَولىٰ السيد عبد الأعلىٰ السبزواري
الناشر: مؤسسة عاشوراء – ايران / قم المشرّفة
الصفحات : ٢٢٤ صفحه / وزيرى
الطبعة: الأُولىٰ (١٤٢٧ هـ ق ـ ٢٠٠٦م)
العدد: ١٥٠٠ نسخة
المطبعة : كوثر
شابك : ٠ ـ ٧٤ ـ ٧٢٦٣ ـ ٩٦٤

Books.Rafed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

رواية كميل بن زياد

روىٰ السيد في الإقبال[1]: أنّ كميل بن زياد قال: كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين صلوات الله عليه في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه، فقال بعضهم ما معنىٰ قول الله عزَّوجلَّ: ﴿فيها يفرق كلّ أمر حكيم﴾، قال عليه السلام: هي ليلة النّصف من شعبان، والذي نفس علي بيده إنّه ما من عبد إلّا وجميع ما يجري عليه من خير وشرّ مقسوم له في ليلة النّصف من شعبان إلىٰ آخر السّنة، في مثل تلك الليلة المقبلة وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلّا أجيب له، فلمّا انصرف طرقته ليلاً فقال عليه السلام: ما جاء بك يا كميل؟ قلت: يا أمير المؤمنين دعاء الخضر عليه السلام، فقال: اجلس يا كميل، إذا حفظت هذا الدعاء فادع به كلّ ليلة جمعة أو في الشهر مرّة أو في السنة مرّة أو في عمرك مرّة، تكف وتنصر وترزق ولن تعدم المغفرة، يا كميل أوجب لك طول الصّحبة لنا أن نجود لك بما سألت ثم قال: اكتب:

---

(١) إقبال الأعمال ٢: ٣٢١ـ٣٣٨.

Books.Rafed.net

دعاء كميل

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ ٱلَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ ٱلَّتِي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِعِزَّتِكَ ٱلَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، وَبِعَظَمَتِكَ ٱلَّتِي مَلأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِسُلْطَانِكَ ٱلَّذِي عَلا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِوَجْهِكَ ٱلْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِأَسْمَآئِكَ ٱلَّتِي مَلأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِعِلْمِكَ ٱلَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِي أَضَآءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ يَا أَوَّلَ ٱلأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ ٱلآخِرِينَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ، ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تَهْتِكُ ٱلْعِصَمَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تُنْزِلُ ٱلنِّقَمَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تُغَيِّرُ ٱلنِّعَمَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تَحْبِسُ ٱلدُّعَآءَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تُنْزِلُ ٱلْبَلاءَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تَقْطَعُ ٱلرَّجَآءَ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا، ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ، وَأَنْ تُوْزِعَنِي شُكْرَكَ، وأَنْ تُلْهِمَنِيْ ذِكْرَكَ، اللّهُمّ إِنِّـي أَسْأَلُكَ سُـؤَالَ خَـاضِعٍ مُـتَذَلِّلٍ خَـاشِعٍ أَنْ تُسَـامِحَنِي وَتَرْحَمَنِي وَتَجْعَلَنِي بِقِسَمِكَ رَاضِياً قَانِعاً، وَفِي جَمِيْعِ ٱلأَحْوَالِ مُتَوَاضِـعاً، ٱللَّـهُمَّ

Books.Rafed.net

وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنِ ٱشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ حَاجَتَهُ، وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ، ٱللَّهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ وَعَلَا مَكَانُكَ وَخَفِيَ مَكْرُكَ وَظَهَرَ أَمْرُكَ وَغَلَبَ قَهْرُكَ وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ وَلَا يُمْكِنُ ٱلْفَرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ.

ٱللَّهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِراً وَلَا لِقَبَآئِحِي سَاتِراً وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِيَ ٱلْقَبِيْحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي، وَسَكَنْتُ إِلَىٰ قَدِيْمِ ذِكْرِكَ لِي وَمَنِّكَ عَلَيَّ.

ٱللَّهُمَّ مَوْلَايَ كَمْ مِنْ قَبِيْحٍ سَتَرْتَهُ، وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ ٱلْبَلَآءِ أَقَلْتَهُ، وَكَم مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ وَكَمْ مِنْ ثَنَآءٍ جَمِيْلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ.

ٱللَّهُمَّ عَظُمَ بَلَآئِي وَأَفْرَطَ بِي سُوْءُ حَالِي وَقَصُرَتْ بِي أَعْمَالِي، وَقَعَدَتْ بِي أَغْلَالِي وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بَعْدُ آمَالِي، وَخَدَعَتْنِي ٱلدُّنْيَا بِغُرُورِهَا وَنَفْسِي بِخِيَانَتِهَا وَمِطَالِي يَا سَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَآئِي سُوْءُ عَمَلِي وَفِعَالِي، وَلَا تَفْضَحْنِي بِخَفِيِّ مَا ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي، وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَا عَمِلْتُهُ فِي خَلَوَاتِي مِنْ سُوْءِ فِعْلِي وَإِسَاءَتِي وَدَوَامِ تَفْرِيطِي وَجَهَالَتِي، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتِي وَغَفْلَتِي. وَكُنِ ٱللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي كُلِّ ٱلْأَحْوَالِ رؤُوفاً وَعَلَيَّ فِي جَمِيْعِ ٱلْأُمُورِ عَطُوفاً.

إِلَهِي وَرَبِّي مَنْ لِي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضُرِّي وَٱلنَّظَرَ فِي أَمْرِي؟

إِلَهِي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْماً ٱتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَىٰ نَفْسِي وَلَمْ أَحْتَرِسْ فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَىٰ وَأَسْعَدَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٱلْقَضَآءُ، فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَىٰ عَلَيَّ مِنْ ذٰلِكَ بَعْضَ حُدُودِكَ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ، فَلَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَيَّ فِي جَمِيْعِ ذٰلِكَ وَلَا حُجَّةَ لِي فِيْمَا جَرَىٰ عَلَيَّ فِيهِ قَضَآؤُكَ، وَأَلْزَمَنِي فِيْهِ حُكْمُكَ وَبَلَآؤُكَ، وَقَدْ

Books.Rafed.net

أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيْرِي وَإِسْرَافِي عَلَىٰ نَفْسِي مُعْتَذِراً نَادِماً مُـنْكَسِراً مُسْـتَقِيلاً مُسْتَغْفِراً مُنِيْباً مُقِّراً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً، لَا أَجِدُ مَفَرّاً مِمَّا كَانَ مِنِّي وَلَا مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي وَإِدْخَالِكَ إِيَّايَ فِي سَعَةٍ مِنْ رَحْمَتِكَ.

إِلَهِي فَاقْبَلْ عُذْرِي وَٱرْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي وَفُكَّنِّي مِنْ شَدِّ وَثَاقِي، يَا رَبِّ ٱرْحَـمْ ضَعْفَ بَدَنِي وَرِقَّةَ جِلْدِي وَدِقَّةَ عَظْمِي، يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي وَذِكْرِي، وَتَرْبِيَتِي وَبِرِّي وَتَغْذِيَتِي، هَبْنِي لِابْتِدَآءِ كَرَمِكَ وَسَالِفِ بِرِّكَ بِي. يَا إِلَهِي وَسَـيِّدِي وَرَبِّـي أَتُـرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيْدِكَ، وَبَعْدَمَا ٱنْطَوَىٰ عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ وَلَهِجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ، وَٱعْتَقَدَهُ ضَمِيْرِي مِنْ حُبِّكَ وَبَعْدَ صِدْقِ ٱعْتِرَافِـي وَدُعَآئِـي خَـاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ هَيْهَاتَ أَنْت أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ أَوْ تُبَعِّدَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ، أَوْ تُسَلِّمَ إِلَىٰ الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ.

وَلَيْتَ شِعْرِي يَا سَيِّدِي وإِلَهِي وَمَوْلَايَ أَتُسَلِّطُ ٱلنَّارَ عَلَىٰ وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ سَاجِدَةً، وَعَلَىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحِيْدِكَ صَادِقَةً وَبِشُكْرِكَ مَـادِحَةً، وَعَـلَىٰ قُـلُوبٍ ٱعْتَرَفَتْ بِإِلَهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلَىٰ ضَمَآئِرَ حَوَتْ مِنَ ٱلْعِلْمِ بِكَ حَتَّىٰ صَارَتْ خَاشِعَةً، وَعَلَىٰ جَوَارِحَ سَعَتْ إِلَىٰ أَوْطَانِ تَعَبُّدِكَ طَآئِعَةً، وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفَارِكَ مُـذْعِنَةً، مَـا هَكَذَا ٱلظَّنُّ بِكَ وَلَا أُخْبِرْنَا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيْمُ يَا رَبِّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيْلٍ مِنْ بَلَآءِ ٱلدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا وَمَا يَجْرِي فِيْهَا مِنَ ٱلْمَكَارِهِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، عَلَىٰ أَنَّ ذٰلِكَ بَلَآءٌ وَمكْرُوهٌ قَلِيْلٌ مَكْثُهُ يَسِيْرٌ بَقَاؤُهُ، قَصِيْرٌ مُدَّتُهُ فَكَيْفَ ٱحْتِمَالِي لِبَلَآءِ ٱلآخِرَةِ وَحُلُولِ وُقُوعِ ٱلْمَكَارِهِ فِيْهَا، وَهُوَ بَلَآءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُوْمُ مَقَامُهُ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ لأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَٱنْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ، وَهـذَا مَـا لَا تَـقُومُ لَـهُ ٱلسَّـمٰاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ، يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ بِي وَأَنَا عَبْدُكَ ٱلضَّـعِيْفُ ٱلذَّلِـيلُ ٱلْـحَقِيْرُ ٱلْـمِسْكِيْنُ

Books.Rafed.net

ٱلْمُسْتَكِيْنُ.

يَا إِلَهِي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ لَأَيِّ ٱلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْهَا أَضِجُّ وَأَبْكِي لأَلِيْمِ ٱلْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ أَوْ لِطُولِ ٱلْبَلآءِ وَمُدَّتِهِ، فَلَئِنْ صَيَّرْتَنِي فِي ٱلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَآئِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلآئِكَ وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّآئِكَ وَأَوْلِيَآئِكَ.

فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي صَبَرْتُ عَلَىٰ عَذَابِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَىٰ فِرَاقِكَ، وَهَبْنِي يَا إِلَهِي صَبَرْتُ عَلَىٰ حَرِّ نَارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ ٱلنَّظَرِ إِلَىٰ كَرَامَتِكَ، أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي ٱلنَّارِ وَرَجَآئِي عَفْوُكَ.

فَبِعِزَّتِكَ يَا مَوْلَايَ أُقْسِمُ صَادِقاً لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً لأَضِجَنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيْجَ ٱلآمِلِينَ، وَلأَصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ ٱلْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَآءَ ٱلْفَاقِدِيْنَ، وَلأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَا غَايَةَ آمَالِ ٱلْعَارِفِينَ يَا غِيَاثَ ٱلْمُسْتَغِيْثِينَ، يَا حَبِيْبَ قُلُوبِ ٱلصَّادِقِينَ وَيَا إِلَهَ ٱلْعَالَمِيْن.

أَفَتُرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلَهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيْهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ سُجِنَ فِيْهَا بِمُخَالَفَتِهِ وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا بِجُرْمِهِ وَجَرِيْرَتِهِ، وَهُوَ يَضِجُّ إِلَيْكَ ضَجِيْجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ وَيُنَادِيْكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيْدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ، يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقَىٰ فِي ٱلْعَذَابِ وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ وَرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ ٱلنَّارُ وَهُوَ يَأْمُلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ، أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهَبُهَا وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرَىٰ مَكَانَهُ، أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيْرُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ، أَمْ كَيْفَ يَتَغَلْغَلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ، أَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبَانِيَتُهَا وَهُوَ يُنَادِيْكَ يَا رَبَّهُ، أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِتْقِهِ مِنْهَا فَتَتْرُكُهُ فِيْهَا، هَيْهَاتَ مَا ذٰلِكَ ٱلظَّنُّ بِكَ وَلَا ٱلْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ وَلَا مُشْبِهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ ٱلْمُوَحِّدِيْنَ مِنْ بِرِّكَ

Books.Rafed.net

وَإِحْسَانِكَ.

فَبِالْيَقِينِ أَقْطَعُ، لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيْبِ جَاحِدِيْكَ وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ مُعَانِدِيْكَ لَجَعَلْتَ ٱلنَّارَ كُلَّهَا بَرْداً وَسَلَاماً، وَمَا كَانَتْ لأَحَدٍ فِيْهَا مَقَرّاً وَلَا مُقَاماً، لٰكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَآؤُكَ أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلأَهَا مِنَ ٱلْكَافِرِينَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيْهَا ٱلْمُعَانِدِيْنَ، وَأَنْتَ جَلَّ ثَنَآؤُكَ قُلْتَ مُبْتَدِئاً وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُتَكَرِّماً: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَايَسْتَوُونَ﴾، إِلٰهِي وَسَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ ٱلَّتِي قَدَّرْتَهَا وَبِالْقَضِيَّةِ ٱلَّتِي حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرَيْتَهَا أَنْ تَهَبَ لِي فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ قَبِيْحٍ أَسْرَرْتُهُ وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ؛ كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ، وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا ٱلْكِرَامَ ٱلْكَاتِبِينَ ٱلَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي، وَكُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيْبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَآئِهِمْ وَٱلشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ، وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ، وَأَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ، أَوْ إِحْسَانٍ فَضَّلْتَهُ، أَوْ بِرٍّ نَشَرْتَهُ، أَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ، أَوْ خَطَأٍ تَسْتُرُهُ.

يا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رِقِّي يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي يَا عَلِيْماً بِضُرِّي وَمَسْكَنَتِي يَا خَبِيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي.

يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَآئِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي فِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْمَالِي وَأَوْرَادِي كُلُّهَا وِرْداً وَاجداً وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً.

يَا سَيِّدي يَا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلِي يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَوتُ أَحْوَالِي، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ قَوِّ

Books.Rafed.net

عَلَىٰ خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي وَٱشْدُدْ عَلَىٰ ٱلْعَزِيْمَةِ جَوَانِحِي وَهَبْ لِيَ ٱلْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ وَٱلدَّوَامَ فِي ٱلاِتِّصَالِ بِخِدْمَتِكَ حَتَّىٰ أَسْرَحَ إِلَيْكَ فِي مَيَادِيْنِ ٱلسَّابِقِينَ، وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فِي ٱلْمُبَادِرِينَ، وَأَشْتَاقَ إِلَىٰ قُرْبِكَ فِي ٱلْمُشْتَاقِيْنَ وَأَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ ٱلْمُخْلِصِينَ، وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ ٱلْمُوْقِنِينَ وَأَجْتَمِعَ فِي جِوَارِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

ٱللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوٓءٍ فَأَرِدْهُ وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ وَٱجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عِبَادِكَ نَصِيْباً عِنْدَكَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذٰلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ، وَجُدْ لِي بِجُودِكَ وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ وَٱحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ وَٱجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهِجاً وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً، وَمُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي وَٱغْفِرْ لِي زَلَّتِي فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَىٰ عِبَادِكَ بِعِبَادَتِكَ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعَآئِكَ وَضَمِنْتَ لَهُمُ ٱلْإِجَابَةَ فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهِي، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي، فَبِعِزَّتِكَ ٱسْتَجِبْ لِي دُعَآئِي، وَبَلِّغْنِي مُنَايَ وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَآئِي، وَاكْفِنِي، شَرَّ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ مِنْ أَعْدَآئِي، يَا سَرِيْعَ ٱلرِّضَا اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ٱلدُّعَآءَ، فَإِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تَشَآءُ يَا مَنِ ٱسْمُهُ دَوَآءٌ وَذِكْرُهُ شِفَآءٌ وَطَاعَتُهُ غِنًى، ارْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ ٱلرَّجَآءُ وَسِلَاحُهُ ٱلْبُكَآءُ.

يَا سَابِغَ ٱلنِّعَمِ يَا دَافِعَ ٱلنِّقَمِ يَا نُورَ ٱلْمُسْتَوْحِشِيْنَ فِي ٱلظُّلَمِ، يَا عَالِماً لَا يُعَلَّمُ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَٱفْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَصَلَّىٰ ٱللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْأَئِمَّةِ ٱلْمَيَامِيْنَ مِنْ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً.

Books.Rafed.net

الحمد لله الفرد العلي الذي أشرقت بسبحات وجهه نـجوم سـماوات الأرواح، وتلألأ بلمعات ظلال إشراقاته تخوم أراضي الأشباح، الأحد الصمد الذي لما عنده من الكمالات قد ندب إليه المفتاقون[1] فـي الغـدو والرواح، بـل اسـتصرخ لديـه المذنبون والمشتاقون في كلّ مساء وصباح، المدعوّ المرجوّ الذي كـلّ مـن دعـاه صادقاً كئيباً محرور الكبد فقد كشف عنه السوء وأعطاه سؤله حـتّىٰ اطـمأن مـن الاضطراب واستراح.

والصلاة علىٰ مثل نوره الذي هو مشكاة فيها مصباح، الذي اقتبس كلّ مستنير من أنواره السنيّة سراجاً لنادي قلبه، حتىٰ يميز به الخبيث من الطيب والمحظور من المباح، وعلىٰ آله القدّيسين الذين هم هداة الخلائق إلىٰ سـبيل الفـلاح والنـجاح، والمبرّؤون المنزّهون عن النقيصة والساكـنون فـي الضـراح، والكـلمات التـامّات والأسماء الحسنىٰ الذين هم ضنائن الله الفتّاح المرتاح.

وبعد، فيقول الفقير الحقير المحتاج إلىٰ رحمة ربّه البارئ، عبدالأعلىٰ بن محمد

---

(١) المفتاق: المحتاج.

Books.Rafed.net

القاضي السبزواري ـ غفر الله لهما ـ: لمّا رأيت الدعاء المنسوب إلىٰ كميل بن زياد ـ الذي علّمه الإمام الهمام القمقام، الوصي الحاكم بالنص الجلي أعني: مركز دائرة المطالب، سيد المشارق والمغارب، أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب عليه السلام ـ دعاءً أسانيده عالية، تراكيبه شامخة، اندرج في مضامينه مطالب رفيعة، وإشارات منيعة، جارياً علىٰ ألسنة أهل الذكر أكثر الأوقات، ولا سيّما ليالي الجمعات، وقد كنت دهراً طويلاً دعوت به في منتصف ليالي الجمعة، ناوياً في قراءته إنجاح بعض مآربي، مستعفياً لجرائمي، مستغفراً لمآثمي، إلىٰ أن سنح لي أن أشرحه شرحاً يمتاز عن العبارات إشاراتها، تسهيلاً للوصول إلىٰ معانيها الغامضة ومقاصدها القاصية. وحيث ما كان لي عمل صالح أستظهر به عند الله والرسول، فأرجو الله أن يكون هذا لي ممّا يتمسك به المذنبون، ويعتصم به الخاطئون، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وكنت في دولة عليّة، قد رقد الناس فيها في مهاد الأمن والأمان، وقعدوا عن الإجراء في البغي والاعتساف والطغيان، ومن غاية الفراغ والارتياح تشتهي الضُئين أن ترتع مع الفهود والذؤبان؛ من مهابة صاحبها السلطان ابن السلطان وخاقان ابن خاقان، ناصر الملّة والدولة والدين، قهرمان الماء والطين، ناصر الدين، شاه قاجار، خلّد الله ملكه وسلطانه، وأبّد عيشه، وأيد جيشه، ونصر أعوانه.

فها أنا خائض في المقصود، بعون الله الملك المعبود، فقال السائل:

Books.Rafed.net

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(اللهمّ)

أصله: «يا الله»، فحذفت كلمة «يا» وعُوّض عنها الميم المشدّدة، تفخيماً وتعظيماً له تعالىٰ.

قال الشيخ أبو عليﷺ: «الميم فيه عوض عن «يا»، ولذلك لا يجتمعان، وهذا من خصائص هذا الاسم، كما اختص «التاء» في القَسم»[1].

وقال الفراء: «أصل «اللهم» يا الله آمنّا بالخير، أي اقصدنا به، فخّفف بالحذف؛ لكثرة الدوران علىٰ الألسنة»[2].

والشيخ الرضي[3] ردّ هذا الكلام بأنّه يقال أيضاً: اللهم لا تؤمهم بالخير، و«الله» قيل[4]: هو غير مشتق من شيء، بل هو علم لزمته الألف واللام.

وقال سيبويه: «هو مشتق، وأصله: إلٰه، دخلت عليه الألف واللام فصار: الإلٰه، ثم نُقلت حركة الهمزة إلىٰ اللام، وسقطت فبقي (الله)، فأُسكنت اللام الأُولىٰ وأُدغمت، وفُخّم تعظيماً، لكنه ترقّق مع كسر ما قبله»[5].

ويؤيد كلام سيبويه ما ورد في بعض الأخبار، ومنه قولهﷺ: (ياهشام الله مشتق من إله، والإله يقتضي مألوهاً)[6]، (كان إلٰهاً إذ لا مألوه)[7].

وذكر صدرالمتألّهين السبزواريﷺ، في ابتداء شرح دعاء الصباح كلاماً

---

(١) «مجمع البيان» ج ٢، ص ٥٤٨.

(٢) انظر: «مجمع البيان» ج ٢، ص ٥٤٨، «لسان العرب»، ج ١، ص ١٩٠، مادة «أله».

(٣) «شرح الرضي علىٰ الكافية» ج ١، ص ٣٨٤.

(٤) القائل هو أبو الهيثم. انظر «لسان العرب» ج ١، ص ١٨٨، مادة «أله».

(٥) كتاب سيبويه: ج ٢، ص ١٩٥.

(٦) «الكافي» ج ١، ص ٨٧، ح ٢.

(٧) «الكافي» ج ١، ص ١٣٩، ح ٤ وفيه: (كان رباً إذ لا مربوب، وإلهاً إذ لا مألوه).

Books.Rafed.net

يدلُّ علىٰ عدم اشتقاقه من شيء، فإنّه قال: «أصل «الله»، كأن الهاء المستديرة؛ لمناسبة أنَّ الدائرة أفضل الأشكال وأصلها، وأنها لا نهاية لها؛ إذ الخط ينتهي بالنقطة وهي طرف الخط، ولا طرف للدائرة، وأنّ البدء والختم فيها واحد، وقد تكتب بالدائرتين إشارة إلىٰ الجمال والجلال، وقد تكتب بدائرة واحدة إشارة إلىٰ أنّ صفاته الحقيقية عين ذاته تعالىٰ. هذه هي المناسبة بحسب الرسم والكَتْب.

وأمّا المناسبة بحسب اللفظ والنطق، فلأنّها جارية علىٰ أنفاس الحيوانات كلّها، سواء كانت أهل الذكر والعلم بالعلم التركيبي أو بالعلم البسيط.

ثم أُعرب بالضمّة، إشارة إلىٰ ترفّع المسمّىٰ، ثم تارةً أُشبع، إشارةً إلىٰ أنّه تعالىٰ فوق التمام، وأنّه فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهىٰ عدّة ومدّة وشدّة، فصار بالإشباع (هو) ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1].

وتارة أُدخل عليه لام الاختصاص والتمليك، فصار: (له) فـ﴿لَهُ الخلقُ والأمرُ﴾[2]. ثم أُشبع فتح اللام، إشارة إلىٰ أنه من عنده الفتوح التامّ، فصار (لاه). ثمّ أُدخل عليه لام التعريف، إشارة إلىٰ أنه تعالىٰ معروف ذاته لذاته ولما سواه ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] فصار (الله)»[4] انتهىٰ كلامه.

ثمّ إنَّ العلماء أطبقوا علىٰ أنَّ هذا الاسم الشريف هو الاسم الأعظم، وفيه أسرار لا تعدّ ولا تحصىٰ؛ لأنّه ـ علىٰ الأصح ـ عَلَم للذات المقدّسة الجامعة لجميع الصفات العليا والأسماء الحسنىٰ.

وفي الحديث: سُئل عليه السلام عن معنىٰ (الله) فقال: (استولىٰ علىٰ ما دقّ وجلّ)[5].

وفيه أيضاً: (الله معنىً يُدلّ عليه بهذه الأسماء، وكلّها غيره)[6].

أراد عليه السلام أنّ سائر الأسماء معانيها مشمولة للذات الواجبة الجامعة لجميع صفات

---

(١) «الاخلاص» الآية: ١.
(٢) «الأعراف» الآية: ٥٤.
(٣) «إبراهيم» الآية: ١٠.
(٤) «شرح دعاء الصباح» ص ٤ ـ ٥، بتفاوت.
(٥) «الكافي» ج ١، ص ١١٥، ح ٣.
(٦) «الكافي» ج ١، ص ١١٤، ح ٢.

Books.Rafed.net

الكمالات، التي هي مسمّىٰ الاسم (الله) بخلاف تلك الأسماء، فإنّ كلاً منها يدلّ علىٰ الذات ولكن لا مطلقاً. بل ملحوظاً بتعيّن من التعيّنات النورية. وسيأتي توضيح ذلك عند قوله: (وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء)، إن شاء الله تعالىٰ.

(إنّي)

أثبت السائل لنفسه الإنيّة، إشعاراً بأنّه ممسوس في إنيّة الإنيّات، كما ورد: (إنّ عليّاً ممسوس في الله)[١] أو إشارة بأنه ممسوس بالوجود، والوجود إشراق الله تعالىٰ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢].

وهذا الامتساس من أعظم النعماء التي أنعمه الله بها، فحدّث بهذه النعمة العظمىٰ والمنّة القصوىٰ، امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣].

هذا، وإن كان إثبات الإنية للنفس من أعظم الخطايا عند أصحاب الحقيقة وأرباب العيان، كما قيل:

..... وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وقيل:

بيني وبينك إنّـي يـنازعني فارفع بلطفك إنّيَّ من البين[٤]

إلّا إنّه من باب: (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين)[٥].

وبالإضافة وتوضيح المقام: أنّه لمّا كان المقام مقام التضرّع والابتهال ـ كما قال تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٦] وقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٣٩، ص ٣١٣، ج ١٠٧، ص ٣١.
(٢) «النور» الآية: ٣٥.
(٣) «الضحىٰ» الآية: ١١.
(٤) «ديوان الحلاّج» ص ١٦٠.
(٥) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٠٥.
(٦) «الأعراف» الآية: ٥٥.

Books.Rafed.net

نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ﴾[1] ـ أشار السائل إلىٰ أنّه في أسئلته ودعواته ليس ممّن كتم ما أنعمه المنعم وتكدّىٰ في ازدياد النعمة ضنّة وولعاً وإمساكاً وهلعاً، بل اعترف في أوّل الأمر وابتداء الحال بأنّه من المستغرقين في آلائه تعالىٰ، ومن المستخلعين بخلعه الفاخرة، من الوجود والحياة والقدرة والعلم والعرفان، وغيرها من لواحق الوجود التي دارت معه حيثما دار، كما قيل:

نور أُو آز يمن ويسار وتحت وفوق بر سر وبرگردنم افكنده طوق

كمن لبس ثياب الخلعة، وقام عند منعمه تعظيماً لإكرامه، وحامداً لأنعامه، قائلاً بلسان حاله الذي هو أفصح من لسان قاله، بل أصدق منه: ربّ (لا أُحصي ثناء عليك، أنتَ كما أثنيتَ علىٰ نفسك)[2].

گر بهر مولى زبانى باشدم شكر يک نعمت نگويم آز هزار

وبالجملة، ففي أمثال هذا المقام إن أثبت السائلون لنفوسهم الإنيّة فعلىٰ ضرب من المجاز؛ لأنّه ـ كما حقق في موضعه ـ شيئية الشيء كانت بصورته وتمامه، وتماميته بفاعله وعلّته، كما قال الحكماء: نسبة الشيء إلىٰ فاعله بالوجوب والوجدان، وإلىٰ قابله بالإمكان والفقدان.

ومن المعلوم أنّ فوق التمام وعلّة العلل وفاعل الفواعل هو الحقّ الأوّل الجاعل تعالىٰ شأنه، فالإشارة إلىٰ النفس في الحقيقة إشارة إلىٰ مقوّمها، سواء كان المشير من ذوي الاستشعار بهذا أم لا.

تو دير بزى كه من برفتم زنسيان گر من گويم زمن توئى مقصود

---

(١) «الأعراف» الآية: ٢٠٥. (٢) «مصباح الشريعة» ص ٥٦.

Books.Rafed.net

ولهذا قال معلم هذا الدعاءعليه السلام: (معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّوجلّ)[١].

وقالصلى الله عليه وآله: (من رآني فقد رأىٰ الحقّ)[٢].

ففي الحقيقة هو تعالىٰ كان سائلاً ومسؤولاً وذاكراً ومذكوراً، كما قال الشاعر:

لقد كنت دهراً قبل أن يكشف الغطاء أخالُك أنّي ذاكر لك شاكرُ

فلمّا أضاء الليل أصبحتُ عارفاً بأنّك مذكور وذكرٌ وذاكرُ[٣]

فإذا كشف عنك غطاؤك، وحدّد بصرك تُصدّق بقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[٤] تصديقاً شهودياً.

(أَسْأَلُكَ)

السؤال يستعمل في الداني بالنسبة إلىٰ العالي، بخلاف الالتماس فإنّه يستعمل في المساوي، وأمّا في العرف فاشتهر بعكس ذلك.

(بِرَحْمَتِكَ التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ)

المراد بالرحمة هنا: الوجود المطلق الذي هو قسم من مطلق الوجود والمشيئة الفعلية كما ورد: (إنّ الله خلق الأشياء [بالمشيئة]، والمشيئة بنفسها)[٥]. والوجود المنبسط والفيض المنبسط الذي فاض علىٰ كلّ الماهيات والأعيان الثابتات المرحومة بها، والفيض المقدس؛ لأنه بذاته عارٍ عن أحكام الماهيات، كما أنّ ظهور ذاته تعالىٰ بالأسماء والصفات في المرتبة الواحدية يسمّىٰ بالفيض الأقدس، لا ما

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٢٦، ص ١، ح ١.

(٢) «صحيح البخاري» ج ٦، كتاب التعبير، ص ٢٥٦٨، ح ٦٥٩٥

(٣) نُسب هذان البيتان للقيصري، كما في «المجلي» ص ٢٩٤، الهامش.

(٤) «النجم» الآية: ٢٣.

(٥) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، ح ٤ وفيه: (خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة).

Books.Rafed.net

هو عبارة عن رقّة القلب؛ لأنَّ استعمالها خاصّ بالممكن، يقال: فلان رحيم، أي رقيق قلبه، يعني: إذا رأىٰ فقيراً مثلاً ـ وهو ذو النعمة والسعة ـ يترحم عليه بالإعطاء.

ومن ألقاب ذلك الوجود المطلق الذي عبّرنا به عن الرحمة: النفس الرحماني، والإبداع، والإرادة الفعلية، والحقيقة المحمدية.

بيان مراتب الوجود

وتحقيق ذلك: أنّ للوجود مراتب مختلفة بالشدّة والضعف: الوجود الحقّ، والوجود المطلق، والوجود المقيّد.

فالأول: هو الوجود المجرّد عن جميع الأوصاف والألقاب والنعوت.

والثاني: هو صنع الله وفيضه المقدس، ومشيئته الفعلية، ورحمته الواسعة، وإبداعه وإرادته الفعلية، والنفس الرحمانية، وعرش الرحمن، والماء الذي به حياة كلّ شيء، وكلمة (كن) التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (إنّما يقول لما أراد كونه: كن فيكون، لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع)[1]. وفعل الله، وبرزخ البرازخ، وغير ذلك من الأوصاف والألقاب.

والثالث: أي الوجود المقيّد: وهو أثره تعالىٰ، كوجود العقول والنفوس، والملك والفلك والإنسان والحيوان، وغير ذلك.

أقسام الرحمة

فإذا عرفت هذا، فاعلم أنَّ الرحمة رحمانية ورحيمية، وهي مختصة بأهل التوحيد، وهم العالمون بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر. وبالجملة، الذين هداهم الله إلىٰ صراط مستقيم، وعرّفهم توحيده وأنبياءه وأولياءه وما جاء به النبيون.

والرحمة الرحمانية لا تختص بشيء دون شيء، بل هي وسعت كلّ شيء،

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٤، ص ٢٥٥.

Books.Rafed.net

ومرحومة بها جميع الماهيات، من الدرّة البيضاء إلىٰ الذرّة الهباء، حتّى أنّ الكافر والكلب والخنزير وإبليس، وكلّ ما تراه في غاية القذارة والحقارة والملعنة أيضاً مرحومة بها؛ إذ تلك الرحمة أمر الله الذي يأتمر به كلّ موجود، وكلام الله الذي لا خالق ولا مخلوق، وفعل الله الذي اشتمل علىٰ كلّ المفاعيل، وخطاب الله المتخاطب به جميع الأعيان الثابتة، وصنع الله الذي كلُّ مصنوع بذلك الصنع.

فمن كان له عقل صريح وقريحة مستقيمة يعلم أنَّ الصانع هو الله، والصنع ذلك الوجود، والمصنوع الموجودات، وكذلك الآمر والأمر والمؤتمر، والخالق والخلق والمخلوق، والمتكلم والكلام والمخاطب، والرحمن والرحمة والمرحوم، وهكذا، وفي الحديث القدسي قال: (رحمتي تغلب علىٰ غضبي)[1]، يعني: تعلّق إرادته تعالىٰ بإيصال الرحمة أكثر من تعلّقها بإيصال العقوبة، فإنَّ الرحمة من مقتضيات صفة الرحمانية والرحيمية، والغضب ليس كذلك، بل هو باعتبار المعصية.

وفي الحديث: (إنّ لله تعالىٰ مائة رحمة)[2].

أقول: كأنّه عليه السلام أراد الكثرة لا تحديد الرحمة، إذ علمت أنَّ رحمته تعالىٰ صفته، وصفات الله كلّها غير متناهية، فإنّه حُقّق في موضعه أنَّ صفاته الحقيقية عين ذاته تعالىٰ، وذاته غير متناهية عدّة ومدّة وشدّة، فكذلك صفاته غير متناهية.

ثم إنَّ الشيء في قوله: (كُلَّ شَيء) بمعنىٰ: مشيء وجوده، وهو الماهية؛ إذ هي مشيء وجودها.

والباء في قول السائل: (برحمتك...) إلىٰ آخره، للاستعانة، ويجوز أن تكون للسببية، وفيه إشارة إلىٰ أنه مرحوم بكلتا الرحمتين.

أمّا بالرحمة الرحمانية، فوجوده ومشاعره وأعضاؤه وجوارحه جميعاً شاهدة علىٰ مرحوميته ومرزوقيته من الله تعالىٰ، إذ ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام حين

---

(١) «الجواهر السنية» ص ١٢٠، وفيه: (رحمتي سبقت غضبي).

(٢) «بحار الأنوار» ج ٦، ص ٢١٩.

Books.Rafed.net

سُئل عن الرحمن، قال: (الرحمن هو الذي يرحم بـبسطه الرزق عـلينا، والرحـيم هـو العاطف علينا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، وخفف علينا الدين فجعله سهلاً خـفيفاً، وهـو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه)[١].

بيان أرزاق الموجودات

اعلم أنّ جميع الموجودات مرزوقة من الله تعالىٰ، كلّ علىٰ حسب ما تـقتضيه العناية الإلٰهية، فرزق العقول الكلّية هو مشاهدة جمال الله تعالىٰ وجلاله، والالتذاذ بالاستغراق في تجلّياته وإشراقاته.

ورزق النفوس: اكتساب الكمالات، واقتناء العلوم والصناعات.

ورزق الأملاك: التسبيح والتهليل والتقديس، إذ رزق كلّ شيء ما به يتقوّم ذلك الشيء.

ورزق الأفلاك: هو حركاتها الدورية، وتشبّهاتها بالملأ الأعلىٰ الوضعية[٢].

ورزق البدن: ما به نشوؤه وكماله، علىٰ نسبته اللائقة به.

ورزق الحواس: إدراك المحسوسات، فـرزق البـاصرة: المـبصرات، والسـامعة: المسموعات، والذائقة: المذوقات، والشامّة: المشمومات، واللامسة: الملموسات.

ورزق البنطاسيا: إدراك جميع المحسوسات الظـاهرة والبـاطنة، غـيرما يـدرك بالوهم.

ورزق الخيال: ما يأتيه من الحسّ المشترك ويحفظه.

ورزق المتخيلة: درك الصور الجزئية المجرّدة عن المادّة.

ورزق الواهمة: إدراك المعاني الجزئية.

ورزق العاقلة: إدراك المعاني الكلّية.

---

(١) «التفسير المنسوب إلىٰ الإمام العسكري عليه السلام» ص ٢٨، باختلاف.

(٢) كذا في المخطوط.

Books.Rafed.net

حتّىٰ أن رزق الماهيات: الوجودات الخاصة.

وأمّا إنّ السائل مرحوم برحمته الرحيمية، فأيمانه وأسئلته دالّة عليها دلالة واضحة.

(وبِقُوَّتِكَ الَتي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيء)

بيان القوىٰ العشر الظاهرة والباطنة

المراد بالقوّة: القدرة، لا استعداد الشيء، كالتي هي قسط الهيولىٰ من مطلق الكمال، كما عرفت بأنّها جوهر بالقوّة المحضة، جنسها مضمّن في فصلها، وفصلها مضمّن في جنسها. ولا من سنخ القوىٰ العشر التي أودعها الله تعالىٰ في الإنسان، سبعة منها مدركة للجزئيات، وهي: الواهمة المدركة للمعاني، والحس المشترك، والباصرة، والسامعة، والذائقة، والشامّة، واللامسة. واثنتان منها هما المحرّكة: محرّكة العاملة ومحرّكة الشوقية. وعاشرها: العقل، أي العاقلة، وهي المدركة للكلّيات، وهي منشعبة إلىٰ أربع قوى:

بيان انشعاب العقل إلىٰ أربع قوى

أحدها: هي القوّة الغريزية التي يستعدّ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية، ويفارق بها البهائم، فكما أنَّ الحياة تهيئ الجسم للحركات الإرادية والإدراكات الحسيّة، فكذا القوة الغريزية تهيئ الإنسان للعلوم النظرية والصناعات الفكرية.

الثانية: قوّة يحصل بها العلم بأنّ الاثنين مثلاً أكثر من الواحد، والشخص الواحد لا يكون في زمانين ومكانين.

والثالثة: قوّة تحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الأحوال.

والرابعة: قوّة بها يعرف الإنسان عواقب الأمور، فيقمع الشهوة الداعية إلىٰ اللذّة العاجلة، ويتحمل المكروه العاجل لسلامة الآجل.

Books.Rafed.net

فإذا حصلت تلك القوىٰ سُمّيّ صاحبها: عاقلاً، فالأُولىٰ والثانية حاصلة بالطبع، والثالثة والرابعة حاصلة بالاكتساب.

وإلىٰ ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموعُ
ولم ينفعك مسموع إذا لم يك مطبوعُ
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوعُ)[1].

وإنّما لا يجوز إطلاق القوة بهٰذه المعاني علىٰ الله تعالىٰ؛ إذ جميع ذلك استعدادات وإمكانات وانفعالات وإن نعدّها وجودات، فكانت من جملة قدرته الفعلية التي سنفصل لك ونبيّن أن جميعها جهات قادريته تعالىٰ.

بل القدرة ـ كالعلم ـ ذات مراتب، ومرتبة منها هي الواجبة بذاتها، وهي قدرته الذاتية. ومرتبة منها عين الوجود المنبسط، وهي قدرته الفعلية.

وجميع الأشياء مقدورات لله تعالىٰ بهذه القدرة الفعلية، وانقهارها استهلاكها واضمحلالها تحتها؛ لأنّها بذواتها ليست أشياء علىٰ حيالها، ولهذا ورد عن الشرع الأنور: (لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم).

وقوله: (وبقوّتك التي قهرت بها كلّ شيء) أي بقوتك الفعلية التي هي تحت قدرتك الذاتية التي قهرت بها جميع المقدورات. والباء في قوله: (بها) سببية، أو بمعنىٰ: مع.

(وَخَضَعَ لها كُلُّ شَيءٍ، وذَلَّ لَها كُلُّ شَيء)

الضمائر الثلاثة راجعة إلىٰ القوة. والخضوع ـ كالخشوع ـ : التواضع خوفاً ورجاءً، وقد يُفرّق بينهما بأنَّ الخضوع يستعمل في البدن، والخشوع في الصوت[2]،

---

(١) «ديوان الإمام علي عليه السلام» ص ٦١.
(٢) انظر «الفروق اللغوية» ص ٢١٦، الرقم: ٨٤٤.

Books.Rafed.net

مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾[١].

وقد لا يفرق بأنَّ الخضوع ـ أيضاً ـ استعمل في القول والصوت، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾[٢].

فقوله: (وخضع لها كلّ شيء، وذلّ لها كلّ شيء) مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[٣] أي ذلّت وخضعت الوجودات له تعالىٰ؛ لأنّه مالك رقابها، وآخذ بناصيتها، وقيوّمها ومقوّمها، وبفيضه تعالىٰ قوام الأشياء، وبسببه حياتها.

گر فيض تو يک لمحه بعالم نرس معلوم ثمود بود ونبود همه کس

(وذلّ) من الذُل ـ بالضم ـ ضدّ العز، أي هان لها كلّ شيء. ويحتمل أن يكون من الذِّل ـ بالكسر ـ ضدّ الصعوبة، أي انقاد لها كلّ شيء.

(وَبِجَبَروتِكَ التي غَلَبْتَ بِها كُلَّ شَيء)

وجه تسمية عالم العقول بالجبروت

جبروت: فَعَلُوت، من الجبر، وهو تعالىٰ جبار؛ لأنّه يجبر نقائص الممكنات بإفاضة الخيرات عليها، ويكسو العناصر صور المركبات، فيخبر نقصانها. وخصّ استعمالها بعالم العقول، طولية كانت أو عرضية، صعودية كانت أو نزولية.

وجه تسمية عالم الأسماء والصفات باللاهوت

كما أنّه خصّ استعمال «اللاهوت» بعالم الأسماء والصفات، أي عالم الواحدية، وهو المسمّىٰ في لسان الشرع الأنور بـ(الأُفق الأعلىٰ) و(الأفق المبين)، وهو مقام: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٤]. وهو منتهىٰ سير السالكين العارفين، وكان مقام نبيّنا

---

(١) «طه» الآية: ١٠٨.
(٢) «الأحزاب» الآية: ٣٢.
(٣) «طه» الآية: ١١١.
(٤) «النجم» الآية: ٩.

Books.Rafed.net

محمدﷺ، وإلىٰ ذلك المقام أشار جبرائيل بقوله: (لو دنوت أنملة لاحترقت)[١]، كما قيل:

أحمد اربُگشايد آن پرُ جليل　　تا أبد مدهوش ماند جبرئيل

وجه تسمية عالم المثال بالملكوت

وخصّ استعمال «الملكوت» بعالم الباطن من عالم المثال الأعلىٰ والأسفل، أي عالم النفوس مطلقاً وعالم الصور الصرفة، وباصطلاح حكماء الإشراق[٢]: عالم المُثل المعلقة.

وجه تسمية عالم الأجسام بالناسوت

وخصّ استعمال «الناسوت» بعالم الطبائع، أي عالم الجسم والجسماني، وبعبارة أُخرىٰ: عالم الزمان والزمانيات.

كما أنّ «الملكوت» يطلق علىٰ عالم الدهور أيضاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣].

فليعلم أنَّ أول ما صدر من الحقّ الحقيقي هو العقل الأول، والممكن الأشرف الأجلّ، كما قالﷺ: (أول ما خلق الله تعالىٰ العقل)[٤]، وبرواية أُخرىٰ: (أول ما خلق الله نوري)[٥]، و(روحي)[٦]. وهو المسمّىٰ في الكتاب الإلٰهي والفرقان السماوي بـ﴿أُمّ الكتاب﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٧]، وبالقلم كقوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٨].

فهو لاشتماله علىٰ جميع الحقائق، لكونه بسيط الحقيقة، جامعاً لكمالات ما

---

(١) انظر: «بحار الأنوار» ج ١٨، ح ٣٨٢.

(٢) «حكمة الإشراق» ضمن «مجموعة مصنفات شيخ الإشراق» ج ١، ص ٢٣٠.

(٣) «الأنعام» الآية: ٧٥.　　(٤) «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩٧، ج ٥٤، ص ٣٠٩.

(٥) «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩٧، ج ٥٤، ص ١٧٠.　(٦) «بحار الأنوار» ج ٥٤، ص ٣٠٩.

(٧) «الرعد» الآية: ٣٩.　　(٨) «القلم» الآية: ١.

Books.Rafed.net

دونه بنحو اللّف والجمع، سُمّي بـ(أُمّ الكتاب)؛ إذ الأُمّ بمعنىٰ الأصل، فهو أصل جميع الكتب ومنبعها، وكتابيته باعتبار ماهيته.

كما أنَّ عالم العقول بهذا الاعتبار سُمّي بـ«الأرض البيضاء»، كـقوله ﷺ: (إن لله أرضاً بيضاء مشحونة خلقاً، يعبدون الله ويسبّحونه ويهللونه، ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس)[1]؛ وذلك لأنّ الوجـود المـنبسط والرحـمة الواسـعة تـختلف أسـماؤه باعتبارات شتىٰ [في] نفس الأمرية، فإنّه مضافاً إلىٰ الله تعالىٰ إيجاده وصنعه كما مرَّ، ومضافاً إلىٰ الماهية وجودها، ومن حيث إنّه كالقلم بين أصابع الرحمن يكتب علىٰ صفحات القوابل: «قلم» ومن حيث المثبت فـي الألواح العـالية مـن اللـوح المحفوظ ولوح القدر «كتابه» كما قيل:

بـــزد آنكـــه جـــانش در تـــجلّى است هـــمه عـــالم كـتاب حـق تـعالىٰ است
عرض اعراب وجوهر چون حروف است مـــراتب هـــمچو آيـــات وقـوف است
از او هر عـلمى چـون سـورهاى خـاص يكـــى زان فـاتحه وآن ديگـر اخـلاص

ومن حيث كونه علّة مؤدّية لوجود المقضي: «قضاء»، ومن حيث إنه يعيّن شكل المقضي ويقدّر مقداره: قدر.

وبالجملة، من حيث إنّه كلمة «كن» الوجودية: ﴿كلمة طيبة كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[2].

ثم صدر بتوسّطه العقل الثاني، ثم الثالث، إلىٰ العاشر، وهو المسمّىٰ عند الحكماء بـ«العقل الفعّال»، وعند العرفاء[3] بـ«روح القـدس»، وفـي لسـان الشـرع الأطـهر بـ(جبرائيل).

---

(١) «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ١٠٠، ح ١٤٤، «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٢، باختلاف.
(٢) «إبراهيم» الآية: ٢٤.
(٣) «الإنسان الكامل» ج ٢، ص ٨

Books.Rafed.net

وهذا الترتب العلّي بين العقول العشرة علىٰ طريقة حكماء المشّائين[١]، وأمّا علىٰ مذهب الإشراقيين[٢] لا ترتّب بينها، بل هي عندهم متكافئة، ولا نهاية لها.

والعرفاء يسمون العقول: أرباب الأنواع، فالجبروت اسم لذلك العالم جملة.

فقد عُلم ـ بما ذُكر ـ أنَّ وجود العقول غالب ومقدّم علىٰ كلّ شيء، لأنّه أصل في التحقق والجعل، فهو غالب علىٰ جميع الماهيات، وقاهر عليها بالحقّ بعد الحقّ، فهو تعالىٰ إذا كان بجبروته ـ التي هي عالم من عوالمه ـ قاهراً علىٰ الأشياء، فمقهورية الكلّ تحت نور ذاته الظاهرة لا خفاء بها ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٣].

(وَبِعِزَّتِكَ التي لا يقَومُ لَها شَيءٌ)

العزّة: المغالبة والممانعة، أو بمعنىٰ القوّة، وجاءت لندرة الوجود.

وفي القاموس: «عزّ يعزُّ عِزّاً وعزّةً وعزازة ـ بكسرها في الثلاثة ـ : صار عزيزاً، كمعزّز، وقوي بعد ذلة، وأعزّه وعززه، والشيءُ: قلّ فلا يكاد يوجد»[٤].

فإن أُخذت بمعنىٰ ندرة الوجود فباعتبار رؤيته تعالىٰ في صورة مظاهره الأكملين النادريّ الوجود الأقلّين، كما قال ﷺ : (هؤلاء الأقلون)[٥].

وقيل:

خليلي قطّاع الفيافي إلىٰ الحمىٰ كثيرٌ وأما الواصلون قليلُ[٦]

---

(١) انظر «كتاب المشارع والمطارحات» ضمن «مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٢) انظر: «حكمة الإشراق» ضمن «مجموعة مصنفات شيخ الإشراق» ج ١، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) «الأنعام» الآية: ١٨. (٤) القاموس المحيط.

(٥) مضمون حديث ورد بألفاظ مختلفة. انظر «بحار الأنوار» ج ٦٥، ص ٢٦٥، ٢٧٥، ج ٩٢، ص ٤٥٧.

(٦) نُسب هذا البيت إلىٰ عبد القادر الجيلي. انظر «الصوارم المهرقة» ص ٢٦٩.

Books.Rafed.net

وإن أُخذت بمعنىٰ القوة بعد الذلّة فمن باب التجريد، إذ لا أوّلية لعزّته تعالىٰ ولا تكون له ذلّة حتّىٰ انصرف منها وصار عزيزاً ووجدت له عزّة بعد ذلّة، بل هو العزيز المقتدر أزلاً أبداً، لا يعتريه فترة، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً.

ولكنّ الحقّ، أنّ عزّته تعالىٰ كسائر صفاته الحقيقية عين ذاته، وكيف كان لها مقاوم ومقابل، والحال أنّه لا ثاني له تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

(وَبِعَظَمَتِكَ التي مَلأتْ كُلَّ شَيء)

أفعال الله الحسية وفيه ذكر بيان معاني العرش

العظمة: الكبرياء، والتعظيم: التبجيل والتوقير، وعظمة الفاعل تظهر بعظمة فعله، ومن جملة أفعاله «الفلك الأقصىٰ» الذي هو عرش الله تعالىٰ، إذ للعرش إطلاقات أربع:

قد يطلق العرش ويراد به علمه المحيط.

وقد يطلق ويراد به الفيض المقدّس.

وقد يطلق ويراد به عالم العقل.

وقد يطلق ويراد به الفلك الأطلس.

ولمّا كان هو من حيث الكمية والكيفية أعظم الأجسام، وصفه تعالىٰ بالعظمة في كلامه المجيد، وقال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2]. وخصّه بالذكر: إذ جميع الأجسام مشمولة، وهو محيط بجميعها.

ومن جملة الأجسام: الفلك الثامن الذي يسمّىٰ بـ«الكرسي»، ويشتمل علىٰ كرات وأجرام منيرة وكواكب مضيئة.

---

(١) «آل عمران» الآية: ١٨.

(٢) «النمل» الآية: ٢٦.

Books.Rafed.net

بيان مقدار عظم الكواكب الثابتة والسّيارة

وقد حُدّد في علم الهيئة أنَّ أعظم الثوابت المرصودة مقدار جرمه مائتان واثنان وعشرون مثل مقدار جرم الأرض، وأصغرها مقدار جرمه ثلاثة وعشرون مثل مقدار جرم الأرض. وأنّ مقدار جرم زحل من الكواكب السيارة اثنان وثمانون مثل جرم الأرض، ومقدار جرم المشتري مائة وثمانون مثل مقدار جرم الأرض، وأنّ مقدار المريخ ثلاثة أمثال مقدار الأرض، ومقدار جرم الشمس ثلاثمائة وستة وعشرون مثل مقدار الأرض.

وهكذا سائر الثوابت والسيارات التي قد حدّدت مقاديرها، ولا يعلم عددها إلّا هو، وكذا طبقات الأرض، من الطينية والصرفة، والطبقة التي صارت مسكن المواليد الثلاثة.

بيان أفعال الله المعنوية

وسائر المركّبات كلّها فعلٌ؛ إمّا من أفاعيله ـ سبحانه ـ الحسّية، وإمّا أفعاله المعنوية من العقول والنفوس، والصور البرزخية التي لا يعلم حسابها إلّا الله تعالىٰ. بل من جملة أفعاله الحسية والمعنوية معاً خلقة الإنسان الذي هو جالس بين الحدّين، وجامع للحسنيين، وواسطة بين الإقليمين، الذي فؤاده بيت يتراءىٰ فيه جميع أفعاله تعالىٰ، من السماء والسماوي، والأرض والأرضي، بل كلّ إنسان مع ما في قلبه في قلب الأناسي الأُخر.

وبالجملة، فبهذه يظهر عظمة الله تعالىٰ، والوجود المنبسط الذي قد مرّ أنّه صنع الله وفعله، طبق وملأ تجاويف الأشياء، وهو كخيط ينظم شتاتها، وجامع متفرّقاتها، بحيث لا يعزب عن حيطته شيء. وقد مرّ أنه في العقل عقل، وفي النفس نفس، وفي الجوهر جوهر، وفي العرض عرض، وبذاته لا شيء منها.

Books.Rafed.net

ليس الوجـود جـوهراً ولا عـرض عند اعـتبار ذاتـه بـل بـالعرض[١]

(وَبِسُلْطَانِكَ الذي عَلا كُلَّ شَيء)

السلطان: الحجّة والبرهان. وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً﴾[٢] يـجوز أن يكون بمعنىٰ الغلبة والتسليط، ويحتمل أن يكون بمعنىٰ الحجّة، أي يجعل لكم حجّة وبرهاناً. والسلطنة: القوة والغلبة.

علا يعلو: ارتفع وتفوّق، وفاق.

وفي القاموس: «السلطان: الحجّة، وقدرة الملك ـ ويضم لامه ـ والوالي»[٣].

وهاهنا بجميع معانيه صادق عليه تعالىٰ؛ لأنّ حجّته وبرهانه وسلطنته وغـلبته وكذا قدرته وتوليته علت وفاقت علىٰ جميع الأشياء.

ثم إنّ من حججه وبراهينه خلفاءه تعالىٰ في أرضه، وأمناءه فـي بـلاده الذيـن افتتحت منهم الباديات، واختتمت بهم العـائدات، كـما ورد: (بكـم فـتح الله ويكـم يختم)[٤]. فإنّه لمّا كان مقامهم بحسب الروحانية مقام العقول الكلّية ـ وهي وسائط جوده تعالىٰ بحسب النزول، وروابط الحوادث بالقديم بحسب الصعود ـ كان افتتاح الفيض منهم واختتامه بهم.

فهم عليهم السلام ـ بشراشر وجودهم ـ حجج الله تعالىٰ علىٰ عباده، التي لا تعلوها حجّة سوىٰ ذاته تعالىٰ؛ إذ عقولهم الصحيحة الكافية المسـتكفية حـجج عـلىٰ العـقول، ونفوسهم المطمئنة المعلّمة حجج علىٰ النفوس، وأقوالهم الشـافية الوافـية حـجج للمحبين، وأفعالهم الخالصة الصافية حجج للعاملين المستكملين المسترشدين.

ومن حججه وبراهينه النفوس المتعلّمة بالأسماء بـالقوّة، كـما ورد عـن أمـير

---

(١) «شرح المنظومة» للسبزواري ج ٢، ص ١٧٢. (٢) «القصص» الآية: ٣٥.

(٣) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٥٣٩، مادة «السلط».

(٤) «بحار الأنوار» ج ٩٨، ص ١٥٣، ٢١٢.

Books.Rafed.net

المؤمنين عليه السلام: (الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجج الله علىٰ خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهدة علىٰ كلّ غائب، وهي الحجة علىٰ كلّ جاحد، وهي الطريق المستقيم إلىٰ كلّ خير، وهي الجسر الممدود بين الجنّة والنار)[1].

والآيات الفرقانيّة والكلمات الحكميّة والعرفانيّة في هذا الباب كثيرة جداً.

منها قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[2]، وقوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3]، وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾[5].

وقوله عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[6] وقوله: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[7].

وقال صدر المتألّهين السّبزواري رحمه الله في النّبراس الذي نظّمه في الفقه:

لا تعد عنك بك للكلّ اتّسا ... آسيك فيك دافع عنك الأسىٰ

كلّ الكمال من وجودك اقتبس ... منك اثنتا عشرة عيناً تنبجس

وكلّ نادٍ يستضئ من باينه ... والقلب نادٍ يستضئ من باطنه

وهذه الأبيات كانت ترجمة كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

دواؤك فيك ولا تبصر ... وداؤك منك ولا تشعرُ

وأنت الكتاب المبين الذى ... بأحْرُفِه يظهرُ المُضمرُ

أتزعم انّك جرم صغير ... وفيك انطوىٰ العالم الأكبرُ[8]

---

(١) «المجلي» ص ١٦٩، «الحقائق» للكاشاني ص ٣٤٩، وفيه عن الصادق عليه السلام.

(٢) «الإسراء» الآية: ١٤.

(٣) «الذاريات» الآية: ٢١.

(٤) «فصلت» الآية: ٥٣.

(٥) «البقرة» الآية: ٩١.

(٦) «بحار الأنوار» ج ٥٨، ص ٩١، ج ٦٦، ص ٢٩٣.

(٧) «روضة الواعظين» ص ٢٠.

(٨) «ديوان الإمام علي عليه السلام» ص ٤٥.

Books.Rafed.net

وقال ﷺ في الأبيات الفارسيّة:

فلك دوران زند بر محمد محور هي	وجــود هــر عــالم مــظهر هـي
بــرآن نـقش كـه بـر لوح از قـلم رفت	نـوشته دست حـق بـر دفـتر هـي

ومن حججه البالغة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1]: أنّه تعالىٰ يقول يوم القيامة للعبد: (عبدي كنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت؟! وإن قال: كنت جاهلاً، قال: أفلا تعلّمت حتّىٰ تعمل؟! فيخصمه، فتلك الحجّة البالغة)[2].

(وَبِوَجْهِكَ ٱلْباقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيءٍ).

هذا كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[4].

در نـــعت بـــقا	نيست كسى باتو مشارك
ذات تـــو بـــود بـــاقي	وبـــاقي هـــم هـــالك

قد جاء «الوجه» لمعانٍ كثيرة، ولا شيء منها يناسب هـذا المـقام إلّا الوجـود المطلق الذي هو وجه الله القديم، وفيضه الغير المـنقطع العـميم، المـحيط بـجميع الأشياء، المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[5] إذ قد عرفت أنَّ ذلك الوجود المطلق الذي هو وجه الله الباقي وفيضه الدائم داخل في صقع الربوبية، وكالمعنىٰ الحرفي، لا حكم له علىٰ حياله، فبقاؤه ببقائه لا باستقلاله.

ومن جملة معاني الوجه: ذات الشـيء، وقـد جـاء بـهذا المـعنىٰ فـي الدعـاء المخصوص بتعقيب صلاة الصبح أو المشترك بين الصباح والمساء، وهو هذا: (اللهُمَّ

---

(١) «الأنعام» الآية: ١٤٩.
(٢) «الأمالي» للطوسي، ص ٩، ح ١٠.
(٣) «القصص» الآية: ٨٨.
(٤) «الرحمن» الآية: ٢٦ ـ ٢٧.
(٥) «البقرة» الآية: ١١٥.

Books.Rafed.net

إنّي أصبحت ـ أو أمسَيتُ ـ أشهدك ـ وكفىٰ بك شهيداً ـ وأُشهد ملائكتك، وحَمَلة عرشك، وسكّان سماواتك وأراضيك وأنبياءك ورسُلكَ، والصالحين من عبادك وجميع خلقك، فاشهد لي ـ وكفىٰ بك شهيداً، إني أشهد أنّك أنت الله، لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وأنَّ محمّداً عبدك ورسولك، صلواتك عليه وآله، وأن كلّ معبود ممّا دون عرشك إلىٰ قرار أرضك السابعة السّفلىٰ باطلٌ مضمحل، ما خلا وجهك الكريم فإنّه أعزّ وأكرم من أن يصف الواصفون كُنه جلاله، أو تهتدي القلوب إلىٰ كنه عظمته.

يا مَن فاق مدح المادحين فخر مدحه، وعدا وصف الواصفين مآثر حمده، وجلّ عن مقالة الناطقين تعظيم شأنه، صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد، وافعل بنا ما أنت أهله، يا أهل التقوىٰ وأهل المغفرة)[1].

فاعلم أنّه إذا تجلّىٰ تعالىٰ باسمه القهّار المفني في الطّامة الكبرىٰ التي قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[2] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3]، وقال تعالىٰ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ وحيث لم يبق أحد من المالكين المجازي، إذ الكل يفنىٰ عند تجلّيه الأعظم، ما من مجيب يجيبه تعالىٰ، فأجاب نفسه بقوله: ﴿لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[4].

وحينئذٍ يظهر أنّه تعالىٰ مالك ملك الوجود بالعيان والشهود، وأنَّ ما سوىٰ الحق المعبود المحمود ـ ممّا استظل بظله الممدود، وادّعىٰ مالكية سهم من الوجود ـ كان مثله ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ﴾[5].

فكان السائل والمجيب في الآخر هو السائل والمجيب في الأوّل ـ يعني: في عالم الذّر ـ إذ هنالك أيضاً حين قال تعالىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أجاب نفسه بقوله:

---

(١) «المصباح» للكفعمي، ص ١٠٥، باختلاف يسير.

(٢) «المعارج» الآية: ٦ ـ ٧.

(٣) «الزمر» الآية: ٦٨.

(٤) «غافر» الآية: ١٦.

(٥) «النور» الآية: ٣٩.

Books.Rafed.net

﴿بَلَى﴾[1]؛ لأنّ العباد ما كانوا موجودين بوجوداتهم الخاصّة المتفرّقة حتىٰ أجابوا الله تعالىٰ.

هم خود ﴿أَلَسْتُ﴾ گويد وهم خود ﴿بَلَى﴾ كند

بل كانوا موجودين بالوجود العلي لله تعالىٰ، وإلىٰ ذلك المقام أشار العارف الرومي﵀ في المثنوي:

متحد بوديم ويک جوهر همه بی سر وبی پا بديم آن سر همه
يک گهر بوديم همچون آفتاب پيکره بوديم وصاحی همچه آب
چون بصورت آمد آن نور سره شد عدد چون سايه های کنگره
کنگره ويران‌کنيد از منجنيق تا رود فرق از ميان اين فريق

هذا وإن كانت الماهيّات عند أرباب الشهود والبيّنات مستهلكةً ومندكّةً في نور الوجود أزلاً أبداً، كما قالوا: الأعيان الثّابتة ما شمّت رائحة الوجود أزلاً أبداً. والملك والبقاء لوجهه الكريم وفيضه القديم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.

(وَبِأَسْمَائِكَ الَّتي مَلَأَتْ أَرْكانَ كُلِّ شَيءٍ)

الأسماء: جمع اسم.

قال الجوهري: «الاسم مشتق من: سَموتُ؛ لأنّه تنويه ورفعة وتقدير، ووزنه: افعٌ، والذاهب منه الواو؛ لأن جمعه: أسماء، وتصغيره: سُمَيّ»[2].

وقال بعض الكوفيّين: «أصله وسم، لأنّه من الوسم وهو العلامة، فحذفت الواو. وهي فاء الكلمة، وعوّض عنها الهمزة، فوزنه: اعل»[3]. واستضعفه المحقّقون.

أقول: الاسم ما أنبأ عن المسمّىٰ، إن كان المسمّىٰ هو الذات لا بشرط شيء فهو

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٧٢.
(٢) «الصحاح» ج ٦، ص ٢٣٨٣.
(٣) انظر «تاج العروس» ج ١٠، ص ١٨٣.

Books.Rafed.net

اسم للذات، كلفظ الجلالة، فإنّه اسم الذات الواجب الوجـود، المسـتجمع لجـميع صفات الكمالات، من دون تعيين صفة من الصفات، وملاحظة تعيّن من التـعيّنات معها.

أسماء الصّفات

وإن كان المسمّىٰ هو الذات ولكن بشرط شيء، وبعبارة أُخرىٰ: ملحوظة بتعيّن من التعيّنات النورية، كالعلم والقدرة والحياة وغيرها فهو اسم الصفة، كالعالم والقادر والمريد والحي، إلىٰ آخر أسماء الصّفات.

بيان أقسام ثلاثة لأسماء الله تعالىٰ

وعن بعض أهل التحقيق، قال: «الأسماء بالنسبة إلىٰ ذاته المقدّسة علىٰ ثـلاثة أقسام:

الأول: ما يمنع إطلاقه عليه تعالىٰ، وذلك كلّ اسم يدلّ علىٰ معنىً، يحيل العقل نسبته إلىٰ ذاته الشريفة، كالأسماء الدالّة علىٰ الأُمور الجسمانيّة، أو ما هو مشتمل علىٰ النقص والحاجة.

الثاني: ما يجوز عقلاً إطلاقه عليه تعالىٰ وورد فـي الكـتاب العـزيز والسـنّة الشريفة تسميته تعالىٰ به، فذلك لا حرج في تسميته به، بل يـجب امـتثال الأمـر الشرعي في كيفيّة إطلاقه، بحسب الأحوال والأوقات والتعبدات، إمّـا وجـوباً، أو ندباً.

الثالث: ما يجوز إطلاقه عليه ولكن لم يرد ذلك في الكتاب والسنّة، كالجوهر، فإنّ أحد معانيه كون الشيء قائماً بذاته، غير مفتقر إلىٰ غيره، وهذا المعنىٰ ثابت له تعالىٰ، فيجوز تسميته به؛ إذ لا مانع في العقل من ذلك، لكنّه ليس من الأدب؛ لأنّه وإن كان جائزاً عقلاً ولم يمنع منه مانع، لكنّه جاز أن لا يناسبه من جهة أُخرىٰ لا نعلمها، إذ العقل لم يطّلع علىٰ كافّة ما يمكن أن يكون معلوماً، فإن كثيراً من الأشياء

Books.Rafed.net

لا نعلمها إجمالاً ولا تفصيلاً، وإذا جاز عدم المناسبة ولا ضرورة داعية إلىٰ التسمية، فيجب الامتناع من جميع ما لم يرد به نصّ شرعيّ من الأسماء.

وهذا معنىٰ قول العلماء: «إن أسماء الله تعالىٰ توقيفيّة»، يعني: موقوفة علىٰ النصّ والإذن في الإطلاق.

بيان أقسام أربعة لأسمائه تعالىٰ

إذا تقرر هذا، فاعلم أنّ أسماءه تعالىٰ إما أن تدلّ علىٰ الذات فقط من غير اعتبار أمر، أو مع اعتبار أمر، ذلك الأمر إمّا إضافة ذهنية فقط، أو سلب فقط، أو إضافة وسلب. فالأقسام أربعة:

الأول: اسم الذات فقط

فالأول: ما يدل علىٰ الذات فقط، وهو لفظ: «الله»، فإنّه اسم للذات الموصوفة بجميع الكمالات الربانيّة، المتفردة بالوجود الحقيقي، فإن كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته، بل إنّما استفاده من الغير. ويقرب من هذا الاسم لفظ «الحقّ»، إذا أُريد به الذات من حيث هي واجبة الوجود، فإنّ الحقّ يراد به: دائم الثبوت، والواجب ثابت دائماً غير قابل للعدم والفناء، فهو حقّ، بل هو أحقّ من كلّ حقّ.

الثاني: أسماء الذات مع إضافة

الثاني: ما يدلّ علىٰ الذات مع إضافة كـ«القادر»، فإنّه بالإضافة إلىٰ مقدور تعلقت به القدرة بالتأثير. و«العالم» فإنه أيضاً اسم للذات، باعتبار انكشاف الأشياء لها، و«الخالق» فإنه اسم للذات باعتبار تقدير الأشياء، و«البارئ» فإنّه اسم للذات باعتبار اختراعها وإيجادها، و«المصوّر» باعتبار أنّه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، و«الكريم» فإنّه اسم للذات باعتبار إعطاء السؤالات، والعفو عن السيئات.

و«العليّ» اسم للذات باعتبار أنه فوق سائر الذوات، و«العظيم» فإنّه اسم للذات

Books.Rafed.net

باعتبار تجاوزها حدّ الإدراكات الحسّية والعقليّة، و«الأول» باعتبار سبقه علىٰ الموجودات، و«الآخر» باعتبار صيرورة الموجودات إليه، و«الظاهر» هو اسم للذات باعتبار دلالة العقل علىٰ وجودها دلالة بيّنة واضحة، و«الباطن» فإنّه اسم بالإضافة إلىٰ عدم إدراك الحسّ والوهم، إلىٰ غير ذلك من الأسماء.

الثالث أسماء الذات باعتبار سلب الغير عنه

الثالث: ما يدلّ علىٰ الذات باعتبار سلب الغير عنه، كـ«الواحد» باعتبار سلب النظير والشريك، و«الفرد» باعتبار سلب القسمة والبعضيّة، و«الغني» باعتبار سلب الحاجة، و«القديم» باعتبار سلب العدم، و«السّلام» باعتبار سلب العيوب والنقائص، و«القدّوس» باعتبار سلب ما يخطر بالبال عنه، إلىٰ غير ذلك.

الرابع أسماء الذات مع الإضافة والسّلب

الرابع: باعتبار الإضافة والسلب معاً، كـ«الحيّ»، فإنّه المُدرك الفعّال الذي لا تلحقه الآفات، و«الواسع» باعتبار سعة علمه وعدم فوت شيء منه، و«العزيز» وهو الذي لا نظير له وهو مما يصعب إدراكه والوصول إليه، و«الرحيم» وهو اسم للذات باعتبار شمول رحمته لخلقه وعنايته بهم، وإرادته لهم الخيرات، إلىٰ غير ذلك»[1] انتهىٰ.

تحقيق معنىٰ الاسم

والتحقيق الأحق بالذكر في تبيين هذا المقام ما حققه الحكماء والعرفاء، فإنّ الاسم عندهم حقيقة الوجود ملحوظة بتعيّن من التعينات الكماليّة من صفاته تعالىٰ، أو باعتبار تجلٍّ خاص من التجليات الإلهية.

فالوجود الحقيقي مأخوذ بتعيّن كونه ما به الانكشاف لذاته ولغيره اسم «العليم»،

---

(١) «مجمع البحرين» ج ١، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

Books.Rafed.net

وبتعيّن كونه خيراً محضاً وعشقاً خالصاً اسم «المريد».

وملحوظاً بتعيّن الظاهر بالذات والمظهرية للغير اسم «النور»، وبتعين الفياضيّة الذاتية للنورية عن علم ومشيّئة اسم «القدير».

وبتعيّن الدراكيّة الفعّالية اسم «الحي»، وبتعيّن الإعراب عمّا في الضمير المكنون الغيبي اسم «المتكلّم»، وهكذا.

وكذا مأخوذ بتجلّ خاصّ علىٰ ماهيّة خاصّة، بحيث يكون كالحصّة التى هى الكلّي المضاف إلىٰ خصوصيّة، بكون الإضافة بما هي إضافة ـ وعلىٰ سبيل التقييد لا علىٰ سبيل كونها قيداً ـ داخلة، والمضاف إليه خارجاً، لكن هذه بحسب المفهوم، والتجلي بحسب الوجود اسم خاصّ.

نقل كلام المحقّق السبزواري

وعند هذا قال صدر المتألّهين السبزواريﷺ: «فنفس الوجود الذي لم يلحظ معه تعيّنٌ ما، بل بنحو اللا تعيّن البحت هو المسمّىٰ، والوجود بشرط التعيّن هو الاسم، ونفس التعيّن هو الصفة، والمأخوذ بجميع التعيّنات الكمالية اللائقة به المستتبعة للوازمها من الأعيان الثابتة الموجودة بوجود الأسماء ـ كالأسماء بوجود المسمّىٰ ـ هو مقام الأسماء والصفات، الذي يقال له في عرف العرفاء: المرتبة الواحدية، كما يقال للموجود الذي هو اللاتعيّن البحت: المرتبة الأحديّة.

والمراد من اللاتعيّن: عدم ملاحظة التعيّن الوصفي، وأمّا بحسب الهويّة والوجود فهو عين التشخّص والتعيّن والمتشخص بذاته والمتعيّن بنفسه، وهذه الألفاظ ومفاهيمها، مثل الحيّ العليم المريد القدير وغيرها، أسماء الأسماء»[1] انتهىٰ كلامه، رفع مقامه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2] قيل: هي: «الله، الرحمن،

---

(١) «شرح الأسماء» ص ٥٧٤ ـ ٧٥٧.

(٢) «الأعراف» الآية: ١٨٠.

Books.Rafed.net

الرحيم، الملك، القدّوس، الخالق، البارئ، المصوّر...» إلىٰ تمام ثلاثمائة وستّين اسماً، كما في المجمع[١].

وفيه أيضاً قال الشيخ أبو عليؒ: «﴿ولله الأسماء الحسنىٰ﴾ التي هي أحسن الأسماء؛ لأنّها تتضمن معاني حسنة، بعضها يرجع إلىٰ صفات ذاته، كالعالم والقادر والحيّ والإله، وبعضها يرجع إلىٰ صفات فعله، كالخالق والرازق والبارئ والمصوّر، وبعضها يفيد التمجيد والتقديس، كالقدّوس والغنيّ والواحد»[٢] انتهىٰ.

وعن الصادقؑ: (إنّ الله تعالىٰ خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير مُنَطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفيّ عنه الأقطار، مبّعد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة علىٰ أربعة أجزاء معاً، ليس شيء منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً، وهو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ، وسخّر لكلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، الخالق، البارئ، المصوّر، الحيّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نومٌ، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العلي، العظيم، المقتدر، القادر، السّلام، المؤمن، المهيمن، البارئ، المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرّزاق[٣]، المُحيي، المميت، الباعثُ، الوارث.

فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنىٰ، حتّىٰ تتم ثلاثمائة وستّون اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان، وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٤])[٥].

---

(١) «مجمع البيان» ج ٤، ص ٦٢٢..

(٢) انظر «مجمع البيان» ج ٤، ص ٦٢٢، باختلاف.

(٣) في المصد: الرازق.

(٤) «الإسراء» الآية: ١١٠.

Books.Rafed.net

نقل كلام المحقّق السبزواري في شرح الحديث المذكور:

أقول: قد ذكر هذا الحديث الشريف صدر المتألّهين، مشروحاً في «شرح الأسماء»، عند شرح الاسم الشريف: (يا مَن جعل في السماء بروجاً)[٦]، ونقل كلام الفاضل المازندراني الشارح لأُصول الكافي ـ عليه الرحمة ـ وزيّف بعض ما قال في شرح هذا الحديث. فالأولىٰ والأنسب أن ننقل كلامه الشريف، وما حقّقه وما زيّف من كلام الشارح، توشيحاً لهذا الشرح، ولا بأس بالإطالة والإطناب، إذ المقام مقام التفصيل والفحص في تحقيق أسمائه تعالىٰ جليل جميل.

فقال: «قوله: (إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق اسماً...)، قال الفاضل المازندراني[٧] الشارح لأُصول الكافي ـ عليه الرحمة ـ: قيل: هو (الله)، وقيل: ـ هو اسم دالّ علىٰ صفات ذاته جميعاً. وكأن هذا القائل وافق الأوّل؛ لأنّ الاسم الدال علىٰ صفاته جميعاً هو «الله» عند المحقّقين، ويرد عليهما أنّ «الله» من توابع هذا الاسم المخلوق أولاً، كما يدلّ عليه هذا الحديث.

ويحتمل أن يراد بهذا الاسم اسم دالّ علىٰ مجرّد ذاته تعالىٰ، من غير ملاحظة صفة من الصفات معه، وكأنّه «هو». ويؤيده ما ذكره بعض المحقّقين من الصوفيّة من أنّ «هو» أشرف أسمائه تعالىٰ، وأنّ (يا هو) أشرف الأذكار، لأنّ «هو» إشارة إلىٰ ذاته من حيث هو هو، وغيره من الأسماء يعتبر معه صفات ومفهومات قد تكون حجباً بينه وبين العبد.

وأيضاً إذا قلت: (هو الله الرحمن الرحيم الغفور الحليم)، كان «هو» بمنزلة الذات، وغيره من الأسماء بمنزلة الصفات، والذات أشرف من الصفات، فهو أشرف الأسماء.

ويحتمل أن يراد به: (العليّ العظيم)، لدلالة الحديث الآتي عليه، حيث قال: (فأوّل ما اختار لنفسه: العليّ العظيم). إلّا إنّ ذكره في أسماء الأركان ينافي هذا

---

(٥) «الكافي» ج ١، ص ١١٢، ح ١.

(٦) «المصباح» للكفعمي، ص ٣٤٦.

(٧) «شرح الكافي» للمازندراني، ج ٣، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

Books.Rafed.net

الاحتمال، ولا يستقيم إلّا بتكلّف، وهو أنّ مزج الأصل بالفرع للإشعار بالارتباط وبكمال الملائمة بينهما»[1] انتهىٰ.

قالﷺ: «وفيه مؤاخذة؛ لأنّه ينبغي أن يقال: ذلك الاسم مجموع: (هو الله الرحمن الرحيم)، أو مجموع: (هو الله العليّ العظيم)، لا أنّه «هو» وحده مثلاً، لقوله‌ؑ (فجعله...) إلىٰ آخره.

قوله‌ؑ: (بالحروف غير متصوّت)، جعله هذا الشّارح[2] حالاً من فاعل (خلق)، أي خلقه والحال أنّه تعالىٰ لم يتصوّت بالحروف، ولم يخرج منه حرف وصوت، ولم ينطق بلفظ؛ لتنزّه قدسه عن ذلك، ولا يخفىٰ أنّ جعل هذا وما بعده ـ إلىٰ قوله‌ؑ: (فجعله كلمة تامّة) ـ صفة له تعالىٰ، فيه بعدٌ غاية البُعد، ولا سيّما التنزيه عن الجسمية والكيفية والكميّة وغيرها ليس فيه كثير مناسبة لخلق ذلك الاسم، ولا خصوصية له به، بل الـ(متصوّت) والـ(منطق) بصيغة المفعول، والكلّ صفة الاسم، علىٰ ما سنذكره.

وقوله‌ؑ: (مستتر غير مستور) أي مُستتر عن الحواس، غير مستور عن القلوب، أو معناه مستتر عن فرط الظهور.

قوله‌ؑ: (علىٰ أربعة أجزاء معاً) قال الشارح[3]: أي علىٰ أربعة أسماء باشتقاقها وانتزاعها منه، وهي غير مرتبة بعضها علىٰ بعض، كترتّب (الخالق) و(الرازق) علىٰ (العالم) و(القادر)، وعلىٰ ما نذكر فالمقصود نفي الترتّب المكاني.

وقوله‌ؑ: (وحجب واحداً منها)، أي لا يعلمه إلّا هو، حتّىٰ الأنبياءؑ، فإنّه قد استأثر علمه لنفسه.

قوله‌ؑ: (فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ).

قال الشارح[4]: (أي الظّاهر البالغ إلىٰ غاية الظهور، وكماله من بينها هو الله تعالىٰ، ويؤيّده أنّه يضاف غيره إليه فيعرف به، فيقال: (الرحمن)، اسم (الله)، ولا يقال: (الله)

---

(١) «شرح الأسماء» ص ٧١٢ ـ ٧١٣.

(٢) «شرح الكافي» للمازندراني، ج ٣، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٣) «شرح المازندراني» ج ٣، ص ٣٧٤.

(٤) «شرح الكافي» للمازندراني، ج ٣، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

Books.Rafed.net

اسم (الرحمن)، وليس المراد أن المتّصف بأصل الظّهور هو (الله)؛ لأنَّ غيره أيضاً متّصف بالظهور، كما قالﷺ: (وأظهر منها ثلاثة). وهذا صريح بأنَّ أحد هذه الثلاثة الظاهرة هو (الله). وأمّا الآخران فلم ينقلهما علىٰ الخصوص.

ويحتمل أن يراد بهما (الرحمن الرحيم)، ويؤيده آخر الحديث، واقترانهما مع (الله) في التسمية، ورجوع سائر الأسماء الحسنىٰ إلىٰ هذه الثلاثة، عند التأمّل.

ثمّ قال: إلّا إنّ عدّ (الرحمن الرحيم) في جملة ما يتفرّع علىٰ الأركان ينافي هذا الاحتمال، ولا يستقيم إلّا بتكلّف مذكور.

ونسب إلىٰ بعض الأفاضل: أنّه يفهم من لفظ (تبارك): جواد، ومن لفظ: (تعالىٰ) أحد.

قولهﷺ: (أربعة أركان). قال الشارح[1]: اعتبار الأركان إما علىٰ سبيل التخييل والتمثيل، أو علىٰ سبيل التحقيق باعتبار حروف هذه الأسماء، فإنّ الحروف المكتوبة في كلّ واحد من الأسماء المذكورة أربعة.

ويحتمل أن يراد بالأركان كلمات تامّة مشتقّة من تلك الكلمات الثّلاث ومن حروفها، وإن لم نعلمها بعينها.

قولهﷺ: (وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[2]).

قال الشارح[3]: إنّما لم يذكر الثالث لقصد الاختصار، أو لأنّه أراد بالرحمن: المتّصف بالرحمة المطلقة الشاملة للرحمة الدنيوية والأُخروية»[4].

قالﷺ: «أقول: قد علمت حقيقة الاسم، وأنّ هذه الألفاظ أسماء الأسماء، فالمراد ـ وهمﷺ أعلم بمرادهم بذلك الاسم ـ: الوجود المطلق المنبسط، الذي هو تجلّيه وصنعه ورحمته الواسعة الفعلية، وجعله أربعة عبارة عن تجلّيه في الجبروت والملكوت والناسوت، ونفس ذلك التّجلي ساقط الإضافة عنها.

---

(١) «شرح الكافي» للمازندراني، ج ٣، ص ٣٧٨. (٢) «الإسراء» الآية: ١١٠.
(٣) «شرح الكافي» للمازندراني، ج ٣، ص ٣٨٣. (٤) «شرح الأسماء» ص ٧١٣ ـ ٧١٥.

Books.Rafed.net

وبعبارة أُخرىٰ: أصلها المحفوظ، وسنخها الباقي، وروحها الكامن. ومعلوم أنّه بهذا الوجه مكنون عنده، فالخلق المفتاق إليها شيئيات ماهياتها، والأسماء الثلاثة هي التجلّيات عليها؛ إذ قد مرّ أنّه كما أنّ الوجود باعتبار تعيّن كمالي اسم من الأسماء، كذلك باعتبار تجلّ فعلي اسم أيضاً.

وإن كنت من المتفطنين لحقيقة الخلق والإيجاد، وأنّه اختفاء نور الحق تعالىٰ في حجب أسمائه، وفي حجب صور أسمائه، وأنَّ مدّة اختفاء النور دورة الخلق، كما أنّ مدّة ظهور نوره واستتار حجبه دورة الحق وإفنائهم ﴿تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه في يومٍ كان مقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنَة﴾[1]، لوسع لك تجويز أن يكون ذلك الاسم أعمّ من الرحمة الصفتية والرحمة الفعلية.

والمكنون منه هو التجلّي اللاهوتي، أعني: التجلّي في أسمائه وصفاته في المرتبة الواحدية، والثلاثة الظاهرة ـ التجلّيات الثلاثة المذكورة ـ والاكتنان هنا أشدّ؛ لأنّه إذا كان الرحمة الفعلية ساقطة الإضافة من صقع الذات، كان الرحمة الصفتية أوغل في ذلك؛ لأنّ الصفة أقرب من الفعل.

وقوله عليه السلام: (فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ) معناه: أنّه لمّا كان الاسم عنواناً للمسمّىٰ وآلة للحاظه، فالأسماء الثلاثة ظهورات المسمّىٰ، فهو الظاهر؛ لأنَّ معنىٰ (الظّاهر) ذات له الظهور، فالذات التي هو (الله)، له الظهورات، فهو الظاهر بالأسماء.

أو المراد: أن الأسماء الثلاثة ظهورات الاسم المكنون المستأثر لنفسه، الذي هو عنوان لذاته تعالىٰ عند ذاته، لكنّه معنون بالنسبة إلىٰ الثلاثة. والدليل علىٰ هذا المراد أنَّ (الله) اسم واقع علىٰ الحضرة الواحدية كاللاهوت، فإنّ معناه: الذات المستجمعة لجميع الصفات والكمالات، وتلك الحضرة أيضاً مجمع الأسماء والصفات، ولذا عبّر في حديث الأعرابي[2] عن النفس اللاهوتية بذات الله العليا.

---

(١) «المعارج» الآية: ٤.

(٢) «قرة العيون» للكاشاني، ص ٣٦٣.

Books.Rafed.net

والأركان الأربعة لكلّ واحد من هذه الأسماء عبارة عن الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة المعنويات، أعني: حرارة العشق والابتهاج، وبرودة الطمأنينة والإيقان، ورطوبة القبول والإذعان، أو الإحاطة والسريان، ويبوسة التثبّت والاستقامة عند الملك المنّان، نظير ما قال بعض أهل الذوق كجابر بن حيّان: إن السماوات وما فيها من العناصر الأربعة، وحمل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المشيئة، المذكورة في نهج البلاغة. والصواب: الحمل علىٰ ما ذكرنا.

والغرض كلّ الغرض منه: تطبيق العالمين الظّاهر والباطن، بجعل ذلك الاسم كالنيّر، والاثني عشر ركناً بروجه، والثلاثين اسماً درجات كلّ برج، حتّىٰ تتم ثلاثمائة وستون درجة، وهي تعيّنات الأسماء التي انطوت فيها، وهي مظهرها، فيكون بعدد درجات دورة الفلك الظاهر»[1].

ثمّ قال رحمه الله: «أو نقول: المراد بذلك الاسم: الغوث الأعظم الذي هو خاتمة كتاب الوجود، كما أنّ المعنىٰ الأول الذي هو فاتحته وروحانيته، وهو ختم الكلّ والاسم الأعظم، وقال خلفاؤه: (نحن الأسماء الحسنىٰ)[2] فجعله أربعة أجزاء ثلاثة منها ظاهرة، هي: العقل والقلب والنفس، وواحد مستور، هو أصلها المحفوظ الذي لا يعلمها إلّا الله.

وهذه الثلاثة هي المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿حم * عسق﴾[3] أي حقّ لا باطل، «محمد» الذي هو العقل والنفس والقلب، أو ﴿حم﴾ أي التسعة والتسعون من الأسماء، هو: العقل والنفس والقلب من الإنسان الكامل، أو الثّمانية والأربعون من الصور التي هي مجالي شمس الحقيقة، هي: العقل والنفس والقلب، ثم الأركان الاثنا عشر والدرجات الثلاثمائة والستون كما سبق.

وكان بروج نوره الواحد التي هي خلفاؤه في هذا العالم أيضاً اثني عشر، كلّ

---

(١) «شرح الأسماء» ص ٧١٥ ـ ٧١٦.
(٢) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٥.
(٣) «الشورىٰ» الآية: ١ ـ ٢.

Books.Rafed.net

واحد منها مظهر ثلاثين اسماً باعتبار من الأسماء المحيطة.

ثمّ المقصود من ذكر الأسماء: إمّا تعداد علىٰ سبيل التمثيل فلا كلام، وإمّا تعيين ثلاثين، فيكون بعضها من الأسماء المركّبة، كـ(الرحمن الرحيم) و(العـليّ العـظيم) مثلاً، فإنَّ (العلي) ـ مثلاً ـ مفرداً اسم من أسمائه وله خـاصيّة عـلىٰ حـدة، وكـذا لـ(العظيم)، ومركّباً اسم وله خاصّية أُخرىٰ، ومن المركّبة: (البـارئ المـنشئ). فـلا تكرار من الناسخ، كما زعمه الشارح المذكور»[1] انتهىٰ كلامه الشريف.

الأركان: جمع «ركن»، وهو جانب الشيء.

قول السائل: (ملأت أركانَ كلِّ شيء) أي أطرافه وجوانبه.

ثم اعلم أنّه كما قال العرفاء الشامخون: إنَّ كل نوع من الأنواع تحت اسم مـن أسماء الله تعالىٰ، وذلك النوع مظهر ذلك الاسم، كما أن الإنسان مظهر اسـم (الله)، والملك مظهر (السبوح) و(القدّوس)، والفلك مظهر اسم (الرفيع الدائـم)، والحـيوان مظهر (السميع والبصير)، والأرض مظهر (الخافض)، والهواء مظهر (المروّح)، والماء مظهر (المحيي)، والنار مظهر (القهّار) وهكذا.

وعلمت ممّا سبق أنّ الاسم عبارة عن المسمّىٰ مأخوذاً بـتعيّن مـن التـعيّنات الكماليّة، فكما أنّ ماء الحياة الذي هو الوجود المطلق سارية في جميع الأوديـة، ونفذت في أعماق الأشياء، كذلك توابع الوجود التي تـدور رحـاها عـلىٰ قـطب الوجود سارية في جميع الموجودات، ولكن في كلٍّ بحسبه وقدره، علىٰ ما اقتضته الحكمة الإلهية.

ثمّ إنَّ من الموجودات ما له أربعة أركان:

منها: أركان عرش علم الله تعالىٰ من العناية، والقلم، والقضاء، والقدر. وأركان عرشه العيني من الركن الأبيض، والركن الأصفر، والأخضر، والأحمر.

---

(١) «شرح الأسماء» ص ٧١٦.

Books.Rafed.net

ومنها: أركان عرش قلوب المؤمنين من العقل بالقوّة، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد.

ومنها: أركان علم الإنسان من التعقّل والتوهّم والتخيّل والتحسّس، وأركان بدنه من الماء والتراب والهواء والنار، هذه وسائطه، أو مركباته من الدم والبلغم والصفراء والسوداء.

وأركان بيت الله المعنوي أيضاً، التي هي: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ويقال لها: حملة العرش.

وأركان بيته الظاهري من الركن اليماني، والحجازي، والشامي، والعراقي، وغيرها ممّا لا نطيل الكلام بذكرها، فجميعها مالية[1] من صفاته وأسمائه تعالىٰ، كما قيل:

اجزای من وجود من همه اوست گرفت نامی است زمن برمن وباقی همه او است

(وَبِعلْمِكَ الَّذي أحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ)

المراد: علمه الذاتي الذي أحاط بعلمه الفعلي، وهو أحاط بجميع الأشياء ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[2] وقدرة ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾[3] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[4] ومن يشاء من عباده.

تحقيق معنىٰ العلم، وأنَّ أي قسم منه لائق به تعالىٰ

العلم: ما به ينكشف الشيء لدىٰ العالم، فهو إما بحصول صورة الشيء في الذهن، أو بحضور ذلك الشيء لدىٰ المجرّد.

بتقسيم آخر: العلم فعليّ وانفعالي، والعلم اللائق بجنابه تعالىٰ هو العلم الفعلي

---

(١) كذا في المخطوط.
(٢) «الطلاق» الآية: ١٢.
(٣) «يونس» الآية: ٦١.
(٤) «البقرة» الآية: ٢٥٥

Books.Rafed.net

الحضوري الذي هو نحو وجود كلّ شيء، وإحاطته محاطية وجودات الأشياء وحضورها لديه تعالىٰ؛ لأنّه لمّا كان تعالىٰ بسيط الحقيقة، محض الوجود وصرفه ـ وصرف الشيء واجد لما هو من سنخ ذلك الشيء، ومجرّد عمّا هو من أجانبه وأباعده، وبعيد الوجود لا يكون إلّا ما هو من سنخ العدم ـ كان كلّ وجود حاضراً له أشدّ من حضوره لنفسه، إذ كما قلنا: نسبة الشيء إلىٰ فاعله بالوجوب، وإلىٰ قابله بالإمكان.

ولا نعني بنفس الأشياء وقابلها إلّا الماهيات التي هي قابلة للوجودات الخاصة، فكما لا يشذّ عن حيطة وجوده تعالىٰ وجود، كذلك لا يعزب عن حيطة علمه مثقال ذرّة.

قال الحكماء: إنَّ الله تعالىٰ ظاهر بذاته لذاته، لكون ذاته بريئاً من جميع الحيثيّات، ومجرّداً عن كلّ الأحياز والجهات والأوقات، وكلّ مجرّد عالم بذاته، وذاته علّة لجميع ما سواه، والعلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول.

قال المعلم الثاني: الأوّل تعالىٰ هو الغني المغني الذي ينال الكلّ من ذاته[1].

فكما أنّ بوجود واحد مُظهر لجميع الموجودات بنحو البساطة، كذلك بعلم واحد يعلم جميع المعلومات، فكأن ذاته تعالىٰ كالصورة العلمية التي بها ينكشف ذو الصورة الخاصة، إلّا إنّ ذاته تعالىٰ بذاته ما به ينكشف جميع الأشياء، لا بصورة حاصلة زائدة.

وهاهنا كلام ينبغي أن يذكر، وهو قول المتكلّمين: إنَّ العلم أعمّ من القدرة؛ لتعلّقه بالممتنعات دون القدرة؛ لأن المقدور لابدّ أن يكون ممكناً. ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] أي كلّ شيء ممكن مستقيم قدير.

أقول: قال الحكماء: لا وجه لتولهم هذا؛ إذ الممتنع من حيث حقيقته التي هي

---

(١) «فصوص الحكم» للفارابي، ص ٥٩، فص ١١. (٢) «البقرة» الآية: ٢٠.

Books.Rafed.net

عين اللاشيئية كما أنّه ليس مقدوراً كذلك ليس معلوماً، كيف والمعدوم المطلق لا [يخبر][1] عنه، ومن حيث وجوده في نشأة الأذهان عالية كانت أو سافلة كما هو معلوم كذلك هو مقدور.

فإن قيل: علمه تعالىٰ يتعلّق بذاته، وذاته معلومة له تعالىٰ بخلاف قدرته، فكيف الاتحاد للعلم والقدرة؟

قلنا: تعلّق العلم والعالِمية بذاته تعالىٰ ـ كما قالوا ـ معناه: أنّ ذاته عين العلم، لا أنّ ذاته شيء وعلمه بذاته شيء آخر، فكذلك تعلّق القدرة والقادرية معناه أنّه عين القدرة، فالمساواة والاتحاد محقّقة بين مفهومي العلم والقدرة من حيث المصداق والوجود، وكلامنا ليس في اتحاد مفهومي المعلوم والمقدور. فثبت أنّ كلّ ما هو معلوم لله تعالىٰ بلغت إليه قدرته.

ثمّ إنّه ليت شعري بأيّ لسان أصف محاسن العلم ومحامده، وفي أي بيان أذكر شرافته وإنافته: العلم نعم القائد في طريق المشاهدة، ونعم الدليل في سبيل العيان، ولذا قال ﷺ: (اطلبوا العلم من المهد إلىٰ اللّحد)[2]، وقال: (اطلبوا العلم ولو بالصّين)[3]، وقال: (طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة).

العلم ثم العلم حبّذا رصد ... فلتطلبوا من مهدكم إلىٰ اللحد
ولتبتغوا ولو بسفك المهج ... ولتفحصوا ولو بخوض اللجج
وحق علم لهو التوحيد ... وحقّ قبلة هو المجيد

قال المولوي:

خاتم ملك سليمان است علم ... جمله عالم صورت جان است علم

---

(١) في المخطوط: «خبر».

(٢) «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ٧٠، ح ٣٧؛ «بحار الأنوار» ج ١، ص ١٧٧.

(٣) «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ٧٠، ح ٣٦؛ «بحار الأنوار» ج ١، ص ١٧٧.

Books.Rafed.net

آدمـــى ازيـن هـنر بـيچاره گشت خـــلق دريـاها وخـلق كـوه ودشت

(وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِيْ أَضاءَ لَهُ كُلَّ شَيءٍ)

أي بضياء فيضك المقدّس الذي استضاء به جـميع الأشـياء، واسـتنار بـه كـلّ الموجودات.

الفرق بين النور والضياء

قد فرّق بين النور والضياء بأنَّ الضياء: ما كان من ذات الشيء كالشمس، والنور: ما كان مكتسباً من غيره كما في القمر؛ ولذا قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾[1].

وفيما نحن فيه قد علمت مرازاً أنَّ وجهه تعالىٰ كالمعنىٰ الحرفي، داخل في صقع الذات، ليس له استقلال في نفسه، بل إضافة وإن كان بذاته، ولكن لا يكون لذاته، بل لعلّته التي هي ذات الله تعالىٰ، ولهذا قال السائل: (بنور وجـهك) ولم يـقل: بـضياء وجهك. وإن أطلق عليه لفظ (الضياء) و(الإضاءة) ـ كما قلنا في شرحه ـ فباعتبار أنّه عين الوجود كسائر الصفات، لا مكتسبة.

ولكن قوام الضياء والنور في الوجه لمّا كان بذاته الله العليا؛ لأنّه مقوّم الوجود وقيّومه، فكأنّه مكتسب ضوؤه من ذاته تعالىٰ، والتفاوت بين نوري الوجه والذات بالشدّة والضعف، كما قال عليه السلام (توحيده تعالىٰ تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)[2]، أي بينونة ثابتة في صفة الشدّة والضعف.

وفي الحديث: (إنّ لله تعالىٰ سبعين ألف حجاب من نور وسبعين ألف حجاب من ظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحاتُ وجهه كلّ ما انتهىٰ إليه بصره)[3].

---

(١) «يونس» الآية: ٥. (٢) «بحار الأنوار» ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٧.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٤٥؛ ج ٧٣، ص ٣١.

Books.Rafed.net

والمراد بـ(سبحات وجهه) تعالىٰ: إشراقاته وأنواره، كما في القاموس، قال: «سُبحات وجه الله: إشراقاته»[١]. وهي الأنوار القاهرة التي إمّا متكافئة من الطبقة العرضية، وإما مترتّبة من الطبقة الطولية.

والحجب التي بينها وبين عباده: المنشآت والمخترعات والمكوّنات، ونـوريّتها بالنسبة إلىٰ جهاتها الربانية، وظلمتها بالنسبة إلىٰ جهاتها النفسية.

وإطلاق عدد السبعين عليها إشارة إلىٰ كثرتها، كما أطلق علىٰ الأيام الربوبية تارةً ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢] وتارةً ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٣] إشارةً إلىٰ سعة تلك الأيام وطولها.

ويمكن أن يراد بالسُبحات الأنوار الذاتيّة، فحينئذٍ الحجب تكون أنواره الفعلية بجملتها ونوريتها وظلمتها، علىٰ قياس ما مرّ.

وقوله: (أضاء) من الإضاءة، وهو هنا لازم، وفاعله قوله: (كلّ شيء) إذ باب الأفعال قد يجيء لازماً. واللام في قوله: (له) للتعليل، والضمير راجع إلىٰ النور المضاف إلىٰ الوجه.

ويحتمل أن يكون متعدّياً، وفاعله ضمير مستتر راجع إلىٰ مرجع ضمير الخطاب، وهو الله تعالىٰ، من باب الانصراف من الخطاب إلىٰ الغيبة، والجملة الصلة مشتملة علىٰ ضمير عائد إلىٰ الموصول، وهو الهاء في (له). وحينئذٍ قوله: (كلّ شيء) كـان مفعولاً به، ولكن الأوّل أقوم.

و(أضاء) بمعنىٰ: استضاء.

---

(١) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٤٦٠، مادة «سبح»، وفيه: «أنواره»، بدل: «إشراقاته».

(٢) «البقرة» الآية: ٩٦.

(٣) «المعارج» الآية: ٤.

Books.Rafed.net

(يا نُور)

بيان قسمي النور الحسّي والمعنوي

النور قسمان:

حسّي: وهو الذي يجري علىٰ ظواهر السطوح، وعُرّف بأنّه كيفيّة ظاهرة بذاتها مُظهرة لغيرها، كالأنوار السراجية والكوكبية، حتّىٰ أظلالها وأظلال أظلالها، إلىٰ أن ينتهي إلىٰ الظلمة، وهي عدم قاطبة النور.

ومعنوي: وهذا حقّ حقيقة الوجود؛ لأنّها ظاهرة بذاتها ومظهرة لغيرها، وهذا هو القدر المشترك بين جميع مراتب النور المعنوي أيضاً، من الظل وظل الظل، والضوء وضوء الضوء إلىٰ نور الأنوار، والنيّر الحقيقي: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

فمراتب الوجود، من الحقائق والرقائق والأمثلة والأرواح والأشباح والأشعة والأظلّة، كلّها أنوار بحقيقته النورية لتحقّق هذا المعنىٰ فيها؛ لأنَّ حقيقة الوجود ظاهرة بذاتها، ومظهرة بها جميع الماهيات والأعيان الثابتات التي بذاتها لا موجودة ولا معدومة، ولا نورانية ولا ظلمانية، بل الماهية من حيث هي.

قال الحكماء: إذا سُئل بطرفي النّقيض فالجواب السلب لجميع الأطراف.

بيان فروق كثيرة بين النورين الحسّي والمعنويّ

ثمّ بين النورين الحسّي الظاهري العرضي والمعنوي الوجودي الحقيقي الذاتي فروق كثيرة، كما قال صدر المتألّهين[2] وغيره من الحكماء.

منها: أنّ النور الحسّي العرضي ـ كنور الشمس مثلاً ـ قائم بغيره، ونور الوجود قائم بذاته.

ومنها: أنّ النور الحسّي يجري علىٰ ظواهر السطوح والألوان المبصرة، ونور

---

(١) «النور» الآية: ٣٥.

(٢) «شرح الأسماء» ص ٢٦٩.

Books.Rafed.net

الوجود وسع كلّ شيء من المعقولات والمحسوسات، من المبصرات والمسموعات والمذوقات والمشمومات والملموسات والمتخيّلات والموهومات، وما وراء الحسّ والعقل.

ومنها: أنّ النور الحسّي انبسط علىٰ ظاهر الألوان، ونور الوجود نفذ في أعماق المستنيرات وبواطنها، حتىٰ لم يبق من المَستنير سوىٰ الاسم.

ومنها: أنّ النور الحسّي لا شعور له، وأنوار الوجود كلّها أحياء، بعضها بالحياة العامّ، وبعضها بالحياة الخاصّ، وبعضها بالحياة الأخصّ؛ إذ الحياة ثلاثة أقسام:

بيان ثلاثة أقسام للحياة أولها: الحياة العامة

الأوّل: وهي الحياة العامة، وهي التي في جميع الموجودات، من الدرّة إلىٰ الذرّة، هي نحو وجود الأشياء، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]؛ إذ التسبيح فرع الشعور والحياة، ومن الأشياء: الجماد والنبات، ولو لم تكن حية لما تسبح بحمده تعالىٰ، ولكنها حية بالحياة العامة.

ثانيها الحياة الخاصّة

الثاني: وهي الحياة الخاصّة، هي التي مبدأ الدرك والفعل، أدناها حياة الخراطين، وأعلاها هي الحياة الواجبة بذاتها.

ثالثها: الحياة الأخصّ

الثالث: وهي الحياة الأخصّ، التي تختص بأهل العلم والعرفان والإيمان بالله، وإلىٰ هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (الناس موتىٰ وأهل العلم أحياء)[2]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3].

والمقتول هاهنا أعمّ من المقتول الاضطراريّ كما في الشهداء، والمقتول

---

(١) «الإسراء» الآية: ٤٤.
(٢) «ديوان الإمام علي» ص ٥.
(٣) «آل عمران» الآية: ١٦٩.

Books.Rafed.net

الاختياري كما في العلماء المجاهدين الذين قتلوا أنفسهم بالرياضات والمجاهدات، وارتكاب الأعمال الشاقة والمخالفة مع نفوسهم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[١] و﴿تُوبُوا إِلَى اللهِ﴾[٢].

بيان أقسام الموت الاختياري:

فإذا بلغ الكلام إلىٰ هذا المقام فالأنسب أن نذكر الموتات الاختيارية الأربعة التي هي معتبرة عند أهل السلوك، ومشار إليها في قوله ﷺ: (موتوا قبل أن تموتوا)[٣].

فاعلم أنّ أقسام الموت الاختياري أربعة، وقيل: ثلاثة، بجعل أحد الأقسام ـ وهو الموت الأسود ـ في الموت الأحمر.

الأوّل: هو الموت الأبيض، وهو عبارة عن الجوع الذي يصفو القلب به، بل هو سحاب يمطر الحكمة، كما قال ﷺ: (الجوع سحاب يمطر الحكمة)[٤] وقال: (الجوع طعام الله تعالىٰ). فإذا اعتاد السالك نفسه بالتجوّع وقلّة الأكل والشرب، ابيّض قلبه وسرىٰ الابيضاض في وجهه، فحينئذٍ مات موتاً أبيض.

والثاني: الموت الأخضر، وهو عبارة عن لبس المرقّع، وهو الثوب الموصل من الخرق الملقاة في الطّرق، التي لا قيمة لها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (والله لقد رقَّعت مدرعتي هذه، حتّىٰ استحييت من راقعها، فقال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: اعزب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السرى)[٥].

فإذا قنع السالك من اللباس بالثوب المرقّع اخضرّ عيشه، ووجدت نضارة في وجهه، مات بالموت الأخضر.

والثالث: الموت الأحمر، وهو عبارة عن المجاهدة مع النفس، ويسمّىٰ بالجهاد

---

(١) «النساء» الآية: ٦٦.
(٢) «النور» الآية: ١٣.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٦٦، ص ٣١٧، ج ٦٩، ص ٥٩.
(٤) انظر «الأُصول الأصيلة» ص ١٦٥.
(٥) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٦٠.

Books.Rafed.net

الأكبر، كما قالﷺ حين رجوعه من بعض غزواته: (قد رجعنا من الجهاد الأصغر، عليكم بالجهاد الأكبر). قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: (مخالفة النفس)[١].

فإذا خالف السالك أهوية نفسه، وعَبدَ الله تعالىٰ، وقوىٰ عقله في الطاعات وتحصيل المعارف، فقد مات بالموت الأحمر؛ لإهراق دم النفس.

والرابع: الموت الأسود، وهو عبارة عن تحمل الملامة والأذىٰ من الشامتين اللائمين، في حبّ الله تعالىٰ، ومحبّة أوليائه من النبيين والشهداء والصدّيقين، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[٢]. وقال الشاعر:

أجِدُ المَلامَةَ في هَواكَ لَذيذَةً ... حُبّاً لِذِكرِكَ فَلْيَلُمني اللُّوَّمُ[٣]

فإذا لم يكترث السالك بتشنيع الواشين ولوم اللائمين في الحبّ، مات بالموت الأسود.

وسرّ التسمية والتوصيف بهذه الأوصاف واضحة.

أمّا في الأوّل؛ لابيضاض وجه السالك بالجوع، كما مرّ، وفي الثاني لاخضرار عيشه بالقناعة، وفي الثالث لإهراق دم النفس في الرياضة، وفي الرابع لاسوداد وجه السالك بملامة الواشين.

ومنها: أنّ النور الحسّي له أوّل وله ثان، وله مقابل، ونور الوجود ليس له أوّل ولا ثانٍ ولا مقابل؛ لأنّه واحد بالوحدة الحقّة الحقيقية، ولا مضادّ له.

نقل كلام شيخ الاشراقيّين

قال الشيخ المقتول شهاب الدين السهروردي، رئيس الحكماء الإشراقيّين: «وإخوان التجريد يشرق عليهم أنوار، ولها أصناف:

---

(١) «الكافي» ج ٥، ص ١٢، ح ٣؛ «المحجة البيضاء» ج ٥، ص ١٣، باختلاف.

(٢) «المائدة» الآية: ٥٤.

(٣) «مختصر المعاني» ص ٣٠٦. والقائل: هو أبو الشيص.

Books.Rafed.net

الأول: نور بارق يرد عليهم، وينطوي كلمعة بارقة لذيذة.

والثاني: وهو بعد الأول، نور بارق أعظم من النور الأوّل، وأشبه منه بالبرق، إلّا إنّه برق هائل، وربما يسمع معه كصوت رعد، أو دوي في الدماغ.

والثالث: نور وارد لذيذ، يشبه وروده ورود ماء حار علىٰ الرأس.

والرابع: نور ثابت زماناً طويلاً، شديد القهر، يصحبه خدر في الدماغ.

والخامس: نور برّاق لذيذ جدّاً، لا يشبه البرق، بل يصحبه بهجة لطيفة حلوة، تتحرّك بقوّة المحبّة.

والسادس: نور محرق، يتحرّك من تحريك القوّة العزّية، وقد يحصل من سماع طبول وأبواق وأُمور هائلة للمبتدئ.

والسابع: نور لامع في خطفة عظيمة، يظهر مشاهدةً وإبصاراً، أظهر من الشمس في لذة مغرقة.

والثامن: نور برّاق لذيذ جدّاً، يتخيّل كأنّه متعلّق بشعر الرأس زماناً طويلاً.

والتاسع: نور سانح مع قبضة مثالية، تتراءىٰ كأنّها قبضت شعر رأسه، وتجرّه شديداً وتؤلمه ألماً لذيذاً.

العاشر: نور مع قبضة، تتراءىٰ كأنّها متمكّنة في الدماغ.

الحادي عشر: نور يشرق من النفس علىٰ جميع الروح النفساني، فيظهر كأنّه تدرّع بالبدن شيء، ويكاد يقبل روح جميع البدن صورةً نوريةً، وهو لذيذ جداً.

الثاني عشر: نور مبدؤه في صولة، وعند مبدئه يتخيّل الإنسان كأنّ شيئاً ينهدم.

الثالث عشر: نور سانح، يسلب النفس وتتبيّن معلّقة محضة، منها تشاهد تجرّدها عن الجهات.

الرابع عشر: نور يتخيّل معه ثقل لا يكاد يطاق.

الخامس عشر: نور معه قوّة تحرّك البدن، حتّىٰ يكاد يقطع مفاصله.

وهذه كلّها إشراقات علىٰ النور المدبّر، فتنعكس علىٰ الهياكل وعلىٰ الروح

Books.Rafed.net

النفساني، وهذه غايات المتوسّطين.

وقد تحملهم هذه الأنوار فيمشون علىٰ الماء والهواء، وقد يصعدون إلىٰ السماء مع أبدان، فيلتصقون ببعض السيارة العلوية، وهذه أحكام الإقليم الثامن، الذي فيه جابلقا وجابرصا وهورقليا ذات العجائب.

وأعظم الملكات ملكة موت، ينسلخ النور المدبّر من الظلمات البـدنيّة وإن لم يخل عن بقية علاقة مع البدن، إلّا أنّه يبرز إلىٰ عالم النور ويصير مـعلّقاً بـالأنوار القاهرة، ويصير كأنّه موضوع في النّور المحيط.

وهذا [المقام][1] عزيز جدّاً، حكاه أفلاطون عن نفسه وهرمس وكبار الحكماء، وصاحب هذه الشريعة وجماعة من المُنسلخين عن النواسيت، ولا يـخلو الأدوار عن هذه الأمور، وكلّ شيء عنده بمقدار.

ومن لم يشاهد في نفسه هذه المقامات فلا يعترض علىٰ أساطين الحكمة، فإنّ ذلك نقص وجهل وقصور، ومن عبد الله علىٰ الإخلاص، وتاب[2] عـن الظـلمات، ورفض مشاعره، يشاهد ما لا يشاهد غيره»[3] انتهىٰ كلامه رفع مقامه.

ثم إنّ من المعلوم أنّ مراد السائل بالنور هاهنا هو حقيقة الوجود التي أنارت كلّ الظلمات الإمكانية، من الدرّة البـيضاء إلىٰ الذرّة الهـباء، واسـتشرقت بـها جـميع الماهيات، من الجواهر والأعراض وما فوقها، وهو نور الأنوار، بهر برهانه وقـهر سلطانه.

(يا قُدّوسُ)

(سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والرّوح)

(القُدُّوس) ـ بضم القاف وتشديد الدال مع ضـمّها ـ وكـذا (السُـبُّوح)، بـمعنى:

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: ومات.

(٣) «حكمة الإشراق» ضمن مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ١، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥، باختلاف.

Books.Rafed.net

الطاهر، المنزّه عن العيوب والنقائض. وقد يفتح القاف في (القدّوس) والسين في (السبوح).

فهو تعالىٰ قدّوس، أي منزّه عن جميع النقيصة والعيب حتّىٰ عن الماهيّة؛ لأنه تعالىٰ ماهيته إنيته، وهي تأكدّ الوجود والوجوب وشدّة النورية، كما قرّر في محلّه، ومجرّد عن جميع المواد، سواء كانت المادّة بمعنىٰ المحلّ المستغني فيها، كما في المادّة بمعنىٰ الموضوع بالنّسبة إلىٰ العرض، أو كانت المادّة بمعنىٰ المتعلّق، كما في البدن بالنسبة إلىٰ النفس، أو كانت المادّة العقلية، كالجنس إذا أخذ بشرط (لا) في البسائط الخارجيّة، كالأعراض أو كالمادة التبعية؛ لأنَّ هذه معنىٰ المادّة العقلية في الأعراض، وكالماهية بالنسبة إلىٰ الوجود، فإنَّ الماهية مادّة عقلية للوجود. فعلت ساحة كبريائه تعالىٰ عن أن يصل إليها أغبرة النقائص والحاجات والماهيات والموادّ علوّاً كبيراً، كما قيل:

أنت المنزّه عن نقصٍ وعن شينٍ حاشاي حاشاي عن إثبات اثنين[1]

(يا أَوَّلَ الأَوَّلينَ وَيا آخِرَ الآخِرينَ)

هاتان الأولية والآخرية ليستا زمانيتين كما يتبادر إلىٰ بعض الأوهام؛ لأنّه تعالىٰ ليس في حدّ من حدود الزمان حتّىٰ يحيط به، وكيف يسع للزمان الذي هو من مبدئه إلىٰ منتهاه كالآن الواحد بالنّسبة إلىٰ مقرّبي حضرته تعالىٰ، فكيف بجنابه أن يظهر الزمان في سطوع نوره تعالىٰ؟

بل هذه الأوليّة والاخريّة سرمديّتان وذاتيتان؛ إذ وعاء وجوده تعالىٰ هو السرمد، كما أنّ وعاء وجودات العقول والنفوس المفارقة هو الدهر، ووعاء الطبائع السيّالة

---

(١) لم نعثر عليه بهذا النظم وفي «ديوان الحلاج» ص ١٦٠:
أأنت أم أنا هذا في إلهين حاشاك حاشاك من إثبات اثنين

Books.Rafed.net

الممتدة وعوارضها هو الزمان. فهو تعالىٰ (أوّل الأوّلين)؛ إذ منه بدء وجود كل أوّل في السلسلة النزولية، و(آخر الآخرين)؛ إذ إليه ينتهي كلّ آخر في السلسلة الصعودية، وليس قبله ولا بعده تعالىٰ شيء، حتّىٰ يكون هو أوّل الأولين وآخر الآخرين.

وفي ابتداء دعاء الاعتصام، قال: (اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دُونك شيء)[1].

وتحقيق المقام: أنّه تعالىٰ لمّا كان في الاجادة والإفاضة علىٰ أهل مملكته هو المبدأ الأوّل والموجد الأعزّ الأجلّ، ثم فاض منه الجود إلىٰ العقل الأول، ومنه إلىٰ العقل الثاني، ثم منه إلىٰ الثالث حتىٰ العاشر، ثم منه إلىٰ أهل هذا العالم، فهؤلاء العقول هم الأولون بعد الحقّ الأوّل تعالىٰ، ووسائط جوده بالنسبة إلينا في [النزول][2]، فهو (أول الأوّلين)، وكذلك في الصعود: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[3] من البشرية إلىٰ الملكية، ومنها إلىٰ العقل الفعّال، ثم إلىٰ العقول الأُخر، حتّىٰ العقل الأول، ومنه إلىٰ الفناء في الحضرة الواحدية، فهو تعالىٰ (آخر الآخرين).

أو بطريق آخر نقول: ثمَّ فاض منه تعالىٰ الجود إلىٰ العقل، ومنه إلىٰ النفس، ومنها إلىٰ المثال، ومنه إلىٰ الأفلاك، ومنها إلىٰ عالمنا: العناصر الهيولاني.

أو نقول: ثمّ فاض إلىٰ الجبروت، ثم إلىٰ الملكوت بقسميها، ثم إلىٰ الناسوت. وتلك العوالم متطابقة.

وكذا نقول في العود إلىٰ الله تعالىٰ، كما قال المولوي؛ﷺ في المثنوي:

از جمادی مردم ونامی شدم　　وزنما مردم از حیوان سرزدم
مردم از حیوان وپس آدم شدم　　از چه ترسم کی زهر من کم شدم

---

(١) «مصباح المتهجد» ص ٤٨٧.　　(٢) في المخطوط «الزوال».
(٣) «فاطر» الآية: ١٠.

Books.Rafed.net

بار ديگر بايد هم مرد از بشر تا برآدم از عهد يك بال وپر

بار ديگر ازملك قربان شوم آنچه اندروهم نايد آن شوم

بار ديگر بايدم حبن نرجو كل شيء هالك الاوجه هو

پس عدم كردم عدم چون ازغنون گويدم كلنا إليه راجعون

والذي لا يبلغ الأوهام دركه هو العقل، ولذا قال: «آنچه اندروهم نايد آن شوم». والبيت الآخر إشارة إلىٰ الفناء التام في الحضرة الواحدية، وهو قرّة عين العارفين.

أو نقول: هو تعالىٰ أول السلسلة الطولية النزولية، ومبدأ المبادئ: (كان الله ولم يكن معه شيء)[1]، وآخر السلسلة الطولية الصعودية، وغاية الغايات ﴿أَلا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[2] ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3]. هذا ما عندي لأوّليته تعالىٰ وآخريته طولاً.

وأمّا عرضاً، فنقول: هو تعالىٰ أوّل الأنبياء والمرسلين، وما خلق من نوع الآدميين في الأدوار والأكوار؛ إذ العلّة واجدة لكمال المعلول، وهؤلاء معاليل الله تعالىٰ، فهو أوّل الأولين وآخر الآخرين؛ لأن إليه تعالىٰ تنتهي سلسلة الأنبياء والأولياء والكمّلين، عليهم سلام الله أجمعين.

ثم لمّا سأل السائل عن الله تعالىٰ، ووصف طائفة من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، استشعر بجماله وجلاله، وتحيّر في عظمته تعالىٰ وكماله، فبهر في عقله والتفت إلىٰ ذنوبه وآثامه، فارتعش من خوفه تعالىٰ فرائصه وعظامه، فرفع يديه ملحّاً وفزعاً إليه، فقال مستغفراً منه تعالىٰ:

---

(١) «جامع الأسرار» ص ٥٦. (٢) «الشورىٰ» الآية: ٥٣.

(٣) «البقرة» الآية: ١٥٦.

Books.Rafed.net

(اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ اَلذّنُوبَ الَّتي تَهْتِكُ اَلعِصَمَ)

الغفران والمغفرة: الستر، ومنه قولهم: جاؤوا الجمّ الغفير، أي الجمع الستير، يعني: لكثرتهم كأنهم ستروا وجه الأرض من جوانبه. وهو تعالىٰ غفور وغفّار، أي ستّار للجرائم والخطيئات الشرعية، والنقائص الإمكانيّة، بذيل رحمته الرحمانية ورحمته الرحيمية.

نقل كلام المحقّق السبزواري

و(الذنوب) جمع (الذنب)، وهو الإثم والجريمة.

الذنوب والكبائر

والذنب والخطيئة كما قال صدر المتألّهين، نقلاً عن كلمات الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ : «تنقسم إلىٰ ما هو ذنب وخطيئة بالنسبة إلىٰ أصل الشرع، كشرب الخمر والميسر، وغيرهما من الماهيات الشرعية، وإلىٰ ما يصير ذنباً بالنية والعزم، كالتزيين للزنا، والأكل للتقوي علىٰ المعصية، وإلىٰ ذنب الجوارح وذنب القلوب، وكل منهما إلىٰ الصغيرة والكبيرة»[1].

نقل الأقوال في تعيين الكبيرة

ثمّ قال: «واختلفت آراء الأكابر في الكبائر علىٰ أقوال شتىٰ، وليس للقلب اطمئنان علىٰ أدلّتهم، ولعل في اختفائها حكمة، وهي الاجتناب عن جميع المعاصي، مخافة من الوقوع فيها.

فقال قوم: هي كلّ ذنب توعّد الله تعالىٰ عليه في الكتاب المجيد بالعذاب والوعيد[2].

---

(١) «شرح الأسماء» ص ١١٦، بتفاوت.

(٢) «كتاب الكبائر» ص ٨؛ «الجامع لأحكام القرآن» ج ٥، ص ١٥٩.

Books.Rafed.net

وقال بعضهم: هي كلّ ذنب رتّب عليه الشارع حدّاً، أو نصّ فيه بالعقاب[١].

وقالت فرقة: إنّها كلّ خطيئة تؤذن بأنّ فاعلها قليل الاعتناء في دين الله تعالىٰ.

وقال جماعة: إنّها كلّ ذنب ثبت حرمته بالبرهان.

وقالت طائفة: هي كلّ ذنب أوعد الله تعالىٰ فاعلها في القرآن الحكيم بـالعذاب الأليم، أو أوعد حججُه تعالىٰ في سنّتهم السديدة بالعقوبة الشديدة[٢].

وعن عبد الله بن مسعود أنّه قال: اقرؤوا من أوّل سورة النساء إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٣]، فكلّ ما نهي عنه في هذه السورة إلىٰ هذه الآية فهو كبيرة.

وقالت طائفة: الذنوب كلّها كبائر؛ لاشتراكها في مخالفة الأمر والنهي، لكن قد يطلق الصغيرة والكبيرة علىٰ الذنب بالإضافة إلىٰ ما فوقه وما تحته، كما أنَّ القُبلة بالنسبة إلىٰ الزنا صغيرة، وبالنسبة إلىٰ النظر بالشهوة كبيرة.

قال الشيخ الجليل أمين الإسلام أبو علي الطبرسي ـ طاب ثراه ـ فـي مـجمع البيان بعد نقل هذا القول: «وإلىٰ هذا ذهب أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ فإنّهم قالوا: المعاصي كلّها كبيرة، لكنَّ بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغيرة، وإنما تكون صغيرة بالإضافة إلىٰ ما هو أكبر، ويستحق العقاب عـليه أكـثر»[٤]. انـتهىٰ كلامه قدس سره.

وفي مجمع البحرين: قال: «الذنوب تتنوع إلىٰ: مالية وبدنية، وإلىٰ: قولية وفعلية، والفعلية تختلف باختلاف الآلات التي تفعل بها، إلىٰ غير ذلك.

فمنها: ما يغيّر النعم، ومنها: ما يُنزل النقم ومنها: ما يقطع الرجاء، ومنها: ما يديل الأعداء، ومنها: ما يردُّ الدعاء، ومنها: ما يستحق بها نزول البلاء، ومنها ما يحبس

---

(١) «التفسير الكبير» ج ١٠، ص ٦١، حكاه عن ابن عباس.

(٢) «التفسير الكبير» ج ١٠، ص ٦١.

(٣) «النساء» الآية: ٣١.

(٤) «مجمع البيان» ج ٣، ص ٥١.

Books.Rafed.net

غيث السماء، ومنها: ما يكشف الغطاء، ومنها: ما يعجّل الفناء، ومنها: ما يُظلم الهواء، ومنها: ما يورث الندم، ومنها: ما يهتك العصم، ومنها: ما يدفع القسم، إلىٰ غير ذلك».

ثمّ قال: «واعلم أنَّ جميع الذنوب منحصرة في أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والشهوة، والغضب. هكذا روي عنهم عليهم السلام»[1] انتهىٰ.

أقول: لعل مراده بالانحصار في الأوجه الأربع أنَّ أسباب الذنب منحصرة في هذه الأوجه، بل منحصرة في الشهوة والغضب فقط؛ لأنَّ الحرص والحسد من صفات الشهوة والغضب، وخواصّهما: الهتك والمزق والخرق.

بيان العصمة

و(العِصَم): جمع «عصمة»، كـ«نِعَم»: جمع «نعمة»، وهي لغةً[2]: المنع. وفي اصطلاح الفقهاء والحكماء: كيفيّة روحانية يمتنع بها صدور الخطأ عن صاحبها؛ لعلمه بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

فإذا بلغ الكلام إلىٰ هذا المقام، فالأنسب أن نفصّل العصمة بأنّها ما هي وفي من هي؟ وفي كم هي؟ ومتىٰ هي؟ وعمّ هي؟ ولِمَ هي؟

أما الأوّل: فقد ذكرتها.

وأمّا الثاني: فهي في الأنبياء والأئمة الاثني عشر، وفي الملائكة.

والظاهريون الذين قالوا: إنّ الملائكة أجسام لطيفة هوائية، تقدر علىٰ التشكّل بأشكال مختلفة، مسكنها السماوات، وفيهم داعية الشهوة والغضب، يجوّزون عليهم المعصية، واختلفوا في عصمتهم.

وعمدة ما أوقعهم في الشبهة والاختلاف في عصمة الملائكة أمران:

أحدهما: الاستثناء في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[3].

---

(١) «مجمع البحرين» ج ٢، ص ٦١.

(٢) «لسان العرب» ج ٩، ص ٢٤٤، مادة «عصم».

(٣) «البقرة» الآية: ٣٤.

Books.Rafed.net

والثاني: حكاية هاروت وماروت، فإنّهما كانا ملكين ففسقا عن أمر ربهما.

وأُجيب عن الأول: أنّه بني علىٰ التغليب، أو يكون المستثنىٰ فيه منقطعاً.

وعن الثّاني بأنّها مؤوّلة، وقد أوّلها العلّامة، في التفسير الصافي[1]، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[2]، بعد ذكر أحاديث كثيرة مختلفة الورود في قصتهما عن الأئمةعليهم السلام. والآيات الدالّة علىٰ عصمتهم في القرآن الحكيم كثيرة جداً.

وأمّا الثالث، فجميع الفقهاء والحكماء والمتكلمين مطبقون علىٰ وجوب عصمة الأنبياء في اعتقاداتهم، وقائلون بأنّهم معصومون عن الكفر، إلّا الخوارج ـ لعنهم الله ـ فإنّهم يقولون: من صدر عنه الخطيئة فهو كافر[3]، ويجوّزون صدور الذنب عن النبيينعليهم السلام.

وأمّا الرابع، قال كثير من المعتزلة[4]، وجمّ غفير من الأشاعرة[5]: إنّ العصمة مخصوصة بزمان البعثة في الأنبياء، ولا يجب قبلها.

وأمّا الخامس ـ يعنَي العصمة عن الصغيرة والكبيرة، عمدهما أو سهوهما ـ ففيه أقوال ومذاهب[6]:

فالحشويّة قد جوّزوا تعمّد الصغيرة والكبيرة علىٰ الأنبياء، وكثير من المعتزلة جوّز تعمّد الصغيرة، بشرط عدم خساستها، كسرقة اللقمة وتطفيف الكيل، وأمثال ذلك.

والحنابلة قالوا: جاز صدور الذنب عن الأنبياء علىٰ سبيل الخطأ في التأويل.

---

(١) «التفسير الصافي» ج ١، ص ١٧٠ ـ ١٧٢. (٢) «البقرة» الآية: ١٠٢.

(٣) انظر: «شرح المقاصد» ج ٥، ص ٤٩ ـ ٥٠، «مناهج اليقين» ص ٢٧٩.

(٤) انظر «تنزيه الأنبياء» ص ١٦. (٥) انظر «قواعد المرام» ص ١٢٥.

(٦) انظر «شرح المقاصد» ج ٥، ص ٤٩ ـ ٥١، «كشف المراد» ص ٣٤٩، «الذخيرة في علم الكلام» للمرتضىٰ، ص ٣٢٨، «مناهج اليقين» ص ٢٨٠.

Books.Rafed.net

والأشاعرة قالوا بصدور الصغيرة عنهم سهواً لا عمداً. وغيرها من أباطيلهم التي ما لاقت بالذكر.

فالمذهب الذي هو أحقّ وأليق بالذكر ما ذهب إليه الإمامية، من وجوب العصمة في الأنبياء والأوصياء والملائكة مطلقاً، وفي تمام عمرهم، سواء كان في الاعتقاديات، أو في التبليغ، أو في الفتوىٰ، أو في الأحوال والأفعال، صغائر كانت الذنوب أم كبائر، ولا يجوز السهو والنسيان عليهم عليهم السلام.

وأمّا السادس ـ أي الدليل عليها ـ فكما قالوا من أنَّ صحة الوجوب علىٰ الله كالوجوب من الله، وقد تقرر عند المحقّقين من أهل الكلام[1] أنّ اللطف علىٰ الله واجب، ومن هنا وجب علىٰ الله بعث النبي ونصب الإمام. وقالوا: لا شكَّ أنَّ العصمة علىٰ الوجه المذكور أدخل وأمدّ في اللطف، ولهذا يجب تنزّههم عن العيوب والنقائص الخُلقية كالخَلقية، فلا يجوز علىٰ الحكيم الإخلال به.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام: (الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف). قيل: فما معنىٰ المعصوم؟ قال عليه السلام: (المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، فلا يفترقان إلىٰ يوم القيامة)[2].

ثمّ المراد بالعصمة في قول السائل معناها اللغوي، وهو زجر العقل ومنع النفس من الوقوع في المعصية.

و(الذنوب التي تهتك العصم) ـ علىٰ ما روي[3] عن الصّادق عليه السلام ـ هي: شرب الخمر واللعب والقمار، وفعل ما يضحك الناس من المزاح واللهو، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب. فليتجنب عن جميعها؛ لئلا يهتك العصمة.

(اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتي تُنْزِلُ ٱلنِّقَمَ)

---

(١) «قواعد المرام» ص ١١٨؛ «إرشاد الطالبين» ص ٢٧٧.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ١٩٤، ح ٥.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٧٠، ص ٣٧٥.

Books.Rafed.net

(النقم) جمع «نقمة»، كـ«نِعَم» جمع «نعمة»، أصلها «نَقِمة» ـ بكسر القاف ـ وزان «كَلِمة» بمعنىٰ الأخذ بالعقوبة، والجمع: «نَقِمات» و«نِقَم»، كـ«كلمات» و«كَلِم» جمع «كلمة».

ولكن قال الجوهري: «وإن شئت سكّنت القاف، ونقلت حركتها إلىٰ النون، فقلت: نقمة، والجمع نقم، كنِعْمة ونِعَم»[1] انتهىٰ.

بيان ما يترتب علىٰ الذنوب

و(الذنوب) التي تصير سبباً لنزول النقم هي ـ علىٰ ما جاءت به الرواية ـ: نقض العهد، وظهور الفاحشة، وشيوع الكذب، والحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ، ومنع الزكاة، وتطفيف الكيل. قال رسول الله ﷺ: (خمس بخمس). قالوا: يا رسول الله، ما خمس بخمس؟ قال ﷺ: (ما نقض قوم العهد إلّا وسلّط الله عليهم عدوهم، وما ظهرت عنهم الفاحشة إلّا وقد فشا فيهم الموت، وما شاع فيهم الكذب والحكم بغير ما أنزل الله إلّا وقد فشا فيهم الفقر، وما منعوا الزكاة إلّا حبس عنهم القطر، وما طفّفوا الكيل إلّا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين)[2].

كما قال المولوي:

ابـــر بـــرنايد پـــى مـــنع زكـــاة ... وززنـــا افـــتروبا انـــدر جـــهات

قال تعالىٰ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنْ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3].

(اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنوبَ الَّتي تُغَيّرُ النِّعَمَ)

(النِعَم): جمع «نعمة» ـ بكسر النون ـ وهي ما يلتذّ ويتنعّم به الإنسان من المال

---

(١) «الصحاح» ج ٥، ص ٢٠٤٥، مادة «نقم».

(٢) «بحار الأنوار» ج ٧٠، ص ٣٧٠.

(٣) «البقرة» الآية: ٥٩.

Books.Rafed.net

والنساء، والقوىٰ والآلات والأدوات، والصحة والفراغة، والمأكولات والمشروبات، والأنعام من الأغنام والإبل والخيول والبغال والحمير والبقرات، وغيرها ممّا أنعم الله به علىٰ عباده، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1].

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

في المجمع قال: «قال بعض الأعلام: يكتب في اللوح أشياء مشروطة وأشياء مطلقة، فما كان علىٰ الإطلاق فهو حتم لا يغيّر ولا يبدّل، وما كان مشروطاً ـ نحو أن يكون مثبتاً في اللوح أنّ فلاناً إن وصل رحمه مثلاً يعيش ثلاثين سنة، وإن قطع رحمه فثلاث سنين ـ فإنما يكون ذلك بحسب حصول الشرط، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَمْحُو ٱللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3]»[4] انتهىٰ.

الذنوب المغيرة للنعم

و(الذنوب التي تغيّر النعم) ـ كما جاءت بها الرواية ـ: ترك شكر المنعم، والافتراء علىٰ الله والرسول، وقطع صلة الرحم، وتأخير الصلاة عن أوقاتها حتّىٰ انقضت أوقاتها، والدياثة، وترك إغاثة الملهوفين المستغيثين، وترك إعانة المظلومين.

وبالجملة، قد قرّر الشارع لكلّ نعمة أنعم الله بها علىٰ عباده شكراً وطاعة، كما قال تعالىٰ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[5].

ومعلوم أنّ تركه يصير سبباً لأخذ المنعم تلك النعمة عن المنعَم عليه.

وعن الصادق عليه السلام، قال: «نحن والله نعمة الله التي أنعم بها علىٰ عباده، وبنا فاز من فاز»[6].

---

(١) «إبراهيم» الآية: ٣٤.
(٢) «الأنفال» الآية: ٥٣.
(٣) «الرعد» الآية: ٣٩.
(٤) «مجمع البحرين» ج ٣، ص ٤٣١، مادة «غير».
(٥) «إبراهيم» الآية: ٧.
(٦) «بحار الأنوار» ج ٩، ص ١١٢، ٢١٨.

Books.Rafed.net

أقول: لمّا كانوا عليهم السلام وسائط فيض الله تعالىٰ وجوده، ومجالي نوره وظهوره، ومكامن سرّه، كما قال عليه السلام (بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار...)[1]، أي صرتم ذوي فجر.

وقوله عليه السلام: (تسنّمتم العلياء) أي ركبتم سنامها.

فما من نعمة فاضت علىٰ الخلق إلّا بواسطتهم وبأيديهم، فهم النعم العظمىٰ، والدولة القصوىٰ من الله تبارك وتعالىٰ في الآخرة والأُولىٰ، كما قيل:

من فضل ربّهم ولاته ارتوتْ ... أنوارهم في نورهم قد انطوتْ
وقرب فرض الكلّ مثل النفلِ ... كالفرع ثم قربهم كالأصلِ
بأرضهم تستنسر البغاثُ ... والمستغيثين بهم أغاثوا
مجد بناته وفضل كرم ... في غرف مبنية عليهم

ثم إنّ النعم تشتمل النعم الباطنة من العلم والحكمة والعرفان، والإيمان بالله وباليوم الآخر، والأنبياء والرسل والأوصياء الاثني عشر، عليهم صلوات الله الملك الأكبر إلىٰ يوم المحشر.

بيان الذنوب المغيّرة للنعم

فالذنوب التي تغيّر تلك النعم وتذهب بنورها هي الخطيئات التي يعدّها أهل السلوك إلىٰ الله تعالىٰ أيضاً ذنباً، كالتوجّه إلىٰ غيره تعالىٰ وترك الأولىٰ، وكثرة الأكل والشرب والنوم، وقلّة الاكتراث بالصلاة والصوم، وكلّ ما كان من هذا القبيل من الهواجس النفسانية، فضلاً عن الوساوس الشيطانية. فليتجنب العبد المؤمن عن جميع هذه الذنوب، بعناية الله الحبيب المحبوب.

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٣٢، ص ٢٣٧.

Books.Rafed.net

(اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُنُوبَ الّتي تَحبِسُ الّدعاء)

حبس يحبس ـ من باب «ضرب» ـ حبساً. الحبس: الوقوف والتوقيف، خلاف الإطلاق والإرسال.

والذنوب التي تحبس الدعوات وتمنعها عن الوصول إلىٰ ذروة إجابة قاضي الحاجات ـ علىٰ ما روي عن سيّد الساجدين زين العابدين عليه السلام ـ (هي: سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلاة المفروضة حتىٰ تذهب أوقاتها)[١].

بيان الذنوب الحابسة لغيث السماء

وقال عليه السلام في الذنوب التي تحبس غيث السماء: (هي جور الحكّام، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة، والمعاونة علىٰ الظّلم، وقساوة القلب علىٰ الفقراء)[٢].

وبالجملة، من الذنوب التي تحبس الدعاء: فساد النيّات للأغراض الباطلة المتعلّقة بالاتجاه إلىٰ العاجلة والترك عن الآجلة، الكاشفة عن الأهوية الفاسدة والعقائد الكاسدة، كما قال الله تعالىٰ ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[٣].

فخير الدعوات وقربها من الإجابة هو تطابق لسان الحال مع لسان المقال، كما قال المولوي:

ما درون را بنگريم وحال را ... نى زبان را بنگريم وقال را
ناظرقبسيم اگر خاشع بود ... گرچه گفت لفظ ناخاشع بود

قال صدر المتألهين رحمه الله: «فاعلم أنّه لا دعاء بلسان الاستعداد والحال غير

---

(١) «معاني الأخبار» ص ٢٧١، ح ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٦، ص ٢٨٢، أبواب الأمر والنهي، ب ٤١، ح ٨

(٢) «معاني الأخبار» ص ٢٧١، ح ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٦، ص ٢٨٢، أبواب الأمر والنهي، ب ٤١، ح ٨

(٣) «المؤمنون» الآية: ٧١.

Books.Rafed.net

مستجاب، إلّا ما هو من باب لقلقة اللسان فقط، كما يقول الجالس في مساكن ذكر الله ببدنه: اللهم ارزقني توفيق الطاعة، وبُعد المعصية. ولكن جميع أركانه وجوارحه وملكاته الراسخة، وأخلاقه الرذيلة، وشياطينه الذين صارت قلبه عشهم، وبهائم شهواته، وخنزير حرصه، وكلب غضبه اللاتي غدت باطنه مرتعها، كلّهم ينادون ويقولون: اللهم اخذلنا بالمعصية، ويتسغيثون ويطلبون أرزاقهم، وهو تعالىٰ مجيب الدعوات ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

وكما يقول الإنسان الطبيعي المطيع للوهم: اللهم أَبقني في الدنيا، وهو بسرّه وعلانيته حتّىٰ وهمه متوجّه إلىٰ ربّه، كلٌّ يبتغي وجهه، والتمكّن في داره أو سجنه، وأركان بدنه تطلب أحيازها الطبيعية، وفروخه المحتبسة في بيوض المواد من قواه ـ العلّامة والعمّالة ـ تستدعي النهوض والطيران، بل الأدوار والأكوار تقتضي آثارها، بل الأعيان الثابتة التابعة اللازمة للأسماء يقولون لكل أُمة من الصور انطبعت وتعلّقت بالمادّة: إلىٰ متىٰ تلبثون هنا وتعطّلون المواد، ألم تنقض نوبتكم؟ فشمروا لسفركم، وتأهّبوا للقاء أميركم؛ ليصل النوبة إلىٰ طائفة أُخرى.

ولذا فالروح تتمنىٰ الموت وتفارق البدن بالاختيار، والكاره له هو الوهم وإن كان هو أيضاً طالباً له بلسان الاستعداد: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[2].

ولسان المقال أيضاً دعاؤه مستجاب؛ لكونه يستدعي غذاءه الذي هو النطق، أيّ نطق كان. فهو تعالىٰ مجيب دعوتهم ومبلّغهم إلىٰ أُمنيتهم، وقد لا يساعد الداعي لسان استعداد هويته وإن ساعده بحسب النوع، كطلب كلّ واحدٍ مرتبة الآخر، فلعلّه حيث ليس له علم محيط يضرّه ما استدعىٰ بلسان المقال ويفسده، فحاله وعلله يطلبون له ما يصلحه، كما في الجديث القدسي: (إنّ من عبادي من لا يُصلحه إلّا

---

(١) «طه» الآية: ٥٠.
(٢) «المطففين» الآية: ٦.

Books.Rafed.net

الغنىٰ، لو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك، وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر، لو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك)[1].

وعلىٰ هذا فأجلُّ الأذكار ما اشتمل علىٰ توحيده وتمجيده تعالىٰ، لا ما يشعر بالطلب والتكدّي، ولذا قال عليه السلام: (فوت الحاجة أحب إلي من قضاء الحاجة).

وفي الحديث القدسي: (من ترك ما يُريد لما أُريد ترك ما أُريد لما يريد).

وفي الدعاء: (اللهم أنت كما أُريد، فاجعلني كما تُريد).

وورد: (المؤمن لا يريد ما لا يجد).

وقال المولوي رحمه الله:

قوم ديكر ميشناسم از أولياء كه زيانشان بسته باشد از دعاء

وإن كان السؤال أيضاً حسناً؛ لأنّه أيضاً من أسباب سعادتك، ومن موجبات تذكّرك، ولهذا كان موسىٰ عليه السلام مأموراً بمسألة ملح طعامه منه تعالىٰ؛ إذ كلّما يجلب الىٰ جنابه فهو حسن، وإن كان للحسن عرض عريض.

وفي كلمات الشيخ أبي سعيد أبي الخير قدس سره:

راه تو به هر روش كه ميدونيد نكو است

ذكر تو به هر زبان كه گويند خوش است»[2]

انتهىٰ كلامه.

(اللّهمَّ اغفِرْ لِيَ الذّنُوبَ الّتي تُنْزِلُ البَلاءَ)

البلاء والبليّة والبلوة ـ بالكسر ـ: الغمّ، كأنّه يبلي الجسم.

---

(١) «الجواهر السنية» ص ١٠٠.

(٢) «شرح الأسماء» ص ١١٣ ـ ١١٥.

Books.Rafed.net

بيان الذنوب المنزلة للبلاء:

و(الذنوب) التي تصير سبباً لنزول البلاء ـ كما روي عن السجّاد عليه السلام ـ هي: ترك إغاثة الملهوف، وترك إعانة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

وفي بعض الأخبار[٢]: أنّها سبع، وقد عدوّها من الكبائر، وهي: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرّم الله تعالىٰ، وقذف المُحصنة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والزنا، والفرار من الزحف، والسّرقة.

(اللّهُمّ اغْفِرْ لِيَ الّذنُوبَ الّتي تَقْطَعُ الرّجاء)

(الرجاء): يجيء بمعنىٰ التمنّي والترجّي، وبمعنىٰ: الخوف، ومن هذا قول الشاعر:

لعمرك ما أرجو إذا مُتُّ مسلماً على أيّ جنب كان في الله مصرعي[٣]

فالرجاء بالمعنىٰ الأوّل قسمان: رجاء ممدوح، ورجاء مذموم.

فالممدوح: هو رجاء رحمة الله تعالىٰ، وتوقّعها من العمل الصالح المعد لحصولها، وترك الانهماك في المعاصي، المفوّت لهذا الاستعداد.

والرجاء المذموم: الذي هو في الحقيقة حمق وغرارة، وهي توقّع الرحمة من غير عمل صالح، وعدم الاجتناب عن المعاصي والخطيئات، كما قيل:

ای مغره برحمت خداوند در رحمت او كسی چگويد
هر چند مؤثر است باران تا دانه نيفكنی نرويد

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾[٤].

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٧٠، ص ٣٧٥. (٢) «بحار الأنوار» ج ٧٦، ص ٥، ٩، ١٢.

(٣) انظر «مجمع البحرين» ج ١، ص ١٧٦، مادة «رجا».

(٤) «البقرة» الآية: ٢١٨.

Books.Rafed.net

ومقابل هذا الرجاء: اليأس والقنوط والحرمان. والمؤمن ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه متساويين، بحيث لو وزن خوفه ورجاؤه لاعتدلا. كما في الحديث: (خف الله خوفاً ترىٰ أنّك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك، وارجُ الله رجاءً ترىٰ أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك).

الذنوب القاطعة للرجاء

والذنوب التي تقطع الرجاء ـ كما جاءت بها الرواية ـ : اليأس من رَوح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعده[١].

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي، قال: (إلهي لو قرنتني بالأصفاد، ومنعتني سيبك من بين الأشهاد، ودللتَ علىٰ فضائحي عيون العباد، وأمرت بي إلىٰ النار، وحُلتَ بيني وبين الأبرار، ما قطعتُ منك رجائي، ولاصرفت وجه تأميلي للعفو [عني][٢] عنك، ولا خرج حبك عن قلبي، أنا لا أنسىٰ أياديك عندي، وسترك عليّ في دار الدنيا)[٣].

(اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطيئَةٍ أَخْطَأْتُها)

وفي المصباح: «الخطيئة ـ علىٰ وزن «فعيلة»، ولك أن تشدّد الياء ـ الاسم من الخطأ ـ بالكسر ـ : الإثم، والجمع: الخطايا» انتهىٰ.

الفرق بين الذنب والخطيئة

وهي والذنب بمعنًى واحد، وقد يفرّق بينهما بأنّ الآثام ما لم يتمكن صاحبها فيها تسمّىٰ ذنوباً، وإذا تمكن فيها وصارت ملكة له فحينئذٍ تسمّىٰ خطيئة، كأنه يخطو فيها ويعتملها.

وقول السائل: (أخطأتها) أي فاتتني الصواب في عملها، يقال: فلان أخطأ في

---

(١) «معاني الأخبار» ص ٢٧١، ح ٢.
(٢) من المصدر.
(٣) «المصباح» للكفعمي، ص ٧٩٠.

Books.Rafed.net

الأمر؛ إذا فاته الصواب فيه.

ثمّ إنّ السائل لمّا سأل من الله تعالىٰ المغفرة عن الذنوب الموصوفة بالأوصاف المذكورة، انصرف عن التوصيف فقال: (اللّهمّ اغفر لي كلّ ذنبٍ أذنبته) في مدة عمري، صغيرة كان أو كبيرة، عمداً كان أو سهواً، قولاً كان أو فعلاً، جناناً كان أو أركاناً، سواءً كان صدوره عني في زمن الصبا والترعرع، أو في أوقات البلوغ والتكليف، فإنّك قلت في كتابك الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[1]. ومن ذا الذي يغفر الذنوب جميعاً إلّا أنت).

(اللّهُمَّ إِنِّي أَتَقرَّبُ إِلَيكَ بِذِكْرِكَ)

بيان المراد من الذكر

أي بذكري إياك، أُضيف المصدر إلىٰ المفعول.

المراد بالذكر: إمّا معناه المصدري، يعني: بتذكّري إياك في كلّ حال أتقرّب إليك، أراد: أنّ غاية تذكّري إياك هي التقرّب إليك، وكمال التقرّب إليه تعالىٰ هو التخلّق بأخلاقه، كما ورد: (تخلّقوا بأخلاق الله)[2]. وورد (تخلّقوا بأخلاق الروحانيين).

وحقيقة الذكر حضور المذكور لدىٰ الذاكر، وهو تعالىٰ أجلّ ذاكر لأبهىٰ مذكور، هو ذاته لذاته، كما في الدعاء: (يا خير الذاكرين)[3]. فذكره تعالىٰ في مرتبة ذاته كلامه الذاتي، وعلا بذاته الذي هو حضور ذاته بذاته لذاته، بمعنىٰ: عدم انفكاك ذاته عن ذاته تعالىٰ. وفي مرتبة فيضه المقدّس وفعله الأقدس ذكره أمره الإيجادي، وكلمة: «كُنْ» الوجودية. ولذا قال الشاعر:

فلمّا أضاء الليل أصبحت عارفاً ... بأنّك مذكور وذكر وذاكر

(١) «الزمر» الآية: ٥٣.
(٢) انظر «بحار الأنوار» ج ٥٨، ح ١٢٩.
(٣) «المصباح» للكفعمي، ص ٣٣٤.

Books.Rafed.net

وإمّا المراد بالذكر: وجهه تعالىٰ، فإنّ البرهان الصحيح يدلنا علىٰ التثليث: الذاكر، والذكر، والمذكور. فالذاكر هو الله تعالىٰ، والذكر: الوجود المنبسط، والمذكور: مخلوقه ومصنوعه. وقد مرّ أنّ ذلك الوجود وجهه تعالىٰ.

فحينئذٍ مراد السائل أنّه يقول: أتقرب إلىٰ ذاتك الحكيم القديم بوجهك الكريم.

وإمّا المراد بالذكر: وجود السائل، إذ قد عرفت أنَّ الوجودات بأسرها، كما أنّها إشراق الله تعالىٰ، كذلك كلماته وأذكاره، كما قال الله تعالىٰ: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾[1] وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2].

وخير الأذكار: هو أن يصير وجود الذاكر عين ذكره تعالىٰ، يعني: استشعر الذاكر بالعلم ثم بالعيان أنّ وجوده ذكره تعالىٰ، كما قيل:

أگر مؤمن بدانستی که بت چیست یقین کردی که دین در بت پرستی است
أگر کافر زبت آگاه گشتی کجا در دین خود گمراه گشتی

يعني: لو علم المؤمنون الذين دخلوا في أوائل درجات الإيمان، وقالوا: لا إله إلّا الله، تقليداً ولساناً لا برهاناً وعياناً، أنّ وجودات الأصنام كلّها من الله وإشراقاته، وهو تعالىٰ أحاط بكلّ شيء علماً وقدرة، وفي الحقيقة معطي الكمالات ليس إلّا هو؛ لأيقنوا ـ هؤلاء المؤمنون ـ بأنّ عبادة الأصنام بذلك الاعتبار عبادة الله تعالىٰ، وفي الحقيقة كذلك، ولكن عبدة الأصنام لم يكونوا مستشعرين بهذا الأمر، بل يعبدون نفس الأصنام بأنّها آلهتهم أو أدلّاء، وشفعاؤهم عند إلههم، وذلك كفر وإلحاد وملعنة.

فحينئذٍ مراده: إنّي أتقرّب إليك، بسبب وجودي الذي هو من صنعك، وكونك موجداً إياي، وآخذاً بناصيتي، تجرّها إليك.

---

(١) «آل عمران» الآية: ٤٥. (٢) «فاطر» الآية: ١٠.

Books.Rafed.net

وإمّا المراد بالذكر: هو القرآن المجيد والفرقان الحميد، كما سمّاه الله تعالىٰ به، قال: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾[١]، وقال: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢].

فحينئذٍ مراده: أتقرّب إليك بكتابك، يعني: بمواظبتي قراءته، وممارستي التـفكّر في محكماته ومتشابهاته، وناسخه ومنسوخه، وتأويله وتنزيله، ومجمله ومفصّله.

والقرآن ـ من الفاتحة إلىٰ الخاتمة ـ وجـوده الوجـود اللـفظي حـين القـراءة، والوجود الكتبي حين عدمها لجميع الموجودات، آفاقية والأنفسيّة، إذ قُرّر في محله أنّ لكلّ شيء وجودات أربعاً: العينية، والذهنية، والكتبية، واللفظية. والعوالم كـلّها متطابقة، فكلّ ما في عالم من العوالم فهو في عالم أعلىٰ منه بنحو الأكملية والأتمّية ممّا في العالم الأدنىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٣].

فالمراد بالكتاب المبين وإن كان هو العقل الأول والممكن الأشرف، إلّا أن القرآن حقيقته ووجوده الكتبي كما قلنا، فكلّ ما في أُم الكتاب بنحو اللف والبساطة فهو في الكتاب التدويني بنحو الكتابة والعبارة. والتفصيل يستدعي محلّاً آخر ونمطاً آخر غير ما سمعت.

وإمّا المراد بالذكر: أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم أهل الذكر وحاملو القرآن كما هو حقّه، كما روي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تـعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[٤]، قـال: (نحن والله أهل الذكر). فقيل: أنتم المسؤلون؟ قال: (نعم). قيل: وعليكم أن تجيبونا؟ قال عليه السلام: (ذاك إلينا إن شئنا فعلنا، وإن شئنا تركنا)[٥]. فهم عليهم السلام بشراشر وجودهم ذكر الله تعالىٰ وفيضه.

وحينئذٍ مراده: أتقرّب إليك بأهل ذكرك، يعني بمحبتهم وموالاتهم عليهم السلام. فحُذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه.

---

(١) «ص» الآية: ٨.
(٢) «الحجر» الآية: ٩.
(٣) «الأنعام» الآية: ٥٩
(٤) «النحل» الآية: ٤٣.
(٥) «الكافي» ج ١، ص ٢١٠، ح ٣، باختلاف.

Books.Rafed.net

ثم إنَّ حرف الباء في قوله: (بذكرك) للسببيّة.

فبالجملة، ذكره تعالىٰ في جميع الأحوال حسن، والعقل الهيولاني في أوّل الأمر وابتداء الحال يستدعي الصورة، كالهيولىٰ الأُولىٰ التي تستدعي الصورة الجسمية. فصوّروا العقل بذكر ذاته تعالىٰ وذكر أسمائه وصفاته، ولا ترتسموه بصور داثرات مخلوقاته من الأباطيل الزائلة الفانية، والترّهات العادمة غير الباقية.

الله في كلّ شؤون اذكرا	فإنّ ذكر الله كان أكبرا
ومنه جا حثّ عليه في الخلا	وحائض وقاطئ وما خلا

(وَٱسْتَشْفِعُ بِكَ إِلىٰ نَفْسِكَ)

أي أجعلك شفيعاً لشفاعة نفسي الخاطئة الجانية إلىٰ ذاتك المقدّسة العالية في العاجلة والآجلة، يوم لا يشفع الشافعون إلّا باذنك، وهو يوم: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1].

البحث في الشفاعة

والشفاعة ـ كالمغفرة والعفو ـ تقع لأصحاب الكبائر إذا ماتوا بلا توبة، وجميع العلماء اتفقوا علىٰ هذا، إلّا المعتزلة فإنّهم في كتبهم فسّروا الشفاعة بطلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، وقالوا أيضاً بمنع العفو لأصحاب الكبائر.

نقل كلام المحقّق السبزواري

وقال صدر المتألهينﷺ: «إنّ حقيقة الشفاعة بروز صور دلالات الأدلّاء علىٰ الله في الدنيا بصور الشفاعات في الأُخرىٰ، إذ الكلّ يسعدون بدلالة شرائع الأنبياء ورُشد طرائق الأئمة الهداة عليهم السلام في الأُخرىٰ، وهداية النبي الداخل ـ أعني: العقل الذي هو الحجّة البالغة أيضاً ـ بهداية روحانية النبي والوصي والولي الخارجِيين؛

---

(١) «الأنبياء» الآية: ٢٨.

Books.Rafed.net

لأنَّ كلّ العقول في تعقّلاتهم يتّصلون بالعقل الفعّال وبروح القدس، كما هو مقرر عند الحكماء قاطبة، فهي كمرائي حازت وجوهها شطر مرآة كبيرة فيها كلّ المعقولات، فيفيض علىٰ كلٍّ قسطه بحسبه: (وروح القدس في جنان الصاقورة، ذاق من حدائقهم الباكورة)[١].

بل الشفاعة منها: تكوينية سارية، ولكلّ موجود منها قسط بحسب دلالته علىٰ الله تعالىٰ، كالنبوة التكوينيّة السارية، وكالمعلّم بالنسبة إلىٰ الأطفال، والرجل بالنسبة إلىٰ أهل بيته. ولهذا ورد[٢] أن المؤمن يشفع أكثر من قبيلة ربيعة أو مضر.

ومنه: شفاعة القرآن لأهله، وأمثال ذلك.

لكن لمّا كان دلالتها بتعريف النبوّة وإرشاد الولاية في الظاهر أو في الباطن ـ وفي الشرائع والطرائق والحقائق: الفقهاء مظاهر الأنبياء، والعرفاء مظاهر الأولياء والأوصياء، ومناهج الظواهر والمظاهر في الأوائل والأواخر كأنهار أكابر وأصاغر، من قاموس منهج خاتمهم، كما قالﷺ: (الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة حالي)[٣]. وله السيدودة العظمىٰ علىٰ جميعهم، كما قالﷺ: (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)[٤]، وقال: (آدم ومَن دونه تحت لوائي يوم القيامة)[٥] ـ ختم عليه الدلالة العظمىٰ في الأُولىٰ، والشفاعة الكبرىٰ في الأُخرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[٦]»[٧].

ثم قال: «إن قلت: كيف تتحقّق الشفاعة في الأُخرىٰ لمن يرتكب الكبائر، ولا دلالة ولا هداية له في الأُولىٰ؟

قلت: لا يمكن ذلك، اذ له عقائد صحيحة ـ ولو إجمالية ـ متلّقاة من الشارع

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٧٥، ص ٣٧٨، ح ٣، وفيه: «حدائقنا» بدل: «حدائقهم».
(٢) انظر: «بحار الأنوار» ج ٨، ص ٥٨، ح ٧٥.
(٣) «جامع الأسرار» ص ٣٤٦، ٣٥٩.
(٤) انظر: «بحار الأنوار» ج ١٦، ص ٣٢٥، ح ٢١.
(٥) انظر: «بحار الأنوار» ج ١٦، ص ٤٠٢، ح ١.
(٦) «الضحىٰ» الآية: ٥.
(٧) «شرح الأسماء» ص ٦٢٥ ـ ٦٢٦.

Books.Rafed.net

ظاهراً وباطناً، وربما يكون له خصال حميدة، ولا أقل من خواطر حقّة ثابتة، علىٰ درجات متفاوتة، ولا سيّما أنَّ العبرة بأخير حالاته ونهاية أوقاته، [كما قيل:

هيچ كافررا سنجراری منگريد كه مُسلمان مرونش باشد اميد][1]

ولو فرض خلوّه عن جميع الوسائل وانبتات يده عن تمام الحبائل، فنلتزم عدم حصول الشفاعة له، ولهذا وقع في الدعاء: (اللّهم قرّب وسيلته، وارزقنا شفاعته)[2]»[3] انتهىٰ.

ثمّ مراده من جعله تعالىٰ شفيعاً لجرائمه وآثامه عنده تعالىٰ، هو طلب العفو والمغفرة منه تعالىٰ، علىٰ سبيل الكناية التي هي أبلغ من التصريح وأدعىٰ منه.

(وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيني مِنْ قُرْبِكَ)

الجود والكرم بمعنًى واحد، والجواد الذي لا يبخل بعطائه، وهو من أسمائه تعالىٰ، كما في الدعاء (اللهم أنت الجواد الذي لا يبخل)[4].

والجود منه تعالىٰ إفادة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض، كالعطاء والكرم والهبة منه تعالىٰ؛ إذ مرجعها إلىٰ صفة واحدة هي الإفاضة والفيّاضية.

وفي المجمع: «سئل الحسنعليه السلام ـ وهو في الطواف ـ فقيل: أخبرني عن الجواد، فقالعليه السلام: (إنّ لكلامك وجهين؛ فإن كنت تسأل عن المخلوق فالجواد الذي يؤدّي ما افتُرض عليه، والبخيل الذي يبخل بما افتُرض عليه. وإن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد إن أعطىٰ، وهو الجواد إن منع؛ لأنه إن أعطىٰ عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له)»[5].

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٨٧، ص ١٣٢، باختلاف.

(٣) «شرح الأسماء» ص ٦٢٦.

(٤) «بحار الأنوار» ج ٩٥، ص ٢٤١، باختلاف.

(٥) «مجمع البحرين» ج ٣، ص ٢٩.

Books.Rafed.net

أقول: أرادعليه السلام أنَّ خالق جميع العطيات وموجدها ومعطيها ومالكها نفسه تعالىٰ، لا شريك له في الإيجاد، كما لا ثاني له في الوجود.

وقول السائل: (أن تُدنيني من قُربِكَ) أي تقرّبني إليك. يقال: زيد أدنىٰ عمراً إلىٰ بكر، أي قرّبه إليه، وأدنوه مني: أي قرّبوه منّي، من الإدناء. كأنّه قال: أسألك بسبب جودك وكرمك أن تعطيني بعطاء هو قربك، يعني: توفّقني لإقامة طاعاتك وإدامة عباداتك، حتّىٰ يحصل لي التخلّق بأخلاقك الحسنة والاتصاف بصفاتك الكريمة؛ لأنّك قلت: (عبدي أطعني حتىٰ أجعلك مثلي، أقول لشيء: كن، فيكون، تقول لشيء: كن، فيكون)[1]، كما قيل:

حكايت كنند از بزرگان دين — حقيقت شناسان عين اليقين
كه صاحبدلى برپلنگى نشست — همى‌را ندار هوار ومارى بدست
باو گفتم ايمرد راه خدا — بدين ره كه رفتى مرا ره‌نما
چه كردى كه درنده رام توشد — نگين سعادت بنام توشد
بكفت اربينگم زبون دست ومار — وگربيل وگرگ هاست شگفتى مدار
تو هم گردن ازحكم داود هيچ — كه گردن به يچد زحكم‌تر هيچ

وقال المولوي:

بركه ترسيد ازحق وتقوىٰ گزيد — ترسد ازوى چن دانس وهركه ويد

وفي الحديث القدسيّ أيضاً: (مَن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، من أتاني مشياً أتيته هرولة)[2].

وكأن غاية التقرّب إليه تعالىٰ هي الفناء في أسمائه وصفاته، وبعبارة أُخرىٰ: الفناء في الحضرة الواحدية، وحينئذٍ يسري حكم المفني فيه في الفاني، ويبقىٰ ببقائه

(١) «الجواهر السنية» ص ٢٨٤، باختلاف.
(٢) «الأمالي» للسيد المرتضىٰ، ج ٢، ص ٦.

Books.Rafed.net

لا بإبقائه كما في الموجودات اللايزالية، فإنها باقية بإبقاء الله تعالىٰ.

فهذه الغاية القصوىٰ والبغية الكبرىٰ حصلت لسيد الأنبياء وخاتمهم، وسيد الأوصياء والأولياء وخاتمهم، ولهذا قالﷺ: (من رآني فقد رأىٰ الحقّ)[1]. وقال: (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل)[2]. وقال أمير المؤمنينعليه السلام: (معرفتي بالنورانية معرفة الله)[3]

وقال المولوي ـ حكاية عن نوحعليه السلام ـ :

گفت نوح ای سرکشان من من نیم	من زجان مردم بجانان میزیم
چون بمردم از حواس ابو البشر	حق مرا شد سمع و ادراك و بصر
چونکه من من نیستم ایندم زهواست	پیش ایندم هرکه دم زد کافر او است

(وَأُن تُوزِعَني شُكرَك)

الإيزاع: الإلهام، والجملة معطوفة علىٰ ما قبلها.

يريد: أنّه بعدما أنعمتني وأعطيتني بالنعمة التي هي قُربك، أسألك أن تُلهمني شكرك؛ لأنّه ـ كما مرّ ـ لكلّ نعمة شكر خاصّ يختصّ بها، وشكر تلك النعمة العظمىٰ موقوف علىٰ إلهامة تعالىٰ، ولعله نفس تلك النعمة، بناءً علىٰ الحديث القدسيّ الذي قال تعالىٰ: (مَن عشقني عشقته، ومَن عشقته قتلته، ومَن قتلته فعليّ ديته، ومَن عليّ ديته فأنا ديته)[4] (من كان لله كان الله له)[5].

والشكر في اللغة: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعماً[6]. وعند العلماء وفي اصطلاحهم: صرف العبد جميع ما أنعمه الله تعالىٰ عليه فيما خُلق لأجله.

---

(١) «صحيح البخاري» ج ٦، ص ٢٥٦٨، ح ٦٥٩٥.

(٢) «جامع الأسرار» ص ٢٧، ٢٠٥.

(٣) «شرح الأسماء» ص ٦٢٣.

(٤) انظر «شرح الأسماء» ص ١١٩، ٣٩٤، ٦٧٠.

(٥) انظر «شرح الأسماء» ص ٢١٦، ٣٥٧، ٣٩٤.

(٦) «مجمع البحرين» ج ٣، ص ٣٩، مادة «حمد».

Books.Rafed.net

بيان أقسام الخواطر

والإلهام من فعل الله تعالىٰ، أو مِن فعل الملك، وهو الخاطر الذي بالقوّة والتسلّط وعدم الاندفاع؛ إذ الخواطر والواردات علىٰ القلب أربعة أقسام:

رباني: ويسمّىٰ نقر الخاطر أيضاً.

وملكي: وهو الباعث علىٰ مندوب أو مفروض، ويسمّىٰ إلهاماً

ونفساني: وهو ما فيه حظّ للنفس، ويسمّىٰ هاجساً.

وشيطاني: هو الباعث علىٰ مخالفة الحقّ والعقل، ويسمىٰ وسواساً.

وسيأتي زيادة توضيح لتلك الأقسام عند شرح: (ونفسي بخيانتها، ومِطالي) إن شاء الله تعالىٰ.

وإن كان الإلهام فعل الملك فقط، كما قال به بعض المحققين، فإسناده إليه تعالىٰ من باب إسناد الفعل إلىٰ فاعله الحقيقي، وانقطاعه عن الفاعل المجازي الذي هو في الحقيقة معدّ لا فاعل للشيء؛ إذ جميع الملائكة جهات قادريته تعالىٰ، وجنوده وأياديه الفعّالة العمّالة، ومعطي الوجود ـ كما مرّ غير مرّة ـ ليس إلّا هو، وقد أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالىٰ في مواضع كثيرة:

منها قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[1]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[2]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3] إلىٰ غير ذلك.

(وَأَنْ تُلْهِمَني ذِكْرَكَ)

المراد بالذكر هنا: ما يتذكّر به الإنسان من الأذكار والأوراد التي بها يستمد من

---

(١) «الزمر» الآية: ٤٢.

(٢) «آل عمران» الآية: ٦.

(٣) «النحل» الآية: ٩٣.

Books.Rafed.net

الله تعالىٰ ويطلب قضاء حاجاته منه، بل يستحضره في قلبه، حتىٰ لا ينساه وينسىٰ نفسه به، كما قال الله تعالىٰ: ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾(١).

فالأهم الأقرب والأولىٰ والأنسب أن يؤنس الإنسان نفسه بذكره تعالىٰ في جميع أوقاته، وكان منظور نظره في جملة دعواته القربة إلىٰ وجهه الكريم؛ ولذا قال سيد الساجدين زين العابدين عليه السلام، في المناجاة الثالثة عشر: (وآنسنا بالذكر الخفي، واستعملنا بالعمل الزكي)(٢)؛ حتىٰ تنوّر بيت فؤاده بنور جماله، واستتر نقائصه الإمكانيّة تحت شعاع عظمته وجلاله.

فإذا جاوز عن دار الغرور وتوجّه إلىٰ دار السرور استقرَّ في الأنوار الخمسة، كما قال صلى الله عليه وآله: (لا يزال المؤمن الذي يذكر الله في كلّ حال في أنوار خمسة: مدخله نور، ومخرجه نور، وكلامه نور، وغذاؤه نور، ومنظره يوم القيامة إلىٰ نور)(٣).

فالذاكر ينبغي أن يلتفت إلىٰ أن يكون في تذكاره تعالىٰ عمدة غرضه نفس الذكر، ولا يدرج فيه مقاصد أُخر، وإن أدرج ولم يقض أوطاره المندرجة لا يعبأ به، فإنّه قال تعالىٰ: ﴿عَسىٰ أَنْ تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾(٤). كما قال المولوي رحمه الله:

آن یکی الله سیکفنی بشی ... تاکه شیرین گردد از ذکرش بی
گفت شیطان آخرای بسیار گو ... ایـنهمه الله را لبیك گو
می نیاید یك جواب از پیش تخت ... چند الله سیزنی باردی سخت
او پریشان دل شدونهاد سر ... دیدر خواب او خضر را در خضر
گفت هین از ذکر چون وامانده ... چون پشیمانی از آن گش خوانده
گفت لبیکم نمیاید جواب ... زان همی برستم که باشم درباب

---

(١) «الحشر» الآية: ١٩.
(٢) «بحار الأنوار» ج ٩١، ص ١٥١.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٤، ص ١٨، باختلاف.
(٤) «البقرة» الآية: ٢١٦.

Books.Rafed.net

گفت او را كه: گفت اين بمن | كه برو يا أو بگواى ممتحن
خود همان الله تو لبيك ما است | وان نياز ودر دوسوزت لبيك ما است
حيله‌ها وچاره جونهاى تو | جذب‌ها بود وگشودن پاى تو
از خدا غير خدا را خواستن | اطن افزو نيسيت كلى كاستن

(اللَّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ خاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خاشِعٍ أن تُسامِحَني)

التذلل: المَسكنة والهوان والحقارة، من الذل ـ بالضم ـ ضد العزة.

الخضوع ـ كالخشوع ـ: الخوف والخشية.

فالمراد بالخضوع هنا: هو التطامن والتواضع، والخشية في القلب والأفعال.

وبالخشوع: التطامن والتواضع في الصوت والقول.

المسامحة: المساهلة، تسامحني: أي تساهلني ولا تأخذني بالشدّة والقهر.

وفي الدعاء أيضاً: (اللهم تفضّل عليَّ بالمياسرة إذا حاسبتني المياسرة)[١].

مفاعلة من اليسر، والمراد: المسامحة في الحساب يوم القيامة.

(وَتَرْحَمَني وَتَجْعَلَني بِقِسْمِكَ راضِياً)

أي بقسمك الذي قسمت لي من الأرزاق، والعلم والمعرفة، والعزّة أو الذلة، والصحّة أو المرض. وبالجملة، فجميعها بقدرته وحوله وتقديره وقضائه وقدره وعلمه ومشيئته وإمضائه.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾[٢]، وقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٣].

الرضا: ضد السخط والكراهة.

---

(١) «المصباح» للكفعمي، ص ١٩٣، «بحار الأنوار» ج ٨٣، ص ٣٥٤.

(٢) «الزخرف» الآية: ٣٢. (٣) «الذاريات» الآية: ٢٢.

Books.Rafed.net

(قَانِعَاً)

القانع: هو الذي يقنع ويرضىٰ بالقليل، ولا يسخط ولا يكره بقلّة المعيشة. وفي الصحاح: «القانع: الراضي بما معه وبما يعطىٰ من غير سؤال»[١].

أقول: فضيلة القناعة في الأخبار كثيرة، كقولهﷺ: (القانع غني وإن جاع وعرىٰ، ومَن قنع استراح من أهل زمانه واستطال علىٰ أقرانه، ومَن قنع فقد اختار الغنىٰ علىٰ الذل، والراحة علىٰ التعب) وقولهﷺ: (القناعة كنز لا ينفد)[٢]. ولعل عدم نفاده لأنّ الإنفاق منه لا ينقطع كلّما تعذر عليه شيء من أُمور الدنيا قنع القانع بما دونه ورضي به.

وقولهﷺ: (عَزّ مَن قنع، وذلّ مَن طمع).

وقول أمير المؤمنينﷺ: (إنّي طلبت الغنىٰ فما وجدت إلّا بالقناعة، عليكم بالقناعة تستغنوا، وطلبت القدر والمنزلة فما وجدت إلّا بالعلم، تعلّموا يعظم قدركم في الدارين، وطلبت الكرامة فما وجدت إلّا بالتقوىٰ، اتقوا الله لتكرموا، وطلبت الراحة فما وجدت إلّا بترك مخالطة الناس، اتركوا الدنيا ومخالطة الناس تستريحوا)[٣].

أو غير ذلك من الأحاديث التي تدلّ علىٰ فضيلة القناعة.

وسرّها واضح؛ إذ من المعلوم أنّ من قنع بالقليل من الزاد في مسافرته إلىٰ الله تعالىٰ أمن من الكد والتكلّف والسعي في الطلب، ولا يوقع نفسه في متاعب الكسب ومصاعب الأُمور، ويتقّي بوجهه سوء الاكتساب، حتّىٰ لا يقع في الشبهات والمحرّمات، ولهذا يصان دينه وإيمانه، وكان بمعزل من الصفات الخسيسة والسمات الخبيثة، ويقبل بجميع وجوهه إلىٰ الله تعالىٰ، ويجعل غاية عزيمته سرعة سيره من هذا الجسر؛ ليلتحق بالمفردين[٤]، يسلك في سلك المقرّبين أو في حزب أصحاب اليمين، وتبرّأ عن الانخراط في زمرة المكذّبين الضالين.

---

(١) «الصحاح» ج ٣، ص ١٢٧٣.
(٢) «روضة الواعظين» ص ٤٥٤.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٦٦، ص ٣٩٩، ح ٩١.
(٤) كذا في المخطوط.

Books.Rafed.net

مع أنّ الإنسان العارف يعلم أن قسّام الأرزاق بجملتها هو الحكيم علىٰ الإطلاق، قد قدّر لكلّ فرد من أفراد الأناسي والحيوانات رزقاً معيّناً معلوماً، مقسوماً في أوقات خاصة، لا يقدّم ولا يؤخر طرفة عين.

برسر هر لقمه بنوشته عيان　　كز فلان بن فلان بن فلان

بل لكلّ غصن من أغصان الأشجار والنباتات وأوراقها رزق معيّن مشخّص، مرزوقة به، لا ترتزق ورقة رزق الأُخرىٰ، بل جميع العالم مرزوقة من الله تعالىٰ من السماوات والأرضين، كلّ برزق مخصوص يختصّ به، كما مرّ في أوائل هذا الشرح.

فإذا كان أزمّة الأُمور من الأرزاق وغيرها بيده تعالىٰ، فلِمَ لا يرتضي العبد القانع بما تيسّر له من المعيشة، واغتم بأقسام الآخرين، وأخرج نفسه من سلسلة الصابرين والشاكرين؟! والحمد لله رب العالمين.

(وَفِي جَمِيْعِ الأَحْوَالِ مُتَواضِعاً)

التواضع: التذلل، وفي الحديث: (ما تواضع أحد لأحد لله إلّا رفعه).

فالعارف البصير، والمسترشد الخبير، الناظر بنور الله إلىٰ وجهه الكريم، في كلّ حال من الأحوال لابدّ أن يكون متواضعاً عند الجميع في جميع الأحوال؛ لأنّه لا يرىٰ شيئاً إلّا وقد يرىٰ الله فيه أو معه أو بعده، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (ما رأيت شيئاً إلّا وقد رأيت الله قبله أو فيه أو معه) علىٰ تعدّد الرواية[1].

وكان تواضعه وخضوعه وخشوعه كلّه لله تعالىٰ، بل الكامل المرشد إذا ذهل طرفة عين عن استبصار أنواره تعالىٰ، وأحياناً توجّه إلىٰ الغير بإسناد فعل من الأفعال أو موجود من الموجودات إلىٰ غيره تعالىٰ، ثم التفت إلىٰ ذلك النظر، استغفره تعالىٰ وأناب إليه، كما قال صلى الله عليه وآله: (ليغان علىٰ قلبي، وإنّي لأستغفر الله في كل يوم سبعين

---

(١) انظر «علم اليقين» ج ١، ص ٤٩.

Books.Rafed.net

مرّة)[١].

سـرمايه دولت اى بـرادر بگـف ار ... ويـن عـمر گـرامـى بـخسارت بگـذار
يعنى همه جابا هـمه كس در هـمه كـار ... مـيدار نـهضة جشـم دل جـان يـار

ثم إنّ هذه الجملة معطوفة علىٰ الجملة التي قبلها، أي (وتـجعلني فـي جـميع الأحوال متواضعاً).

(اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤالَ مَنَ اشْتَدَتْ فاقَتُهُ)

(أسألك) معطوف علىٰ (أسألك) وتكرير لفظ الجلالة للالتذاذ، إذ ذكر الحبيب علىٰ الحبيب أحلىٰ وألذّ من العسل المصفّىٰ الذي نهره في الجنّة موعود المتّقين، بل أهنأ وأمرأ من الخمر التي هي لذة للشاربين، كما قال الشاعر:

أعد ذكر نـعمان لنـا إنَّ ذكـره ... هو المسك ما كررته يتضوع[٢]

الفاقة والخصاصة والإملاق والمسكنة والمـتربة، جـميعها بـمعنًى واحـد: هـو الافتقار، يقال: فلان اشتدت فاقته، أي بلغت فاقته وحاجته في أمـر إلىٰ النـهاية، بحيث لا يتصوّر فوقها حاجة وفاقة فيه؛ إذ للاحتياج مراتب مختلفة، بـعضها فـي الشدّة واللزوم فوق بعض؛ لأنَّ احتياج الإنسان إلىٰ طعامه أشدّ وآكد من احتياجه إلىٰ ملح طعامه، واحتياجه إلىٰ الماء أشدّ من احتياجه إلىٰ القصعة والكوزة، واحتياج الوجودات إلىٰ مقوّمها وقيوّمها أشدُّ وآكد من احتياجها إلىٰ نفسها.

ولذا قال الله تعالىٰ (يَا مُوسَىٰ أنا بدّك اللازم)[٣]؛ لأنه تعالىٰ مقوّم الجميع وقيوّمها، والوجودات كلّها روابط محضة وفقراء صرفة ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللهِ وَٱللهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾[٤].

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٠٤.
(٢) انظر «تاج العروس» ج ٥، ص ٤٣٦.
(٣) انظر «شرح الأسماء» ص ٤٦٣.
(٤) «فاطر» الآية: ١٥.

Books.Rafed.net

وربّما كانت الحاجة في شيء واحد ذات مراتب متفاوتة في الشدّة والضعف، كما إذا احتاج أحد في الليل إلىٰ سراج أنار بيته المظلم ولم يمكنه، ثم يخطر بباله أن ينظر إلىٰ كتاب في مسألة، فحينئذٍ يؤكد احتياجه إلىٰ السراج، ثم يدخل سارق في بيته للسرقة، فاشتدت حاجته إلىٰ السراج حينئذٍ، ثم يقصد السارق قتل صاحب البيت، فالحاجة إلىٰ السراج حينئذٍ بلغت إلىٰ النهاية، ولا يتصوّر فوقها حاجة فيه.

(وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشدائِدِ حاجَتَهُ)

(الشدائد): جمع «شديد»، وهو الأمر الصعب. وتقديم الظرف لقصد الحصر، أي أنزل بك لا بغيرك، ولمراعاة السجع.

والجملة معطوفة علىٰ ما قبلها، يعني: (أسألك سؤال من اشتدت فاقته، وسؤال مَن أنزل بك عند الشدائد حاجته)، وذلك كمن حان أن تغرق سفينته وألقتها السوافن العاصفة في التهلكة، فكيف حال السفان والربّان حينئذٍ؟ فلابدّ أن يلتجئ بجميع مشاعره وقواه إلىٰ الله تعالىٰ، ويتضرّع إليه حتىٰ ينجيه وسفينته من الغرق، وإذن لا يلتفت إلىٰ نفسه، فضلاً عن الالتفات إلىٰ الغير.

أو كمن ظهرت أمارات الموت عليه، وكان في حالة الاحتضار والهلاكة، فكيف حاله مع الله تعالىٰ؟ وإلىٰ من يلتجئ هنالك؟ ومن هو يكشف السوء عنه غيره تعالىٰ؟

فالعبد المؤمن الذي استقرَّ بين الخوف والرجاء ينبغي أن يكون في جميع الأوقات ملتجئاً ومتضرّعاً إليه تعالىٰ، كمن اشتدت فاقته، وأنزل به عند الشدائد حاجته.

(وَعَظُمَ فيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ)

معطوفة علىٰ ما قبلها، كما مرّ.

Books.Rafed.net

الرغبة: تارةً تُستعمل مع «في»، وهي بمعنىٰ: ميل النفس، كما هاهنا. وتارةً تُستعمل مع «عن»، وهي بمعنىٰ: الزهد وعدم الميل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، وقوله ﷺ (ومَن رغب عن سنّتي فليس مني)[2]. والهاء فيها لتأنيث المصدر.

وفي الحديث: (لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلّا وجبت له الجنّة)[3].

والرغبة: هي السؤال والطلب من الله تعالىٰ، والرهبة هي الخوف منه تعالىٰ. والرغبة في الدعاء هي أن تستقبل ببطن كفيّك إلىٰ السماء، وتستقبل بهما وجهك.

فاعلم أنَّ جميع المتعاقبات في سلسلة الزمان من الجواهر والأعراض مجتمعات في وعاء الدهر، وجميع ما في الدهور الأربعة منطويات في السرمد، فجملة الموجودات ثابتة باقية بنحو كمالاتها عنده تعالىٰ، كما قال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[4].

فالطالب ينبغي أن يلتمس منه تعالىٰ جميع حوائجه، وجملة مآربه ومطالبه ولو كان ملح طعامه وبلاغة كلامه، كما قيل:

كان السؤال للعبيد ديدنا ... طول الخطاب للحبيب استُحسنا
قال لموسىٰ عني اسأل ملحكا ... وهكذا سلني شراك نعلكا
رفع اليدين كِديةً ثم الحذا ... للوجه إيماءً للاستحيا خذا

(اَللَّهُمَّ عَظُمَ سُلْطانَكَ)

انصرف عن المسألة والاستغفار إلىٰ التوصيف؛ ايماءً إلىٰ أنّه في دعواته

---

(١) «البقرة» الآية: ١٣٠.
(٢) «بحار الأنوار» ج ٢٢، ص ١٢٤. ج ٦٧، ص ١١٦.
(٣) «الفقيه» ج ١، ص ١٣٥، ح ٦٣٢، «وسائل الشيعة» ج ٥، ص ٤٧٧، أبواب أفعال الصلاة، ب ٣، ح ٣.
(٤) «النحل» الآية: ٩٦.

Books.Rafed.net

ومسألاته ليس مقصوده هو التكدّي والسؤال فقط، بل قصده الحقيقي هو طول المكالمة والمخاطبة مع الحبيب.

وفيه قد يلتفت إلىٰ نفسه، فما يرىٰ إلّا الجرائم والآثام، فيطلب منه تعالىٰ المغفرة والرحمة.

وقد يلتفت ويستغرق في أوصافه تعالىٰ من الجمال والجلال واللطف والقهر، فيصفه ويعظّمه علىٰ حسب ما يمكنه من ذلك، وعلىٰ قدر تجلّيه تعالىٰ عليه، وإذا حضرته غاية الاستغراق والهيمان لا يقدر علىٰ التكلّم والمخاطبة، فكلَّ لسانه وارتعش أركانه، وتزلزل فرائصه وعظامه.

ثمّ «السلطان» قد مرّ أنّه «فُعلان»، يُذكّر ويؤنث، وأنّه بمعنىٰ الحجّة والبرهان، والقوّة والغلبة. فهو تعالىٰ عظيم حجّته وبرهانه، وشديدة قوّته وغلبته. وقد عرفت معاني الكلّ، تأويلاتها وتفسيراتها.

(وَعَلَا مَكَانُكَ)

أي ارتفع، يقال: فلان مُكّن عند السلطان، أي عظم وارتفع عنده. ومكانه تعالىٰ عرشه بجميع إطلاقاته ومعانيه، إذ قد مرّ أنَّ للعرش إطلاقاتٍ أربعاً: علمه المحيط، وفيضه المقدّس، والعقل الأوّل، والفلك الأقصىٰ.

وفي الأخبار: (أنّ قلب المؤمن عرش الرحمن)[1]، كما قال المولوي:

گفت بيغمبر كه حق فرموداست — من نگنجم هيچ در بالا وبست
در زمين وآسمان وعرش نيز — اين يقين دان من نگنجم ايعزيز
در دل مؤمن بگنجيم همچو ضيف — بى زچون وبى چگونه بى زكيف

فالمؤمن الحقيقي الذي ورد في حقّه أنّه أعزّ من الكبريت الأحمر، إذا وسع قلبه

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٣٩.

Books.Rafed.net

بحيث اتّحد بأحد معاني العرش وانطبق عليه يصير عرش الله.

وفي الخبر أيضاً: (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبه كيف يشاء)[1].

مراتب الإيمان والمعرفة

وانّما قلنا: المؤمن الموصوف بكذا صار قلبه كذا، إذ للإيمان مراتب أربعة: من الايمان التقليدي، والإيمان البرهاني، والعياني، والتحقّقي الذي هو حـقّ الإيـمان وحقيقته، وأخير درجاته ونهاية مقاماته.

نقل كلام المحقّق الطوسي في مراتب المعرفة

قال سلطان الحكماء: «اعلم أنَّ مراتب المعرفة مثل مراتب النـار مـثلاً، وأنّ أدناها مَن سمع أنّ في الوجود شيئاً يعدم كلّ شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه، ويسمّىٰ ذلك الموجود ناراً. ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالىٰ معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف علىٰ الحجج والبراهين.

وأعلىٰ منها مرتبة، من وصل إليه دخان النار، وعلم أنّه لابدّ له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان. ونظير هذه المرتبة فـي مـعرفة الله مـعرفة أهـل النـظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة علىٰ وجود الصانع.

وأعلىٰ منها مرتبة، من أحسّ بحرارة النار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر. ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالىٰ معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنت قلوبهم بالله، وتيقّنوا أنّ الله نور السماوات والأرض كما وصف به نفسه.

وأعلىٰ منها مرتبة، من احترق بالنار بكلّيته وتلاشىٰ فيها بجملته. ونـظير هـذه المرتبة في معرفة الله تعالىٰ معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا

---

(١) «سنن ابن ماجة» ج ١، ص ٧٢، ح ١٩٩؛ «بحار الأنوار» ج ٦٧، ص ٣٩ ـ ٤٠.

Books.Rafed.net

والمرتبة القصوىٰ. رزقنا الله الوصول إليها والوقوف عليها، بمنّه وكـرمه»[١]. انـتهىٰ كلامه.

أقول: في كلام سيد الشهداءعليه السلام: (اعرفوا الله بالله)[٢]. معناه: أنّه تارةً يعرف تعالىٰ بأقواله، وتارةً يعرف بآثاره وأفعاله، وتارةً يعرف بصفاته، أي بالاتصاف بها، وتارةً يعرف بذاته المحيطة. وتلك المعارف بعضها فوق بعض، وهذا بعينه مـقصوده مـن تطبيق مراتب المعرفة بمعرفة النار ومراتبها.

فإن قلت: إنّك قد قصرت الإيمان الحقيقي وحقّ الإيمان بالمرتبة الرابعة، وقلت: إنّها نهاية درجاته وغاية مراتبه، فما تقول في إيمانه تعالىٰ بنفسه، وأحد أسمائه هو (المؤمن)؟

قلنا: قد عرفت أنّ الإيمان التحقيقي لا يتيسّر إلّا للمخلصين الذين أفنوا أنفسهم في الله وبقوا به، فإذا حصل ذلك المقام لأحد ارتفعت الاثنينية من البين، ويسـري حكم المفنى فيه في الفاني، كما قال أمير المؤمنينعليه السلام: (إنَّ لله لأوليائه شراباً إذا شربوا طربوا، وإذا طربوا سكروا، وإذا سكروا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا تخلّصوا، وإذا تخلّصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم)[٣].

در خدا گم شـو كـمال ايـن است وبس كم شدن كم كن وصال اين است وبس

(وَخَفِيَ مَكْرُكَ)

الخفية: الاستتار، خفي مكره: أي استتر.

المكر من الخَلق: خـدعة وخبٌ، ومـن الله: مـجازاة، كـما قـال الله تـعالىٰ:

---

(١) عنه في «مجمع البحرين» ج ٥، ص ٩٧. (٢) «التوحيد» ص ٢٨٦، ح ٣.
(٣) انظر «شرح الأسماء» ص ٥٣٤.

Books.Rafed.net

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾[١].

بيان ما قيل في معنىٰ المكر والتردّد من الله تعالىٰ

وقيل: مكره تعالىٰ: استدراج العبد الماكر من حيث لا يعلم.

وقيل: مكره: إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار خوارق العادات التي من قبيل الاستدراجات[٢].

وقيل: إنَّ المكر والغضب والحياء والخدعة والتردّد وسائر صفات المخلوقين إذا أُسندت إليه تعالىٰ يراد منها الغايات لا المبادئ، مثلاً قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: (ما تردّدت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن، إنّني لأُحبُّ لقاءه ويكره الموت فأصرفه عنه)[٣].

فالمراد من معنىٰ التردد في هذا الحديث: إزالة كراهة الموت عنه، وهذه الحالة تقدّمها أحوال كثيرة من مرض وهرم وزمانة وفاقة وشدّة بلاء، تهوّن علىٰ العبد مفارقة الدنيا، ويقطع عنها علاقته، حتّىٰ إذا يئس منها تحقّق رجاؤه بما عند الله، فاشتاق إلىٰ دار الكرامة، فأخذ المؤمن عمّا تشبّث به من أسباب الدنيا وحبّها شيئاً فشيئاً بالأسباب المذكورة، مضاهي فعل التردد من حيث الصفة، فعبّر تعالىٰ به.

(وَظَهَرَ أَمْرُكَ)

بيان معنىٰ الأمر التكويني والأمر التشريعي

أمره التكويني: هو كلمة «كُن» الوجودية التي جميع الأشياء ظاهرة بها، وهي ظاهرة بذاتها لا لذاتها، بل لعلّتها التي هي ذات الله العليا.

وأمره التشريعي والتكليفي: هو ما جاء به الأنبياء من الأوامر والنواهي التي

---

(١) «آل عمران» الآية: ٥٤.
(٢) انظر «شرح الأسماء» ص ٢٢٠.
(٣) «الكافي» ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٦، «بحار الأنوار» ج ٦٤، ص ٦٥ـ٦٦.

Books.Rafed.net

ظهورها بواسطة مظاهره تعالىٰ، من الأنبياء والأولياء، وهو أيضاً ظاهر غاية الظهور. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[1]، أي ما أمرنا إلّا كلمة واحدة، وهي كلمة «كن» التي هي وجود جميع الموجودات، كما مرّ غير مرة.

وأمر الله الذي قال في القرآن ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[2] القيامة، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾[3] أي ما أمر حشر الجميع إلّا في طرفة عين، وفيه إظهار القدرة التامّة الكاملة، ردعاً ومنعاً للجاهلين.

(وَغَلَبَ قَهْرُكَ)

القهر: الغلبة، وقهره تعالىٰ: تسخير الكلّ ومسخّرية الجميع تحت سطوع نوره تعالىٰ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[4]. وفي الدعاء: (الحمد لله الذي علا فقهر)[5] أي علا علىٰ جميع الموجودات، فقهر الكلّ بعلوّه تعالىٰ عليها.

(وَجَرَت قُدْرَتُكَ)

بيان ما قيل في معنىٰ قدرته

القدرة عند المتكلمين[6]: صحّة صدور الفعل والترك. وعند الحكماء هذا التعريف مخصوص بقدرة الحيوان، إذ الصحة إمكان، والإمكان ذاتياً كان أو وقوعياً لا يليق بجناب الواجب الوجود بالذات الذي هو واجب الوجود من جميع الجهات، بل هم قالوا في تعريف القدرة: كون الفاعل بحيث إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، ولكنّه تعالىٰ شاء وفعل، وصدق الشرطية ـ كما قرّر في محلها ـ لا ينافي وجوب المقدّم ولا امتناعه، فإنّها تتألف من صادقين ومن كاذبين، ومن صادق وكاذب.

---

(١) «القمر» الآية: ٥٠.
(٢) «النحل» الآية: ١.
(٣) «النحل» الآية: ٧٧.
(٤) «الأنعام» الآية: ١٨.
(٥) «بحار الأنوار» ج ٧٣، ص ١٩٢، ١٩٦.
(٦) انظر «الباب الحادي عشر» ص ٩٩.

Books.Rafed.net

فالمعتبر في القدرة ـ كما قالوا ـ مقارنة الفعل للعلم والمشيئة، ولا يعتبر حدوث الفعل فيها ولا ينافي دوامه معها. وقدم العالم باطل، وحدوثه واقع بدليل آخر؛ لأنَّ القدرة استدعت ذلك، فإنَّ العقول كلّها صادرة عن الله تعالىٰ بالقدرة والاختيار، مع أنّها دائمة بدوام الله.

وبالجملة، فقدرته تعالىٰ في مقام ذاته عين ذاته، وذاته كلّها قدرة واختيار وإرادة وعلم ومشيئة. وفي مقام فعله أيضاً عين فعله؛ إذ كما أنّه فعل الله كذلك هو قدرة الله. وفي العقول: جواهر مفارقة عن المواد، ذاتاً وفعلاً؛ لأنّها فيها نفس وجوداتها. وفينا: القدرة كيفية نفسانية. فجرت قدرته تعالىٰ بإخراج الممكنات من الليس إلىٰ الأيس، واكتساء المواد بألبسة الصور، ونفخ الأرواح في الأبدان، وإماتة النفوس، وإحياء الموتىٰ، وإيصال النفوس إلىٰ الغايات في الاستكمال، وأرزاق الخلائق، وإعطاء المسألات، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب. وبالجملة:

كمترين كارش بود هر روز آن ... كوسه لشكر ميكند آنسوروان
لشكرى از اصلاب سوى امرت است ... بهرآن تا دررحم ردید نبات
لشكرى از ارحام سوى خاكدان ... تازنر وماده پرگردر جهان
لشكرى از خاك آن سوى أجل ... تا به بيند هر كسى حسنِ عمل

(وَلَا يُمكِنُ الفِرارُ مِنْ حُكُومَتِكَ)

فكيف يمكن الفرار من حكومته تعالىٰ، وهو ذاته محيطة وفعله محيط بجميع الأشياء، وقدرته جارية علىٰ الكلّ ولا يمتنع معها شيء، وحكمه نافذ في أعماق الموجودات وآخذٌ بناصيتها، وهي وجودات الأشياء؟ إذ كما عرفت مراراً وجود الكلّ منه تعالىٰ وبه وإليه، كما قيل:

ظهور تو بمن است ... ووجود من از تو
فلست تظهر لولاي ... إن لم أكن لولاك

Books.Rafed.net

نقل كلام أفلاطون الإلهي

ومن آثار أفلاطون الإلهي أنّه قال: «العالم كرة، والأرض نقطة، والأفلاك قسي، والحوادث سهام، والإنسان هدف، والرامي هو الله، فأين المفرّ؟». روي أنه قيل هذه الكلمات في حضور عليعليه السلام، قال: (ففرّوا إلىٰ الله)[١].

غير از تو پناه ومجدم نيست   هم در تو گريز هم از گريزم

أقول: استفهام أفلاطون من التابعين ليس من باب الغفلة وعدم الاستشعار بذلك، كيف وأنه كما ورد في حقه عن النبيصلى الله عليه وآله: (كان نبياً جهله قومه)، وأنّه صدر حكماء الإشراق جميعاً؟! بل من باب الامتحان والاستخبار عن مريديه، ليعلم أنّهم ماذا يقولون في جوابه؟!

(اللّهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غافِراً وَلَا لِقَبائِحي ساتِراً)

أي ولا أجد لأفعالي وصفاتي القبيحة ساتراً.

القبائح: جمع «قبيحة»، كمدائح: جمع «مديحة».

روي عن الصادقعليه السلام أنّه قال: (ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود فعل مثاله مثل ذلك، فعند ذلك تراه الملائكة، فيصلون عليه ويستغفرون له، وإذا اشتغل بالمعصية أرخىٰ الله علىٰ مثاله ستراً، لئلا يطلع عليها الملائكة)[٢].

ومن أسمائه تعالىٰ، كما في الدعاء: (يا من أظهر الجميل وستر القبيح)[٣].

أقول: ومعنىٰ رؤية الملائكة حسنات المؤمنين وعدم رؤيتهم سيئاتهم ـ كما قيل[٤] ـ أنّهم يرون الأشياء باعتبار جهاتها النورية، وبعبارة أُخرىٰ: باعتبار وجوهها

---

(١) انظر «شرح الأسماء» ص ٤١٥.

(٢) انظر «شرح الأسماء» ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٣) «المصباح» للكفعمي، ص ٣٣٧.

(٤) انظر «شرح الأسماء» ص ٢٨٠.

Books.Rafed.net

إلىٰ الله الحسنة، لا باعتبار وجوهها إلىٰ أنفسها القبيحة؛ لاستغراق الملائكة في مشاهدة جمال الله وجلاله.

وروي عن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنّه جاء رجل، وقال: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: (افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل من رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعاً لايراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت لقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار، وأذنب ما شئت)[1] انتهىٰ.

(وَلَا لِشَيءٍ مِن عَمَلِيَ القَبِيْحِ بِالحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيرَكَ)

القبيح والقبيحة: خلاف الحسن والحسنة، وهو تعالىٰ مبدلّ السيئات بالحسنات.

ومن أسمائه: (يا مبدّل) كما يبدّل الأرض غير الأرض، ويبدّل وجودات الأبدال إلىٰ وجودات أنور وأقهر، ويبدلّ الجماد إلىٰ النبات، والنبات إلىٰ الحيوان، والحيوان إلىٰ الإنسان، ويبدّل الإنسان بالقوّة إلىٰ الإنسان بالفعل، ويبدّل النطفة إلىٰ العلقة، والعلقة إلىٰ المضغة، والمضغة إلىٰ الجنين، وهكذا.

وبالجملة، هو تعالىٰ مبدلّ جميع ما بالقوىٰ إلىٰ الفعليات، والسيئات إلىٰ الحسنات.

(لَا إلهَ إلّا أنتَ)

أي لا معبود إلّا أنت؛ إذ لكلّ موجود نصيب من المعبودية، من حيث الاحتياج إليه في نظام العالم، وإن كان معبوديته أيضاً باعتبار وجه الله الذي هو في كلّ شيء.

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٧٥، ص ١٢٦، ح ٧.

Books.Rafed.net

وفي الحقيقة ليس سوىٰ ذاته ووجهه تعالىٰ مألوه، وموصوف بأنّه محتاج إليه، كما قال المولوي؟:

هـرچـه در چشـم جـهان نكـوست عكس حسن وبـر تـو احسـان اواست
گر برآن احسان وحسن ايحق شـاسن از تـو روزى در وجـود آيـدسپاس
در حـقيقت آن سـپاس او بـود نـام ايـن وآن لبـاس او بـود
ديدۀ خـواهـم كـه بـاشد شـد شـناس تـا شـناسه شـاه را در هـر سـپاس

ومن أسمائه (يا من لا يعبد إلّا إياه)(١).

والحال أنّ المعبودات الباطلة كثيرة: من الأصنام والأحجار والأشجار، والكواكب والنيران، والصور والطيور، حتّىٰ الكلاب والقطط، والدراهم والدنانير، والنساء والبنات والبنين، والخيول والبغال والحمير. وبالجملة، أكثر الأشياء أو جميعها بوجه.

فمعنىٰ هذا الاسم الشريف: أنّه وإن عبد القاصرون والكافرون كلَّ معبوداً خاصاً، بزعمهم الباطل واعتقادهم الكاسد الراجل، ولكن في الحقيقة ما عبدوا إلّا وجهه الكريم، وفيضه القديم العميم، الذي أشار إليه في القرآن الحكيم: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢). وما خلا وجهه تعالىٰ داثر زائل وفاسد باطل.

كـلّ شـيءٍ مـا خـلا الله بـاطل إنّ فـضل الله غـيم هـاطل

وقال لبيد:

ألاكـل شـيءٍ مـا خـلا الله بـاطل وكـل نـعيم لا مـحالة زائـل(٣)

ولذا قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

---

(١) «المصباح» للكفعمي، ص ٣٣٩. (٢) «البقرة» الآية: ١١٥.

(٣) انظر «مجمع البحرين» ج ٣، ص ١٤٠.

Books.Rafed.net

مُبِينٌ * وَأَنْ ٱعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1].

أي أمعنوا أنظاركم حتىٰ تعرفوني أولاً، ثم اعبدوني، ولا توقعوا أنفسكم بسبب عدم معرفتي في عبادة الشياطين، ﴿إنه لكم عدوٌ مبينٌ﴾.

فالعارف الناقد البصير وإن احتاج إلىٰ الأشياء ما دام في هذا العالم، ولكنّه يعلم أنّ المحتاج إليه في الجميع وللجميع واحد. ونِعَم ما قيل:

عارف حق شناس را باید — که به سوکه دیده بگشاید
در حوائج خدای را بیند — جز شهود خدای نگزیند

بل هو يعلم أيضاً أنّه في وجوده وصفاته وحوله وقوّته يفتقر إليه تعالىٰ، وهو عبده الذي لا يملك شيئاً من الوجود وتوابعه، العبد وما في يده كان لمولاه.

(سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ)

سبحان: مصدر غير متصرّف، لازم الإضافة، ومعناه: أُسبّحك وأُنزّهك تسبيحاً وتنزيهاً، والحال أنّ ذلك التسبيح مقترن بحمدك.

والأولىٰ ـ كما قال بعض المحقّقين ـ : (أن يكون الباء في (بحمدك) للسببيّة، ويكون الحمد مصدراً مضافاً إلىٰ الفاعل، وكان المفعول محذوفاً أو بالعكس. والمعنىٰ حينئذٍ: والحال أنّ ذلك التسبيح بسبب حمدك نفسك، يعني: تسبيحي بحولك وقوّتك، ومقهور تحت تسبيحك لنفسك، وحمدي مبهور تحت حمدك إياك، كما قال سيد الكائناتﷺ: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك)[2].

كيف وحمدنا وتسبيحنا وثناؤنا لك عارية ووديعة لدينا؟ ولابدّ يوماً أن ترد الودائع.

---

(١) «يس» الآية: ٦٠ ـ ٦١.

(٢) انظر «شرح الأسماء» ص ٥٦٣.

Books.Rafed.net

والتسبيح يرجع إلىٰ الحمد، والحمد يرجع إلىٰ التسبيح، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[١] يعني: يسبّح بتسبيحه تعالىٰ لنفسه.

ثم إنّ السائل نزّهه تعالىٰ بعد التشبيه، كأنّه أشار إلىٰ طريقة الموحّدين، وهي الجمع بين صفتي التشبيه والتنزيه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ﴾[٢].

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة جمعواعليهم السلام فيها بين صفتي التشبيه والتنزيه:

منها: ما روي عن الإمام الهمام موسىٰ بن جعفرعليهما السلام، أنّه قال: (إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، ولا يحل في مكان، ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم، ولا خمسة إلّا هو سادسهم، ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا﴾، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلّا هو الكبير المتعال)[٣].

ومنها: ما قال أمير المؤمنينعليه السلام في بعض خطبه: (مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة)[٤].

وقال في البعض الآخر: (لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له: متىٰ، ولا يضرب له أمد بحتىٰ، لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق، تعالىٰ عما ينتحله المحددون من صفات الأقدار ونهايات الأقطار، وتأثل المساكن وتمكن الأماكن، فالحد لخلقه مضروب، وإلىٰ غيره منسوب)[٥].

إلىٰ غير ذلك ممّا جمعواعليهم السلام التشبيه والتنزيه في كلماتهم، من الخطب الجليلة والأدعية الرفيعة الجميلة، وليس لهذا المختصر وسع أكثر ممّا ذكر.

---

(١) «الإسراء» الآية: ٤٤.
(٢) «الشورىٰ» الآية: ١١.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٧، ح ٢٧.
(٤) «نهج البلاغة» الخطبة: ١.
(٥) «نهج البلاغة» الخطبة: ٣٠٦.

Books.Rafed.net

ومن كلمات بعض العارفين، قال: «عرفت الله بجمعه بين الأضداد، كالجمع بين الخفاء والظهور»[١] كما في الدعاء: (يا مَن خفي من فرط ظهوره، واستتر بشعاع نوره). والجمع بين القرب والبعد كما فيه أيضاً (يا من بعُد فلا يُرىٰ، وقرب فشهِد النجوىٰ)[٢]، وبين العلو والدنو: (يا مَن علا في دنوّه، يا من دنا في علوه)[٣]. والجمع بين الدخول في الأشياء والخروج عنها، كما في قولهعليه السلام: (داخل في الأشياء لا بالممازجة، وخارج عن الأشياء لا بالمزايلة) وغير ذلك.

(ظَلَمْتُ نَفْسي)

بتركها في اتّباع الشهوات، ومشايعة وساوس الشيطان، والخروج عن قيود طاعة الرحمن، إلىٰ أن فاتها الوصول إلىٰ كمالاتها البالغة، والعروج إلىٰ مقاماتها الشامخة الفائقة.

ثم إنّ للنفس معاني وإطلاقات، سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالىٰ.

(وَتَجَرّأتُ بِجَهْلي)

وعدم علمي بعواقب الأُمور.

أُلام علىٰ لوٍّ وإن كنت عالماً ... بأذناب لوٍّ لم تفتني أوائله[٤]

التجري: من الجرأة، وهي عبارة عن سرعة الوقوع في الأمر من غير تدبّر ورويّة. والباء للسببية، أي تجرأت وأسرعت إلىٰ مشتهيات نفسي، بسبب جهلي وعدم عرفاني بعواقبها، كما قال الشاعر:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا

---

(١) القائل هو أبو سعيد الخراز علىٰ ما نُقل في «الفتوحات المكية» ج ٤، ص ٣٢٥.

(٢) «الإقبال» لابن طاووس، ج ١، ص ١٤٠.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٩٥، ص ٣٧٩، باختلاف.

(٤) «خزانة الأدب» ج ٧، ص ٣٢٠.

Books.Rafed.net

وبـلغتُ مـا بـلغ امـرؤٌ بشـبابه فـإذا عـصارة كـلّ ذاك أثـام[١]

بيان الجهل البسيط والمركّب

ثمّ إن الجهل بسيط ومركّب:

الأوّل: عبارة عن عدم العلم.

والثاني: عبارة عن عدم العلم بعدم العلم.

علىٰ قياس علمي البسيط والتركيبي يقال: فلان جاهل بالجهل البسيط، أي لا يعلم شيئاً، وبالجهل التركيبي، أي لا يعلم أنّه لا يعلم.

ثم إنّ الجهل بقسميه كان من الخبائث المعنوية، بل أُمّ الخبائث وأصلها، وإن شئت أن تعرف العقل والجهل وجنودهما فعليك بالنظر في كتاب أُصول الكافي[٢].

وقد عدّه علماء علم تهذيب الأخلاق من النجاسات العشرة التي ثمانية منها هي: التهوّر والجبن، اللذان هما طرفا الشجاعة من الإفراط والتفريط.

والشره والخمود اللذان هما طرفا العفّة من إفراطها وتفريطها.

والتقتير والتبذير اللذان هما طرفا السخاوة إفراطها وتفريطها.

والجربزة والبلاهة اللتان هما طرفا الحكمة إفراطها وتفريطها.

وتلك الأربعة ـ أعني الشجاعة والسخاوة والحكمة والعفّة ـ أركان العدالة التي هي الصراط المستقيم، الذي هو أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر. والجميع مأمور بالتجاوز عنه.

ايدل از چشمۀ حكمت بكـف أو رجـايى بو كه از لوح دلت نـقش جـهالت بـرود

(وَسَكَنْتُ إلىٰ قَديمِ ذِكْرِكَ لي وَمَنِّكَ عَلَيَّ)

---

(١) «ديوان أبي نؤاس» ص ٤٩٧. (٢) «الكافي» ج ١، ص ١٠ ـ ٢٩.

Books.Rafed.net

المنّ: العطاء.

أراد السائل: أنّني وقفت علىٰ قديم ذكرك الذي ذكرتك به في سالف الزمان، يعني أوائل عمري وعنفوان شبابي، الذي هو زمان الغرور والغفلة في الأغلب. ووقفت علىٰ العطية التي أعطيتني بها في الأزمنة السابقة.

أراد بها: التوفيق لتحصيل معارفه تعالىٰ، وما اجتهدت حقّ الاجتهاد في معرفة صفاتك وأفعالك وحقيقة أوامرك ونواهيك، وما ساعدني التوفيق إلىٰ الوصول إلىٰ ذروة شهود جمالك وجلالك، والوفود علىٰ فناء جنابك، والقعود في عتبة بابك.

ومقصوده: أنّه ما حصل لي الترقّي إلىٰ المقامات التي يبلغها أهل الحقيقة بعد البرهان، بموهبة التخلّق والعيان والفناء، الذي هو قرّة عين أهل السلوك والعرفان، بحول الله الملك المنّان.

قال رسول الله ﷺ: (مَن تساوىٰ يوماه فهو مغبون)[1]. وفي رواية: (مَن اعتدل يوماه فهو مغبون)[2].

وفي حديث آخر، قال ﷺ: (سيروا فقد سبق المفردون)[3].

والمقصود: الحثّ والإغراء علىٰ الفورية، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَاتِ﴾[4] ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾[5]؛ فإنّ الأنفاس بيد قدرة الله تعالىٰ، فلعل الإنسان قبض في الآن وحرم من أداء التكليف، ففاتته الغبطة العظمىٰ، وغبن الغبن الأفحش.

ولذا قال المولوي:

صوفی ابن الوقت باشد ابرفیق نیست فردا گفتن از شرط طریق

---

(١) «معاني الأخبار» ص ٣٤٢، ح ٣؛ «وسائل الشيعة» ج ١٦، ص ٩٤، أبواب جهاد النفس، ب ٩٥، ح ٥.

(٢) «الفقيه» ج ٤، ص ٢٧٣؛ «الأمالي» للطوسي، ص ٤٣٥، ح ٤

(٣) «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٥٧٧.

(٤) «البقرة» الآية: ١٤٨.

(٥) «آل عمران» الآية: ١٣٣.

Books.Rafed.net

هين مگو فردا كه فرداها كذشت   تا بكلّى نگذرد أيّام گشت
پند من بشنو كه تن بند قويست   كهنه بيرون كن گرت ميل نُويست
بُخل تن بگذار وپيش او رسخا   لب ببند وكفّ پُر زربر گُشا
ترك لذّتها وشهوتها سخااست   هركه در شهوت فروشد برنخواست
اين سخا شاخى است از سر وبهشت   واى ان كز كف چنين بشاخى بهشت

والسالك إلىٰ الله تعالىٰ كان ابن الوقت لا يضيع آناً، والوقت أمضىٰ من سيف صارم، وأقضىٰ من نار تضطرم.

فآنٌ مضىٰ أمسٌ وآنٌ يأتي غداً   وآنٌ بينهما يوم حاضر

* * *

ما فات ماضٍ وما سيأتيك فائتٌ   قُم فاغتنم للوقت بين العدمين

والمراد باليوم في الحديث يحتمل أن يكون الآن، كما قلنا، ولعله هو الأنسب.

ويحتمل أن يكون اليوم المعروف الذي هو عبارة عن قطع الشمس بحركة الأطلس نصف الدورة.

والمراد بالآن هو الآن العُرفي، لا الآن الحقيقي؛ لأنّه لا تحقّق له، فإنَّ الزمان، عابره وغابره متّصل واحد لا مفصل فيه.

وبالجملة، يقول السائل: أيام عمري وأوقات شبابي معتدلة متساوية، فقد مضت جميعها بالتعطيل والغفلات، وسكنت إلىٰ قديم ذكري وحمدي القولي لله واهب العطيات والمسألات، ولم أتخط إلىٰ التخلق والتحقّق الذي هو غاية القربات ونهاية الكمالات.

(اَللّهُمَّ مَولَايَ كَمْ مِنْ قَبيْحٍ سَتَرْتَهُ وَكَمْ مِنْ فادِحٍ مِنَ البَلاءِ أَقَلْتَهُ)

Books.Rafed.net

قد جاء «مولىٰ» لمعانٍ كثيرة، منها: السيّد، والناصر، والنصير. والأنسب هاهنا هو الأول.

وكلمة (كم) خبرية في الموضعين، وهي اسم ناقص مبهم مبني علىٰ السكون، وله موضعان: الاستفهام، والخبر. تقول إذا استفهمت: كم رجلاً عندك؟ بنصب ما بعده علىٰ التمييز، وإذا أخبرت تقول: كم درهم أنفقت؟ تريد التكثير.

ويخفض ما بعده كما يخفض بـ«رُبّ»، إلّا إنّه للتكثير و«ربّ» للتقليل. وإن شئت نصبت.

الفادح: الأمر الذي يثقل، والجمع: الفوادح.

الإقالة ـ هنا ـ بمعنىٰ: العفو والترك والمسامحة، وفي الحديث: (مَن أقال نادماً أقاله الله من نار جهنم).

ومنه: (أقاله الله عثرته)[1] أي خطيئته.

ومنه قول الشاعر:

فقلت يقال المستجير بأرضكم ... إذا ما جنىٰ ذنباً فقال يقال

أوله هذا:

أقول لظبي مر بي وهو راتع ... أأنت أخو ليلىٰ فقال يقال

فقلت أفي ظل الأراكة بالحمىٰ ... يقال ويستظلل فقال يقال

الأول من «القول» مضارع مجهول، والثاني من «الإقالة» بمعنىٰ: الاستراحة والنوم في منتصف النهار، والثالث أيضاً من «الاقالة» بمعنىٰ: المسامحة والعفو والمغفرة.

فقول السائل: (كم من قبيح) أي كم من فعل قبيح صدر عني في خلواتي

---

(١) «الكافي» ج ٥، ص ١٥٣، ح ١٦؛ «وسائل الشيعة» ج ١٧، ص ٣٨٦، أبواب آداب التجارة، ب ٣، ح ٢.

Books.Rafed.net

وجلواتي سترتها بذيل عفوك ورحمتك، وكم من أمر فادحٍ من البلاء والابتلاء الذي أثقلني وأتعبني حمله، أنت تجاوزت وكشفته عني بفضلك ورأفتك.

(وَكَم مِنْ عِثارٍ وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْروهٍ دَفَعْتَهُ وَكَم مِنْ ثَناءٍ جَميْلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَه)

كلمة (كم) في جميع هذه المواضع خبريّة، قد مرَّ معناها.

العِثار ـ بالكسر ـ: من «عثر، يعثر» ـ من باب «ضرب» و«نصر» و«علم» و«كرم» ـ عثراً وعثاراً: إذا كبا، وهو الكبو، أو القريب منه.

والعثرة ـ بالفتح ـ: الخطيئة، ومن أسمائه تعالىٰ: (يا مقيل العثرات).

الوقاية: الحفظ، (وقاه الله شر ذلك اليوم): أي حفظه من ذلك.

الثناء ـ بالمدّ ـ: المدح والذكر الحسن، ويستعمل في الأغلب مع الجميل، وهو خلاف القبيح.

المكروه في الأحكام الخمسة: هو ما كره الله فعله، وفي اللغة: ما تنفّر الطبع عنه ولو في الجملة، وهو هنا أعم ممّا كره الله تعالىٰ فعله وممّا تنفر الطباع عنه، من المرض والألم وسوء الحال.

النشر: التفرّق والاشتهار.

يقول السائل في مقام إظهار مراحمه تعالىٰ وعواطفه: كم من مَزالّ الأقدام يكاد أن تزل فيها قدمي وأكبّ علىٰ وجهي، وقيتني وأمسكتني عن الكبوة بفضلك، وكم من مكاره الأُمور اعترتني في الأحوال، دفعتها ورفعتها عنّي بكرمك، وكم من مدائح وأوصاف حسنة جميلة، ما كنت أهلاً ومستحقاً لانتسابها إليّ، أضفتها إليّ بمنّك وكرمك ولطفك، ونشرتها بين عبادك، والحال أنّه إليك يرجع عواقب الثناءات والمحامد والمدائح كلّها، كما في الدعاء: (وإليك يرجع عواقب الثناء)، بل عواقب

Books.Rafed.net

الأمور جميعاً ﴿أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[١].

وقال صدر المتألّهين﷿ في نبراسه في الفقه شعراً:

محامد من أي حامد بدت ظاهرها لأي محمود ثبت

ففي الحقيقة إليه آئل إذ لله فواضل فضائل

فالحمد كلّ الحمد مخصوص به بل كل حامديةٍ بحوله

(اللّهُمَّ عَظُمَ بَلائِي، وَأَفْرَط بي سُوءُ حالي، وَقَصُرَت بِي أَعْمَالي، وَقَعَدَتْ بي أَغلالي)

البلاء: الغمّ.

الإفراط: تكثير الشيء بحيث يتجاوز عن حدّه، ضد التفريط وهو التقصير عن الحدّ. ولا يخفىٰ ما في الإفراط والقصور من الطباق الذي هو من المحسنّات البديعية.

أغلال: جمع «غلّ»، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلىٰ عنقه، وهنا كناية عن القيود والعلائق، التي هي في الثقل والمنع كالأغلال، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾[٢] وقوله: ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٣].

فقوله: (قعدت بي أغلالي) أي حبستني ومنعتني عن المجاهدة والسلوك في سبيل الطاعات والعبادات ومحاسبة النفس، كما ورد: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[٤]، وإماتتها، كما قالﷺ: (موتوا قبل أن تموتوا)[٥].

ثم الأغلال والأعمال كلاهما فاعلان، لقوله: (قصرت... وقعدت) ويرجعان إلىٰ معنًى واحد، إذ أراد أنّ أعمالي القبيحة وأفعالي الشنيعة قصرت بي، وصارت سبباً

---

(١) «الشورىٰ» الآية: ٥٣.

(٢) «يس» الآية: ٨.

(٣) «الأعراف» الآية: ١٥٧.

(٤) «نهج البلاغة» الخطبة: ٩٠.

(٥) انظر «شرح الأسماء» ص ٤٣٠.

Books.Rafed.net

لقصوري عن درك المقامات ونيل السعادات واستضعاف الدرجات، كما أنَّ قيودي وعلائقي التي هي كالأغلال حبستني عن الوصول إليها.

(وَحَبَسَني عَنْ نَفعي بُعْدُ آمالي، وَخَدَعَتْني الدُّنْيا بِغرُورِها)

حبسني: أي وقفني ومنعني.

الآمال: جمع «الأمل» وهو الرجاء، ضد اليأس.

وفي الحديث: (طول الأمل ينسي الآخرة)(١).

يريد أنَّ طول آمالي في أسباب الدنيا وحبّها منعني عن منافعي التي هي ما تيسر بها لذائذ الآخرة، من لقائه تعالىٰ والوصول إلىٰ الجنات الثلاث، من جنّة الذات، وجنّة الصفات، وجنّة الأفعال، التي وعد المتّقون بها، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾(٢).

قال المولوي ﵀ في المثنوي:

چون ركوعى باسجودى مرد گشت — شد سجود او در آنعالم بهشت
چون زدستت رفت ايثار زكاة — كشت دين دست آنطرف نخل ونبات
چونكه پريد ازدهانت حمد حق — مرغ جنت ساحتش رب الفلق
آب صبرت جوى آب خلدشد — جوى شير خلد مهر تست دور
آن حلاوتها جوى انگسبين — ست وذوق توجوى خمسه بين

فهذ الأبيات والآيات والأخبار الكثيرة في هذا الباب، والدعوات المأثورة عن أهل البيت ﷺ، تدلّ علىٰ تجسّم الأعمال الذي أطبق عليه الإمامية والحكماء والمحقّقون من أهل الكلام، ولسنا الآن في ذلك المقام.

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٢، ص ١٠٦، ح ٢. (٢) «محمد» الآية: ١٥.

Books.Rafed.net

الخدعة: المكر والاحتيال، ويجيء بمعنىٰ الفساد، كما هو المتعارف عند العرب.

وفي الحديث: سئل رسول الله ﷺ: فيما النجاة غداً؟ قال ﷺ: (النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه). فقيل له: فكيف يخادع الله؟ قال: (يعمل ما أمر به الله ثم يريد به غيره، فاتقوا الرياء، فإنّه شرك بالله، إنّ المرائي يدعىٰ يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له)[1].

وفيه أيضاً: (هيهات، لا يخدع الله عن جنّته)[2].

الغرور: تسويل الباطل وتزيينه، وإسناد الخداع إلىٰ الدنيا ليس بالحقيقة، بل علىٰ سبيل المجاز في الإسناد، كما يقول الجاهل: أنبت الربيع البقل، إنّما الدنيا وأسبابها أسباب الخداع وآلاته، وشبكات الفخ وأدواته وحبائله، فإنَّ فاعل التسويل والخدع إمّا النفس، كما قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾[3]. وإمّا الشيطان وجنوده.

كما أنّ النفس المسوّلة من جند الشيطان إن سوّلت الدنيا وأسبابها، ومن جند العقل إن سوّلت العقبىٰ وطاعاتها وما يحصّل به الآخرة.

فلابدّ أولاً من تعريف النفس، وتعريف أقسامها ومراتبها، ثمّ تعريف أفعالها وأحكامها، كما قال السائل:

(وَنَفْسِي بِخِيَانَتِهَا وَمِطالِي)

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٨١ ص ٢٢٧.

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٢٩؛ «بحار الأنوار» ج ٣٤، ص ٨٩.

(٣) «يوسف» الآية: ١٨، ٨٣.

Books.Rafed.net

تعريف النفس وبيان مراتبها الخمسة

اعلم أنّ النفس كما عرفها الحكماء[١]: جوهر مجرد في ذاتها لا في فعلها، وأقوىٰ دليل علىٰ تجرّدها تجرّد عارضها، كما قالوا: النفس مجرّدة لتجرّد عوارضها، وهي جسمانية الحدوث وروحانية البقاء؛ إذ البدن وآلاته وقواه الماديّة الحالّة فيه مرتبة من مراتب النفس، وهو جسم وجسماني.

وأقصىٰ مراتب النفس التي بها كينونتها السابقة وباطن ذاتها هو العقل الفعّال، ثمَّ لها باعتبار صفاتها وشؤونها خمس مراتب، كما أخبر عنها القرآن الكريم:

النفس الأمّارة

الأُولىٰ: الأمّارة، وهي التي تمشي علىٰ وجهها تابعة لهواها، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[٢].

النفس اللّوامة

الثانية: اللّوامة، وهي شأنها تلويم نفسها إن اجتهدت في الإحسان، أو قصرت عنه واجتهدت في الإساءة، وقد أخبر عنها القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٣].

النفس المسوّلة

الثالثة: المسوّلة، وهي لا تزال تزيّن الأشياء من الأسباب الدنيوية، من الدراهم والدنانير والضياع والعقار والنساء والبنات والبنين وغيرها عند نفسها، أو تزيّن الأسباب الأُخروية من القصور والحور والجنّات والأنهار الأربعة وغيرها، ثم يجتهد في تحصيلها من أيّ طريق اتّفق وعلىٰ أيّ وجه وقع، كما قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ

---

(١) «الإشارات والتنبيهات» ج ٣، ص ٢٦٣؛ «شرح المواقف» ج ٧، ص ٢٥٤.

(٢) «يوسف» الآية: ٥٣.

(٣) «القيامة» الآية: ٢.

Books.Rafed.net

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾[١].

النفس الملهمة

الرابعة: الملهمة، وهي التي لا تزال مُلهمة بـإلهام الله تـعالىٰ أو المـلك فـي مهمّاتها وطاعاتها ونسكها، وفي الاطلاع علىٰ المغيبات، أو في فجورها وغرورها، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٢]. ولكن إلهام الفجور والمعصية خـذلان وخسران لها، وإلهام الطاعات والعبادات توفيق وإحسان لها من الله تعالىٰ.

النفس المطمئنّة

الخامسة: المطمئنة، وهي التي اطمأنّت بذكر الله، وتوكّلت عليه في جـميع الأُمور والأحوال، وبردت ببرد اليقين، ووقفت عن الكدّ والسعي في أُمـور الدنـيا، وهي مقامها أعلىٰ وأشمخ من جميع مراتبها الأُخر، وهي المخاطب بقوله تـعالىٰ: ﴿يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٣].

فالنفس ذات عرض عريض، وهي آية الله الكبرىٰ، من عرفها فقد عرف الله، ومن لم يعرفها فلم يعرف الله تعالىٰ. وآية التوحيد؛ إذ هي بوحدتها كلّ الشؤون والصفات والمراتب، كما أنه تعالىٰ بـوحدته جـميع الصـفات الجـمالية والجـلالية واللـطفية والقهرية، وجهه تعالىٰ بوحدته كلّ الأفعال والآثار والوجودات والشؤون.

فجعل تعالىٰ في خلقة الإنسان ووجوده شيئاً من العناصر، وشيئاً من الأفـلاك والأملاك، وشيئاً من العقول، ونفخ فيه شيئاً من روحـه، وأودع فـيها شـؤوناً مـن شؤوناته؛ لأنّه كما أنّ وجهه تعالىٰ في مقام طبع، وفي مقام جسم، وفي مقام نفس، وفي مقام عقل أو في مقام ناسوت، وفي مقام ملكوت، وفي مقام جبروت، وفـي

---

(١) «يوسف» الآية: ١٨.
(٢) «الشمس» الآية: ٨.
(٣) «الفجر» الآية: ٢٧ ـ ٣٠.

Books.Rafed.net

مقام لاهوت، وبذاته لا شيء منها، كذلك النفس في مقام جسم، وفي مقام طبع، وفي مقام نفس مدبّرة، وفي مقام عقل، وفي مقام ليست بهذه كلّها، بل فانية عن جميع هذه، وباقية ببقاء الله.

فإن قلت: إنّها حادثة ذاتاً في مقام الطبع، صدقت.

وإن قلت: إنّها حادثة تعلّقاً، وأردت بالتعلق وجودها الطبيعي الذاتي لا الإضافة المقولية، صدقت.

وإن قلت: إنّها قديمة ذاتاً لا تعلّقاً، باعتبار كينونتها العقلاني التي هي تمامية النفس وصورتها النوعية المفارقة كما مرّ أن شيئية الشيء بصورته وتمامه، صدقت.

وإن قلت: إنّها غير باقية، بل زائلة سيّالة باعتبار حركتها الجوهرية ووجودها الزماني، صدقت.

وإن قلت: إنّها جسم، صدقت.

وإن قلت: إنّها روح صدقت.

تو خود يك خيرى وچندين هزارى دليل از خويش روشن ترندارى

بيان أقسام أربعة للنّفس

ثم اعلم أنَّ للنفس أربعة أقسام: نامية نباتية، وحسّية حيوانية، وناطقة قدسية، وكلية إلهية.

روي: أنّه سأل صاحب هذا الدعاء ـ أعني كميل بن زياد[1] ـ معلّمَه ومعلّمَ الأولين والآخرين أمير المؤمنين عليه السلام، قال: يا مولاي أُريد أن تعّرفني نفسي، قال عليه السلام: (أيُّ الأنفس تريد أن أُعرّفك؟) قال: هل هي إلّا نفس واحدة؟ قال عليه السلام: (إنّما النفس أربعة: النامية النباتيّة، والحسّية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلّية الإلهية ولكلّ واحدة من هذه خمس قوًىٰ وخاصّيتان:

---

(١) في المخطوط زيادة: «عن» بعد «زياد».

Books.Rafed.net

النّفس النباتيّة

فالنامية النباتية لها خمس قوًىٰ: ماسكة، وجاذبة، وهاضمة، ودافعة، ومربّية. وخاصيتها الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد، وهي أشبه الأشياء بنفس الحيوان.

النّفس الحيوانيّة

والحسّية الحيوانية لها خمس قوًى: سمع، وبصر، وذوق، وشمّ، ولمس. ولها خاصّيتان: الشهوة والغضب، وانبعاثها من القلب، وهي أشبة الأشياء بنفس السباع.

النّفس النّاطقة

والناطقة القدسيّة لها خمس قوًىٰ: فكر، وذكر، وعلم، وحلم، ونباهة. وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بنفس الملائكة، ولها خاصيتان: النّزاهة والحكمة.

النّفس الإلهيّة

والكلّية الإلهية لها خمس قوًىٰ: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعزّ في ذلّ، وصبر في بلاء. ولها خاصيتان: الرضا والتسليم، وهذه هي التي مبدؤها من الله وإليه تعود، لقوله تعالىٰ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[1]. وأمّا عَودها فلقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[2].

والعقل وسط الكلّ، لكي لا يقول أحدكم شيئاً إلّا لقياس معقول)[3].

أقول: تحقيق معنىٰ قوله عليه السلام في النفس النباتية: (انبعاثها من الكبد)، وفي الحسّية الحيوانية: (انبعاثها من القلب)، يبتني علىٰ طول كلام في حركات النطفة، واستكمالاتها في الرحم إذا وقعت فيها.

بيان حركات النطفة في الرحم ودورانها

---

(١) «التحريم» الآية: ١٢.
(٢) «الفجر» الآية: ٢٧ ـ ٢٨.
(٣) «قرة العيون» للكاشاني، ص ٣٦٣؛ «بحار الأنوار» ج ٥٨، ص ٨٥.

Books.Rafed.net

فاعلم أنّ النطفة ـ كما نقل عن أبقراط، إذا صبّت في الرحم تصير كروية؛ لأنّها ماء، والماء شكله الطبيعي كروي، إذ كلّ بسيط ـ سواء كان فلكياً أو عنصرياً ـ شكله الطبيعي هو الكروي.

ثمّ تنضج بالتدريج، حتىٰ تطفو أجزاؤها اللطيفة من مركزها إلىٰ محيطها، فتنقسم إلىٰ طبقات أربع بعدد العناصر، فالذي هو غليظ في الغاية يبقىٰ في المركز، وما هو لطيف في الغاية يطفو ويصير طبقة محيطة، وما غلظته غالبة تقرب إلىٰ المركز، وما لطافته غالبة تقرب من المحيط، فما في المركز سوداء، وما في المحيط صفراء، وما يلي الصفراء دم، وما يلي السوداء بلغم.

فهذه وإن كانت طبائعها مختلفة، ولكن باعتبار كونها في حشو الرحم ودم الطمث تحمر بالتدريج، فتصير علقة حمراء في أربعين يوماً.

وفي القدسي: (خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً)[١].

چوچل روزش قرار از رحم يافت   بصورت آدمـى شـد قـطرة آب

وممّا يناسب هذا المقام: أنّ الله تعالىٰ أخذ في تخمير طينة آدم عشر قبضات، قبضة واحدة من العناصر، وتسع قبضات من الأفلاك التسعة: [مثلاً][٢] قبضة الفردانية والجاه أخذها من فلك الشمس، وقبضة المباغضة والعداوة أخذها من فلك المريخ، وقبضة المحبّة من فلك الزهرة، وقبضة السعادة من فلك المشتري، وقبضة النحوسة من فلك زحل. وقِسْ عليه.

ودوّرها أربع دورات: دورة جـمادية، ودورة نـباتية، ودورة حـيوانـية، ودورة إنسانية. والكلّ أربعون.

يك قبضه از عناصر ونه قـبضه از فـلك   دادت چهار دور چوانـدرگلت سـرشت

---

(١) «بحار الأنوار» ج ١١، ص ١٢١.

(٢) في المخطوط: «مثل ان».

Books.Rafed.net

الدور المعدني

ثمّ جعل العناية الإلهية هذه الأخلاط الأربعة ـ التي هي كالعناصر ـ مادّة لخلق الأعضاء السبعة الظاهرة من الرأس والظهر والبطن واليدين والرجلين، والسبعة الباطنة من الدماغ والقلب والكبد والرئة والمرارة والطحال وأعضاء التناسل، فأخذ من الأخلاط لخلق كلٍّ بحسبه وقدره علىٰ ما اقتضته الحكمة. وهذا هو الدور المعدني.

الدور النباتي

ثمّ خلق الله تعالىٰ في هذه الأعضاء الظاهرة والباطنة قوًىٰ نباتية، من رؤساء أربع ـ أعني الغاذية، والمنمّية، والمولّدة، والمغيّرة ـ وجعل لكلّ منها خوادم، من الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والمربية. فجذبت الجاذبة دم الرحم من السرّة إلىٰ معدة الجنين، ثم جذبت جاذبة الكبد الكيلوس من طريق الماساريقا، فهضمته هاضمة الكبد حتىٰ صار كيموساً نضيجاً، فخلق من زبدته وصفوته الروح النباتي، فانبعاثه من الكبد كما قال عليه السلام.

فالباقي من الأخلاط ما كان دماً دخل في الأوردة، ووصل نصيب كلّ عضو إليه، وما كان صفراء انجذب إلىٰ المرارة، وخاصّيته ـ كما قال الأطباء ـ: تنقية الدم؛ لأنّه بمنزلة النار، ملطف ومخلخل للدم.

وما كان سوداء انجذب إلىٰ الطحال، وخاصيته تصيير الدم ذا متانة وقوام، وإدخاله في غذاء الطحال والعظام.

وما كان بلغماً فهو في جميع الأعضاء، وخاصيته ـ كما قالوا ـ: ترطيب المفاصل والأدوات الأُخر، وصيرورته دماً عند احتياج الغذاء، وهذا هو الدور النباتي.

الدور الحيواني

ثمّ انجذب صفوة الدم وزبدة الروح النباتي إلىٰ القلب، فإذا نضجا وطبخا صار

Books.Rafed.net

الروح النباتي روحاً حيوانياً، فانبعاثه من القلب كما قال عليه السلام، وينبعث من طريق الشرايين إلىٰ جميع الأعضاء.

فالقلب منبع حياة جميع الأعضاء، وكما قال الحكماء: منزلته في الإنسان الصغير منزلة الشمس في الإنسان الكبير.

ثمّ يستقل منه قسط إلىٰ الكبد، ويصعد منه قسط صالح طريق بعض الشرايين إلىٰ الدماغ، ونضّج فيه مرة أُخرىٰ فاعتدل وصار روحاً نفسانية، محطّاً ومطية للقوىٰ المدركة الظاهرة والباطنة، والقوىٰ المحرّكة.

وهذا هو الدور الحيواني، وإلىٰ هنا التصويرات في الأرحام.

الدورة الإنسانية

وإذا خرج المولود من بطن أُمّه إلىٰ رحم الأرض كان في الدرجة الحيوانية إلىٰ أوان البلوغ الصوري الظاهري، ثم يأخذ في الدورة الإنسانية مستعملاً للفكر والروية، فإما يسلك مسلك التوحيد، وإمّا يذهب مذاهب أُخر إلىٰ ما شاء الله.

فجميع هذه مراتب النفس الإنسانية، ولها درجات ومقامات أُخر من مراتب العقل بالقوّة، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، والفناء في العقل الفعّال الذي هو قدرة الله الملك المتعال، كما قيل:

ونور الانسان وإن شاب الدجىٰ ... فالهيكل الجامع للتوحيد جا

طبع لدىٰ الحدوث جسماني ... وفي البقاء هو روحاني

ومجمع الصفات تشبيهيهْ ... ومظهر النعوت تنزيهيّهْ

كما بأوج الملكوت طائرُ ... فبحضيض الملك أيضاً سائرُ

كما هو الفعّال للتعقّل ... يدرك بالإحساس والتخيّل

والبدن المقبور من مراتبه ... فليحترم فليس من مثالبه

من ذا قرابين وزور شرعا ... في الحكم عظمه الرميم تبعا

Books.Rafed.net

قال صدر المتألهينﷺ، في شرح بعض هذه الكلمات: «قوله عليه السلام ـ في النفس الحيوانية ـ: (وانبعاثها من القلب) أي أوّلاً وبالذات»..

قال: «وهذا لا يدفع قول الحكيم وتسميته إياها قوىٰ دماغية؛ لأنّ الروح البخاري ينبعث من التجويف الأيسر من القلب أولاً، ثم يصعد في مسلك بعض الشرايين إلىٰ الدماغ، فيبرد بالتردّد في تجاويفه، فيعتدل ويصير مطايا القوىٰ الدماغية».

ثم قال: «ولعل الفكر والذكر والعلم متعلّقة بالعقل النظري المسمىٰ بالقوة العلّامة للنّاطقة، فتكون إشارة إلىٰ العقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد. والحلم والنباهة متعلّقان بالعقل العملي المسمّىٰ بالقوّة العمّالة للناطقة، فتكون إحداهما الحال، والأُخرىٰ الملكة في العمل الصالح، ومناسبة الحلم إنّما هي مع الملكة باعتبار الثبات والاستقامة والطاقة للعامل.

ويمكن أن تكون النباهة إشارة إلىٰ الحدس المغلوب للفكر في الثالثة، والنزاهة هي الحرية التي يقال في النفس الشريفة: هي التي فيها الحكمة والحرية».

ثم قال: «وقوله عليه السلام في الكليّة الإلهيّة: (بقاء في فناء)... إلىٰ آخره، يمكن أن يكون (في) للتعليل ـ ولا يخفىٰ وجهه ـ وأن يكون للظرفية، من قبيل كون الباطن في الظاهر، والروح في الجسد. ومن أمثال العرفاء: إذا جاوز الشيء حدّه انعكس ضدّه».

وقال أيضاً: «وقوله عليه السلام (والعقل وسط الكلّ) تمثيل لكون العقل مركزاً وهي دوائر. لكن اعلم أنّ الأمر في المركز والدائرة المعنويين في الإحاطة علىٰ عكس حال المركز والدائرة الحسّيين، فذلك العقل الكلّي ـ إن رزقك الله تعالىٰ ـ هو الأصل المحفوظ لهذه»[1] انتهىٰ كلامه الشريف.

---

(١) «شرح دعاء الصباح» ص ٩٤ ـ ٩٥، باختلاف.

Books.Rafed.net

معنىٰ خيانة النفس

فإذا عرفت تعريف النفس ومراتبها وأقسامها وبعض أحكامها، فاعلم أنَّ خيانتها للعقل ـ في قول السائل ـ اتّباعها الشهوات العاجلة وهـواجسـها الدائـرة الزائـلة، وهلوعها وولوعها فيها، وتركها نصيحة العقل في الأُمور الآجلة واللـذات البـاقية الدائمة، وتقويتها للوساوس الشيطانية التي مآلها النكال والعقاب، والمانعة عن لقاء الله، والحرمان من لقاء الحور، والخلود في جهنم، بئس المهاد والمآب.

وسبب اتباعها الشيطان وترك نصح العقل هو عدم معرفتها ذاتها وبـاطن ذاتـها الذي هو العقل، وحجّة الله التي أرسلها من الباطن إلىٰ الخلق، وعدم طاقتها وتحمّلها مشاق التكاليف، وعدم بصيرتها في امتياز الحقّ من الباطل، والآجل من العـاجل، كما في الحديث: (حُفّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات)[1].

ولهذا، النفوس الضعيفة ـ في الأغلب ـ تركت اتّباع عيسىٰ العقل، وركبت علىٰ حمير الأبدان، وجعلت جلّ مقاصدها تعميرها وتسمينها.

ترك عـيسىٰ كـرده خـر پـرورده لاجـرم چـون خـردرون بـروده

نقل كلام الغزالي

قال صاحب «إحياء العلوم» في كيفية محاربة النفس مع الشيطان والتطارد بين جنود العقل والجهل في معركة وجود الآدمي: «اعلم أنّ خاطر الهوىٰ يبتدئ أولاً فيدعوه إلىٰ الشر، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلىٰ الخير، فتنبعث النفس بشهوتها إلىٰ نصرة خاطر الشر، فتقوىٰ الشهوة فتحسن التمتع، فينبعث العقل إلىٰ خاطر الخير، ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها، وينسبها إلىٰ الجهل، ويشبّهها بالبهيمة والسبع في تهجمها علىٰ الشر، وقلة اكتراثها بالعواقب.

وتميل النفس إلىٰ نصح العقل، فيحمل الشيطان حملة علىٰ العقل، ويقوىٰ داعي

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٦٧، ص ٧٨، ح ١٢.

Books.Rafed.net

الهوىٰ، فيقول: ما هذا الزهد البارد؟ ولِمَ تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك؟ وهل ترىٰ أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو ترك عزيمته؟ أفتترك ملاذ الدنيا لهم يستمتعون منها وتحجر علىٰ نفسك حتىٰ تبقىٰ محروماً مطعوناً يضحك عليك أهل الزمان، تريد أن تزيد منصبك علىٰ فلان بن فلان، وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمنعوا، أما ترىٰ العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك، ولو كان شراً لامتنع عنه.

فتميل النفس إلىٰ الشيطان وتنقلب إليه، فيحمل الملك حملة علىٰ الشيطان، ويقول: هل لك إلّا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة، أفتقنع بلذة يسيرة وتترك الجنة ونعيمها أبد الآباد؟ أو تستثقل ألم الصبر عن شهوة، ولا تستثقل ألم النار؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم الهوىٰ ومساعدتهم الشيطان، مع أنّ عذاب النار لا يخفف بمعصية غيرك؟ فعند ذلك تميل النفس إلىٰ قول الملك، فلا يزال مردداً بين الجندين، متجاذباً إلىٰ الجانبين، إلىٰ أن يغلب علىٰ القلب من هو أولىٰ به.

فإن غلب علىٰ القلب الصفات الشيطانية غلب الشيطان، وأجرىٰ علىٰ جوارحه سوابق القدر ما هو سبب بُعده عن الله تعالىٰ.

وإن غلب عليه الصفات الملكية لم يصغ القلب إلىٰ إغواء الشيطان، وظهرت الطاعة علىٰ جوارحه بموجب ما سبق من القضاء، و (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن). وفي الحديث: (في القلب: لمّتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، ولمّة من العدوّ إيعاد بالشر وتكذيب بالحقّ)»[1] انتهىٰ.

فظهر أنَّ الشيطان بوساوسه ممدّ ومعين للهواجس النفسانية، والرحمن والملك بعناياته وإلهاماته ممدّ وناصر للنصائح العقلانية، والشخص الإنساني إن كان تخمير طينته من العليين يميل إلىٰ الحقّ بمعونة نصح العقل، وإن كان تخمير طينته من السجين يميل إلىٰ الباطل بمعونة الشيطان وهواجس النفس.

---

(١) «إحياء علوم الدين» ج ٣، ص ٢٦ ـ ٢٧.

Books.Rafed.net

ثم «المطال» في قوله: (ومطالي) هو المصدر الثاني من المصادر الثلاث التي كانت لباب المفاعلة، والمعنىٰ: مماطلتها إياي ومماطلتي إياها. والمماطلة: تأخير الحقّ عن ذي الحقّ، ومنه الحديث: (من مطل علىٰ ذي حق حقه فهو ملعون).

فيقول السائل: خدعتني الدنيا بغرورها، وخدعتني نفسي بخيانتها ومماطلتها إياي عن حقّي الذي هو ما يتقرّب به إلىٰ الله تعالىٰ، من معرفته ومعرفة صفاته وأسمائه، والتخلّق بأخلاقه. وفي إتيانه بلفظ «المطال» دون «المطل» إشعار بأنّ المماطلة من الطرفين، يريد أنّه كما أنّ نفسي ماطلتني عن حقي، كذلك ماطلتها عن حقّها الذي هو سوق الشهوات ونيل الأماني والآمال.

(يَا سَيِّدِي)

قد جاء «سيّد» لمعانٍ.

قال في المجمع: «السيّد: الرئيس الكبير في قومه المطاع في عشيرته وإن لم يكن هاشمياً ولا علوياً، والسيّد: الذي يفوق في الخير، والسيد: المالك. ويطلق علىٰ: الربّ، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والمتحمّل أذىٰ قومه، والزوج، والمقدّم»[1] انتهىٰ.

و(السيّد) من أسمائه تعالىٰ، فهو في حقّه بمعنىٰ الربّ المالك الشريف، الفاضل الكريم الحليم المقدّم، الفائق في الخير. والمعاني الأُخر لا [تناسبه][2] تعالىٰ إلّا إذا جُرّدت عمّا يدلّ علىٰ التجسّم.

ثم لمّا وصف السائل طائفة من نعمه تعالىٰ ومننه بالنسبة إليه ـ وأبرز غصّته من جرائمه وآثامه، وسوء أحواله وآلامه، وعظم بلائه، وخداع الدنيا، وخيانة نفسه ومماطلتها إياه صار المقام مقام الالتجاء والاستعاذة إليه تعالىٰ، ولذا قال:

---

(١) «مجمع البحرين» ج ٣، ص ٧١، مادة «سيد». (٢) في المخطوط: «يناسب به».

Books.Rafed.net

(فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أنَ لا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعائي)

أي لا يستر عنك.

(سُوءُ عَمَلي وَفِعالي)

جمع «فِعل» ـ بالكسر ـ : وهو الاسم من: فَعَلَ يَفعَلُ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[1].

يريد أنّ قبح أعمالي وسوء أفعالي كاد أن يحجب ويستر عنك دعائي فأسألك بعزّتك وقدرتك التي لا يمتنع معها شيء أن تُبدّل سيئات أفعالي بالحسنات، ولا تجعلها حجباً بينك وبين دعواتي وأسئلتي.

والباء في قوله: (بعزّتك) للسببيّة، ويجوز أن يكون للاستعانة.

(وَلا تَفْضَحَني بِخَفِيّ مَا اَطَّلَعْتَ عَليهِ مِنْ سِرّي)

الفضيحة: العيب، والجمع: فضائح، ويجيء بمعنىٰ الكشف.

وفي الدعاء: (اللهم لا تفضحنا بين خلقك)[2] أي استر عيوبنا ولا تكشفنا.

السرّ: خلاف الجهر، وكلمة (من) بيان لـ(ما)، والجملة معطوفة علىٰ ما قبلها.

(وَلَا تُعاجِلْنِي بِالعقُوبَةِ عَلىٰ ما عَمِلتُهُ في خَلَواتي)

العقوبة: العذاب.

(مِنْ سُوءِ فِعْلِي وَإساءَتي، وَدَوَامِ تَفْريطي وجَهالَتي،

---

(١) «الأنبياء» الآية: ٣٧.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٩٤، ص ٢٦٩، وفيه: «لا تفضحنا علىٰ رؤوس الخلائق».

Books.Rafed.net

وَكَثْرَةِ شَهَواتي وَغَفْلَتي)

كلمة (من) أيضاً بيان لـ(ما).

الإساءة: خلاف الإحسان، ومراده الإساءة في طاعة الله وعبادته، كما أن الإحسان في العبادة أن تعبد الله كما تراه، علىٰ ما روي عنهم عليهم السلام.

وقال النبي صلى الله عليه وآله ـ في تفسير الإحسان المذكور في الآية الشريفة: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوْاْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾[1] ـ : (الإحسان أن تعبدوا الله كما ترونه)[2].

التفريط: التقصير عن الحدّ، كما مرّ ذكره.

الجَهالة ـ بالفتح ـ مصدر ـ جهل يجهل جهلاً وجهالة: وهي عدم العلم والمعرفة كما مرّ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَالَةٍ﴾[3].

وقيل: الجهالة: هي اختيار اللذة الفانية علىٰ اللذة الباقية، وهي أيضاً منشؤها عدم العلم.

الشهوات ـ جمع «الشهوة» ـ : وهي والغضب قوّتان مودعتان في النفس الحيوانية، والمراد هنا كل ما تشتهيه النفس وتلتذّ به، كما قال تعالىٰ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾[4].

(وَكُن اللّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي في الأَحْوالِ كُلِّها رَؤُوفاً)

حرف الباء للقَسَم، أي أُقسم عليك بعزتك. وإظهار لفظ الجلالة مع استتاره في كلمة (كن) للتأكيد ولمزيد الاهتمام به، ولتحلية اللسان بذكره، ولإعادة ذكر الحبيب، كما مرّ.

(الأحوال) ـ جمع «الحال» ـ : وهو الهيئة التي عليها الإنسان من التذكّر والتفكّر،

---

(١).«المائدة» الآية: ٩٣.
(٢) «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٧، ح ٢٦١٠، باختلاف.
(٣) «النساء» الآية: ١٧.
(٤) «آل عمران» الآية: ١٤.

Books.Rafed.net

والطاعة والمعصية، والأكل والشرب، والنوم واليقظة وغيرها.

الرأفة: الرحمة، وقيل[١]: هي أرق من الرحمة؛ لأنّها تُقطع مع الكراهة لمصلحة، بخلاف الرأفة فإنّها لا تقطع معها.

و(الرؤوف) من أسمائه تعالىٰ، ونصبه علىٰ أنّه خبر (كن) وأُريد معناه الوصفي.

(وَعَلَيَّ فِيْ جَميعِ الأُمورِ عَطُوفاً)

معطوفة علىٰ ما قبلها، أي وكن اللّهم عليَّ في جميع الأُمور عطوفاً.

العطوف: المشفق.

(إلهي وَرَبّي، مَنْ لِي غَيْرُكَ)

كلمة: (مَن) للاستفهام، ومَن ذا الذي غيرك؟ (ألغيرك من الظهور مـا ليس لك)؟ وغيرك الذي يطلبه الجاهلون ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَـمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ ٱللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[٢].

وإنّما اختص السائل بنفسه وقال: (من لي غيرك)، والحال أنه مَن للجميع غيره تعالىٰ؟ إشعاراً بأنّ عدم رؤية غيره ديدن الموحّدين، ودأب المفردين وغيرهم نصب أعينهم رؤية غيره تعالىٰ في حوائجهم، ومآربهم، وإذا يئسوا عن الأغيار ألجئوا في الاتجاه إلىٰ الله الواحد القهّار، وهو تعالىٰ حينئذٍ يجيبهم ويكشـف عـنهم السـوء، ويعطي مسألاتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٣].

ثم إنّه أردف «الإله» بذكر «الرب»؛ ليخرج العموم والشمول من معنىٰ «الإله»، الذي هو بمعنىٰ المعبود، حقاً كان أو باطلاً، ويخصّه بالإله الذي هو معبوده الحقيقي،

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) «النور» الآية: ٣٩.

(٣) «النمل» الآية: ٦٢.

Books.Rafed.net

وربّه وربّ العالمين.

والربّ يطلق علىٰ: المالك، والمدبّر، والسيّد، والمربّي، والمتم، والمنعم، والصاحب. وهو غير مضاف لا يطلق إلّا علىٰ الله تعالىٰ.

(أَسْأَلُهُ كَشفَ ضُرّي، وَالنَّظَرَ فِي اَمْريْ)

والجملة مُستفهم عنها.

وفي المجمع قال: «قال الشيخ أبو عليﷺ: الضُرّ ـ بالضم ـ : هو الضرر في النفس، من مرض وهُزال ووجع وغيره، وبالفتح: الضرر من كلّ شيء»[1].

أقول: إن كان مراد السائل هو الضُرّ ـ بالضم ـ كما هو المشهور في الألسنة والمسطور في النسخ، فيقول: مالي أحد أسأله ارتفاع ضرّ نفسي من الآلام والأمراض والهموم والغموم غيرك، كما هو المراد في قوله تعالىٰ حكاية عن أيوب النبيعليه السلام: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2].

وإن قرئ ـ بالفتح ـ فمراده أسأله كشف جميع مضرّاتي، سواء كانت نفسانية أو جسمانية أو غيرهما.

والأمر في قوله: (والنظر في أمري) أعمّ من الأُمور الدينية والدنيوية.

(إلهي وَمَولايَ أَجْرَيْتَ عَليَّ حُكماً اتبعتُ فيهِ هَوىٰ نَفسي)

بيان معنىٰ الحكم

المراد بالحكم هنا: الحكم الشرعي، أي التكليف، وهو ـ كما قيل ـ : طلب الشارع الفعل أو تركه، مع استحقاق الذم بمخالفته وبدونه أو تسويته.

وعند الأشاعرة: هو خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلّفين.

---

(١) «مجمع البحرين» ج ٣، ص ٣٧٢.

(٢) «الأنبياء» الآية: ٨٣.

Books.Rafed.net

فالفعل المطلوب إن كان مع المنع من الترك فهو الواجب، أو مع جـواز التـرك ولكن علىٰ المرجوحية فهو المندوب، أو علىٰ الراجحية وهـو المكـروه، أو عـلىٰ المساواة وهو المباح.

والترك المطلوب إن كان مع المنع من الفعل فهو الحرام.

التحسين والتقبيح العقليان والشرعيان

ومعنىٰ قولنا: أنَّ المراد بالحكم: الحكم الشرعي، ليس أنّه لا يكون عقلياً، بـل الشرع كاشف عن أحكام العقل، كما هو قاعدة التحسين والتقبيح العقليين؛ لأنّه قد اختلف في حسن الأشياء وقبحها أنّهما عقليان أو شرعيان؟

فذهب جمهور الإمامية والحكماء وجمهور المعتزلة إلىٰ الأول[١].

وجمهور الأشاعرة إلىٰ الثاني[٢].

والمراد بحسن الفعل: أن يستحق فاعله المدح، وبقبحه أن يستحق فـاعله الذم.

والمراد بالعقلية: أنه يمكن أن يعلم الممدوحية النفس الأمريّة أو المذموميّة النفس الأمرية، وإن لم يرد أمر ونهي فيها من الشرع؛ إمّا تفصيلاً، وإمّا اجمالاً بأن يعلم أنّه لو لم يكن في الفعل المأمور به جهة حسن لما أمر به، ولو لم يكـن فـي المنهي عنه جهة قبح لما نهىٰ عنه، وإن لم يعلمهما بخصوصهما.

والمراد بشرعيتهما خلاف ذلك، فإنَّ الأشاعرة[٣] ـ مثلاً ـ يقولون: لا حسن وقبح في المأمور والمنهي في نفس الأمر، بل الحسن والقبح بمجرّد الأمر والنهي. ويقولون: ما أمر به في وقتٍ جاز أن ينهىٰ عنه في ذلك الوقت، وما نهىٰ عنه فـي وقت جاز أن يأمر به في ذلك الوقت.

والقائلون بالعقلية يقولون: لا يجوز إلّا في وقتين؛ للمصلحة والمفسدة، كما في

---

(١) انظر «كشف المراد» ص ٥٩.

(٢) انظر «كشف المراد» ص ٥٧.

(٣) انظر «كشف المراد» ص ٥٧.

Books.Rafed.net

النسخ، والآيات المنسوخة تدلّ علىٰ ذلك.

والحقّ: العقلية، والأحكام الخمسة الشرعية كواشف العقلية.

والأدلّة التي ذُكرت من الجانبين كثيرة في كتبهم المبسوطة، من شاء فلينظر إليها، وهذا المختصر لا يليق بذكره.

الهوىٰ ـ بالقصر ـ: ميل النفس إلىٰ مأمولها.

وفي الحديث: (شرّ إله عُبد في الأرض الهوى)[1]. والعمل به باطل شرعاً.

وفيه أيضاً: (ليس لأحد أن يأخذ بهوىٰ ولا رأي ولا مقاييس).

(وَلَمْ أَحْتَرِسْ فيهِ مِنْ تزْيينِ عَدوّي)

(لم أحترس): أي لم أحتفظ.

وفي الدعاء: (اللهم احرسني من حيث أحترس، ومن حيث لا أحترس)[2].

التزيين: التحسين والتجلية.

يريد أنّ في الحكم والتكليف الذي أجريت عليَّ اتبّعت فيه هوىٰ نفسي، وما حفظت نفسي في العمل بأمر الله والكفّ عن المنهي عنه (تزيين عدوي) الذي هو الشيطان، فإنَّ شأنه وشغله تحسين المحرّمات وتزيينها علىٰ النفوس، حتّىٰ اتبعتها في تحصيلها واستدراكها.

ولذا علّمنا الله تعالىٰ بالاستعاذة منه ومن مكائده في جميع الأحوال إليه تعالىٰ، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3] وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[4] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[5]... إلىٰ آخره.

وفي جامع الأخبار: قال: «روي أنَّ إبليس ظهر ليحيىٰ بن زكريا، فرأىٰ عليه

---

(١) انظر «شرح الأسماء» ص ١٠٠.
(٢) «بحار الأنوار» ج ٨٣، ص ٤٥.
(٣) «النحل» الآية: ٩٨.
(٤) «الناس» الآية: ١.
(٥) «الفلق» الآية: ١.

Books.Rafed.net

معاليق من كل شيء، فقال يحيىٰ عليه السلام: (ما هذه؟) قال: هذه الشهوات التي أُصيب بهنَّ بني آدم، فقال: (هل لي فيها شيء) قال: ربّما شبعت فثقلتاك عن الصلاة والصوم والذكر. قال عليه السلام (لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً). قال إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً»[1].

أقول: فلعلك رأيت في المثنوي الحكاية التي ذكرها عن الشيطان في قصة إبراهيم عليه السلام بقتل الديكة، التي هي إشارة إلىٰ القلع والقمع للقوة الشهويّة، ولا نبالي بذكرها هاهنا؛ للمناسبة بينها وبين الحديث المذكور:

كفت إبليس لعين ذا نارزا ... دام زفتی خواهم این اشکار را
زر وسیم وکلهٔ اسبش نمود ... که بدین ثانی خلائق را ربود
کفت شاباش و ترش افکند لنج ... شد ترنجیده و ترش همچون ترنج
پس زد وگوهر زمعدنهای کش ... کردان پس مانده را حق پیشکش
گیر این دام دکر را ای لعین ... کفت زین افزون ده‌ای نعم المعین
چرب و شیرین و شرابات شمین ... دادش وبس جامهٔ ابریشمین
کفت یارب بیش از این خواهم مدد ... تابه بند هشان بحبل من مسد
تاکه مستانت که نرو پردلند ... مردوا راین بندها رابکسلند
تا بدین دام ورسنهای هوا ... مرد تو کرد زنامردان جدا
دام دیکر خواهم بسلطان محنت ... دام مرد انداز حیلت ساز سخت
خمر وچنك آورد پیش اونهاد ... یتیم خنده زد بدان شدیم شاد
سوی اضلال ازل پیغام کرد ... که براد از قعر بحر فتنه کرد
فی یکی از بند کانت موسی است ... پردها در بحر او از کرد بست
اب از هر سوعنانرا فاکشید ... از تك دریا غباری برجهید

---

(١) «جامع الأخبار» ص ٥١٥، ح ١٤٥٤.

Books.Rafed.net

چونكه خوبى زنان با او نمويد   كه از عقل وصبر مردان مير بود
پس زدانكشتك برقص اندرفتاد   كه بده زوتر رسيدم برمراد
چون بديدان چشمياى پرخمار   كه كند عقل و مجرد را بيقرار
وان صفاى عارض آن دلبران   كه بسوز چون سپندايىن دل ران
رو وخال وابرو ولب چون عقيق   كوئيا حق تافت از بردهٔ رقيق

أعاذنا الله تعالىٰ عن شروره وفتنه بألطافه ومننه، ووقانا من الوقوع في حبائله ومكائده.

(فَغَرَّني بِما أَهْوىٰ)

أي خدعني نفسي أو عدوي الذي هو الشيطان، بسبب ما أرغب فيه من المشتهيات والمشتبهات.

(وَأَسْعَدَهُ عَلىٰ ذَلِكَ)

أي أعانه وأمده ـ أي نفسي أو عدوي ـ علىٰ الخداع والتسويل.

(القَضاء)

بيان معاني القضاء

القضاء في اللغة يأتي لمعان:

أحدها: الإتيان بالشيء.

الثاني: فعل العبادة ذات الوقت المحدود المعيّن بالشخص خارجاً عنه.

الثالث: فعل العبادة استدراكاً لما وقع مخالفاً لبعض الأوضاع المعتبرة، ويسمّىٰ هذا: إعادة.

Books.Rafed.net

جميعها مذكورة في مجمع البحرين[١].

وفي الصحاح قال الجوهري: «القضاء أصله: قضاي؛ لأنّه من: قضيتُ، إلّا إنّ الياء لمّا جاءت بعد الألف هُمزت، والجمع: الأقضيّة، والقضية مثله، والجمع: قضايا»[٢].

والقضاء المقرون بالقدر كما هو المراد هاهنا.

قيل: المراد به: الخلق، وبالقدر: التقدير. ويؤيده قولهعليه السلام: (**القضاء: الإبرام وإقامة العين**)[٣] وقولهعليه السلام: (**وإذا قضىٰ أمضىٰ**)[٤] وهو الذي لا مردّ له.

وفي حديث عليعليه السلام، مع الشيخ الذي سأله عن المسير إلىٰ الشام، قال له: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلىٰ الشام، أبقضاء من الله وقدر؟ فقالعليه السلام: (**يا شيخ ما علوتم تلعة ولاهبطتم بطن وادٍ إلّا بقضاء من الله وقدر**). فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي؟ فقالعليه السلام: (**وتظن أنّه كان قضاء حتماً وقدراً لازماً؛ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله، ويسقط معنىٰ الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة من الله للمذنب ولا محمدة للمحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأُمّة**)[٥].

وفيه أيضاً عن عليعليه السلام، قال: (**الأعمال ثلاثة أحوال: فرائض، وفضائل، ومعاصي.**

فأمّا الفرائض فبأمر الله ورضا الله وبقضاء الله ومشيئته وبعلمه وتقديره. وأمّا الفضائل فليس بأمر الله، ولكن برضا الله وبقضائه ومشيئته وعلمه. وأمّا المعاصي فليست بأمر الله، ولكن بقضاء الله ومشيئته وعلمه، ثمّ يعاقب عليها)[٦].

أقول: قد ظهر بقولهعليه السلام في تحقيق معنىٰ القضاء للعاقل الفطن ما قاله الحكماء: من أنّ القضاء هو وجود جميع الموجودات مجملة علىٰ الوجه الكلّي في العالم

---

(١) «مجمع البحرين» ج ١، ص ٣٤٣، مادة «قضا». (٢) «الصحاح» ج ٦، ص ٢٤٦٣، باختلاف.
(٣) «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٤٩. (٤) «بحار الأنوار» ج ٩٤، ص ٢٥٧.
(٥) «الكافي» ج ١، ص ١٥٥، ح ١، باختلاف. (٦) «بحار الأنوار» ج ٧٥، ص ٤٣، ح ٣٥.

Books.Rafed.net

العقلي، والقدر هو وجود صور الموجودات مفصّلة في العالم النفسي السماوي علىٰ الوجه الجزئي، مطابقة لما في موادها الخارجية.

وقد مرّ أن فيضه تعالىٰ من حيث كونه علّة مؤدية لوجود المقضي في الألواح العالية وفي هذا العالم قضاء، ومن حيث إنّه يقدّر شكل المقضي ويعيّنه قدر.

فقول السائل: (ولأسعده علىٰ ذلك القضاء) يعني: أعان نفسي أو عدوي في اغتراري وافتتاني في سوق الشهوات وصدور المعاصي القضاءُ، أي وجوداتها العقلانية التي كانت علّة مؤدية لوجود ما صدر عني في هذا العالم من الحسنات والسيئات.

(فَتَجاوَزْتُ بِما جَرىٰ عَلَيَّ مِنْ ذلِكَ بَعْضَ حُدودِكَ)

الحدود: جمع الحدّ، وحدوده تعالىٰ: أحكامه من الأوامر والنواهي، كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾[1] وسمّاها: حدوداً؛ لأنَّ الشرائع كانت كالحدود المضروبة للمكلّفين، لا يجوز لهم أن يتجاوزوها.

يريد: أنّه لأجل اغتراره من نفسه تجاوز بعض حدود الله تعالىٰ. وحرف الباء للسببية.

(وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوامِرِكَ)

الأوامر: جمع «أمر»، علىٰ غير القياس، وكلمة (بعض) كما يطلق علىٰ واحد من الجماعة، وعلىٰ فرد واحد من كل شيء، وعلىٰ جزء واحد، كذلك يطلق علىٰ أكثرهم وعلىٰ أكثر الأفراد والأجزاء.

ومخالفة الأمر أعمّ من أن لا يقضيه أو يقضيه، ولكن لا يكون كما أمره تعالىٰ،

---

(١) «البقرة» الآية: ١٨٧.

Books.Rafed.net

مثلاً أمر الله تعالىٰ بإتيان الصلاة وإقامتها في وقتها مع شرائطها المقرّرة، إن صلىٰ أحدٌ غير جامع لشرائطها، أو لم يصلِّ في وقتها عامداً عالماً، كان مخالفاً لأمره تعالىٰ.

ومن جملة أوامره الأمر بتحصيل المعرفة، كما فسّروا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] أي ليعرفون. وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[٢]؛ إذ العبادة فرع علىٰ معرفة المعبود ولو إجمالاً.

وأقلّ مراتب معرفته تعالىٰ: معرفته بالبرهان، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[٣].

وقال الباقر عليه السلام: (إنّي لوددت أن أضرب رؤوسكم بالسياط حتّىٰ تتفقهوا في الدين، وتستنبطوا أُصول عقائدكم بالحجج والبراهين)[٤].

وروي: (المتعبّدون بغير علم كحمار الطاحونة)[٥].

(فَلَكَ الحَمْدُ عَلَيَّ فِي جَمِيْعِ ذٰلِكَ)

كما في الدعاء: (نحمدك علىٰ بلائك، كما نشكرك علىٰ آلائك).

وحقّ الحمد وحقيقته ما حمد الله به نفسه، إذ حمده هو الوجود المنبسط بشراشره، فإنّ حقيقة الحمد هي إظهار فضائل المحمود وفواضله، وشرح جماله وجلاله، وهو بتمامه شارح كمالاته تعالىٰ وأفضاله، وواصف كراماته وإجلاله، وإعراب عمّا في مرتبة غيب الغيوب، كما ورد أنَّ كلامه تعالىٰ فعله.

قال السيد المحقّق الداماد ـ نوّر الله ضريحه ـ في القبسات: «أفضل مقامك

---

(١) «الذاريات» الآية: ٥٦.
(٢) «البينة» الآية: ٥.
(٣) «البقرة» الآية: ١١١.
(٤) «قرة العيون» للكاشاني، ص ٢٠، وفيه: «ليت السياط علىٰ رؤوس أصحابي حتىٰ يتفقهوا في الحلال والحرام».
(٥) «بحار الأنوار» ج ١، ص ٢٠٨، ح ١٠، وفيه: «المتعبد علىٰ غير فقه...».

Books.Rafed.net

في الحمد أن تجعل قسطك من حمدك لبارئك قصياً مرتبتك الممكنة من الاتصاف بكمالات الوجود، كالعلم والحكمة والجود والعدل مثلاً، فيكون جوهر ذلك حينئذٍ أجمل الحمد لبارئك الوهاب سبحانه، فإنك إذن تنطق بلسانك الحال كلّ صفة من تلك الصفات أنها فِيك ظل صفته سبحانه، وصنع هبة ذاته جلّ سلطانه بحسب نفس ذاته في تلك الصفة، علىٰ أقصىٰ المراتب الكمالية.

فقد ذكرنا في سدرة المنتهىٰ وفي المعلقات علىٰ زبور آل محمدﷺ: أنّ الحمد في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[١] هو ذات كلّ موجود بما هو موجود، وهوية كلّ جوهر عقلي بحسب مرتبته في الوجود وقسطه من صفات الكمال؛ ولذلك كان عالم الأمر ـ وهو عالم الجواهر المفارقة ـ عالم الحمد وعالم التسبيح والتمجيد. ومنه في القرآن الحكيم: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[٢]»[٣] انتهىٰ كلامه القمقام.

(وَلاَ حجَّةَ لي فيما جَرىٰ عَلَيَّ فيهِ قَضاؤكَ)

الحجة ـ بضم الحاء ـ اسم من الاحتجاج: وهو المغالبة علىٰ الخصم بالدليل، كما قال تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٤] وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ﴾[٥].

و(قضاءُ) ـ بالرفع ـ فاعل (جرىٰ) أُضيف إلىٰ ضمير الخطاب، والمخاطب هو الله تعالىٰ، يريد السائل: أنّه لا حجّة لي في شيء جرىٰ قضاؤك عليَّ في ذلك الشيء، بل لك الحجّة في إجراء قضائك عليَّ. ومقصوده: أنَّ المجاوزة عن بعض الحدود

---

(١) «الفاتحة» الآية ٢.
(٢) «التغابن» الآية: ١.
(٣) «القبسات» ص ٤٥٩.
(٤) «النساء» الآية: ١٦٥.
(٥) «الأنعام» الآية: ١٤٩.

Books.Rafed.net

والمخالفة في بعض الأوامر وقعت عني لسببين:

أحدهما: السبب الطبيعي الذي هو اغترار نفسي المسوّلة.

والآخر: هو السبب الإلهي الذي هو قضاؤك الذي لا مردَّ له، كما قيل: إذا جاء القضاء ضاق الفضاء، وإذا جاء القدر عمىٰ البصر.

قضا چون از گردون فرو ريخت پر ... همه عاقلان كور گردند وكر

چون قضا آيد طبيب ابله شود ... و آندوا در نفع خود گمره شود

از قضا سركنگبين صفر آفزود ... روغن بادام خشكى مينمود

فأين الحجّة وأي حجة لي في ذلك؟.

(وألزَمنَي فِيهِ حُكْمُكَ وَبَلاؤك)

حكمه تعالىٰ: مشيئته الفعلية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[1].

والبلاء: بمعنىٰ الابتلاء والامتحان.

وقوله: (ألزمني) أي أثبتني وقفني، والضمير الغائب راجع إلىٰ التجاوز والتخالف في الأوامر والحدود.

(وَقَدْ أَتَيْتُكَ يا إلٰهي بَعْدَ تَقْصِيري وإسْرافِي عَلَىٰ نَفْسِي، مُعْتَذِراً نادِماً، مُنْكَسِراً مُسْتَقِيلاً، مُسْتَغِفراً منيباً، مُقرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً، لا أجِدُ مَفَرّاً مِمّا كانَ مِنّي، ولا مَفْزَعاً أتَوَجَّهُ إليهِ في أمْرِي، غَيرَ قَبولِكَ عُذْرِي)

التقصير: التفريط في الأعمال كما مرّ، والإسراف: هو الإفراط فيها بحيث يتجاوز عن الحدود.

---

(١) «الإنسان» الآية: ٣٠؛ «التكوير» الآية: ٢٩.

Books.Rafed.net

وقد مرّ أنهما من القذارات المعنوية.

فليجتنب المؤمن العادل عن الوقوف في حدّي الإفراط والتفريط، ويستقرّ في حدود الأوساط في كلّ شيء، حتىٰ تتحلىٰ نفسه بالأخلاق الحسنة من الحكمة والعفّة والسخاوة والشجاعة. وليقتصد فليكن أُمّة وسطاً، كما قال تعالىٰ: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[1].

الاعتذار: إظهار ما يقتضي العذر والإتيان به.

الندامة: هي التوبة، والندم: ضرب من الغمّ والحزن، وهو أن يغتمّ علىٰ ما وقع منه، يتمنىٰ أنّه لم يقع.

والانكسار: هو كسر الفؤاد، كما في الحديث القدسي: (أنا عند القلوب المنكسرة)[2].

چون دوست دل شكسته ميدارد دوست زين بعد من وشكسته كى و درِ دوست

الاستقالة: طلب الإقالة والعفو، كما أنّ الاستغفار طلب المغفرة والرحمة.

والإنابة: الرجوع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[3] أي راجعين إليه.

مقرّاً: أي قائلاً باللسان.

والإذعان: هو الاعتقاد بالجنان، كما أنّ الاعتراف هو الإقرار مع الاعتقاد.

وجملة: (لا أجد...) إلىٰ آخره، متعلّقة بقوله: (مقرّاً) وما بعده.

المَفرّ: المهرب والمناص.

المفزع: الذي يلتجأ ويفزع إليه في الشدائد والمهالك.

(غير): اسم الاستثناء، والمستثنىٰ (مفرّاً)، كأنّه قال: لا أجد مفرّاً إلّا أنت لتقبل

---

(١) «البقرة» الآية: ١٤٣.

(٢) انظر «شرح الأسماء» ص ٤٢٤.

(٣) «الروم» الآية: ٣١، ٣٣.

Books.Rafed.net

عذري، وهو تعالىٰ باعتبار المَفَرِّية داخل في المستثنىٰ منه.

(وإدخالِكَ إيّايَ في سَعَةٍ مِنْ رَحْمَتِكَ)

أي وغير إدخالِكَ، معطوف علىٰ (قَبولكَ).

المراد بالرحمة هنا: الرحمة الرحيمية؛ إذ هو ثابت في سعة من رحمته الرحمانية. ويحتمل أن يكون المراد مطلق الرحمة.

(اللّهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرّي، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثاقِي)

الفكاك والتفكيك: التخليص، كقوله تعالىٰ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[1].

الوَثاق ـ بالفتح، وقد جاء كسر الواو فيه في لغة في الأصل ـ: حبل أو قيد يُشدّ به الأسير والدابة، ثم استعمل في كلّ ما يقيّد به الشخص من الحبال والقيود والسلاسل والأغلال، والذنوب والآثام التي تقيّد الإنسان، ويصير كالأغلال في الأعناق.

فالتمس السائل من الله تعالىٰ إعتاق رقبته من قيود الخطيئات، واستخلاص نفسه عن تحمّلها، والترحّم علىٰ مسكنته وضرّه.

(يا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَني)

لأنّك وصفت خلقة الإنسان بالضعف في كتابك، وقلت: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾[2]؛ إذ بدن الإنسان مركّب من لطائف العناصر وصفوتها، لا يطيق الشدائد

---

(١) «البلد» الآية: ١٣.

(٢) «النساء» الآية: ٢٨.

Books.Rafed.net

والمشقّات.

(وَرِقَّةَ جِلْدِي)

الذي هو أرقّ وألطف من الحرير.

الرقيق: خلاف الثخين والغليظ، ومنه الثياب الرقاق.

جلد الإنسان قشرة، كما أنَّ لحمه وعظمه لبة في بدنه.

(وَدِقَّةَ عَظمِي)

الدقيق: خلاف الجليل والعظيم، كما في الحديث: (إنّ الله استولىٰ علىٰ مـا دقّ وجلّ)[١].

العَظْم ـ علىٰ وزن «سهم» ـ : قصب الحيوان الذي عليه اللحم، وقد يطلق علىٰ العضو مطلقاً سواءً كان عظماً أو غيره، كما في الحديث: (سجد علىٰ سبعة أعظم)[٢] أي سبعة أعضاء، وهي المساجد السبعة من الجبهة والكفّين والركبتين والإبهامين.

ثمّ إنه خلقة العظام في بدن الحيوان والإنسان بمنزلة الجبال التي خلقها الله تعالىٰ في بدن الإنسان الكبير، وعددها في الإنسان ـ كما قيل ـ ثمانية و أربعون ومائتان.

بعدد رحم عدد عظم.

چـو خـواهـي كـه بـدانـى يـقين می برون آيد أز انجا كه برون می‌آيی

يعني: من الرحم.

(يا من بدأ خلقي وذكري وتربيتي وبرّي وتغذيتي)

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٤، ص ١٨١.

(٢) «الاستبصار» ج ١، ص ٣٢٩، ح ١٢٣٢، وفيه: «السجود»، بدل: «يسجد».

Books.Rafed.net

أي الذي خلقني من العدم، ومضت عليّ أزمنة طويلة ما كنت فيها شيئاً مذكوراً، كما أخبر عنها القرآن الحكيم بقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[1].

ثم أحسن بي وأشار باسمي حين وقعت نطفتي في رحم اُميّ، فحفظني فيها وما أضاعها، ثم جعلني في أربعين يوماً علقة حمراء، كما مرّ.

ثمّ جعلني مضغة، ثمّ جنيناً ذا نفسين: نفس نباتية، ونفس حيوانية.

ثمّ ألهمني جذب دم الطمث في رحم اُمي من السرّة إلىٰ معدتي، وغذّاني به ما أبقاني فيه، إلىٰ أن مضت عليّ الشهور، وأثّرت فيّ الكواكب السبعة.

ثمّ أخرجني منها ملهماً بالتقام ثدي اُمي، ومعلّماً بالبكاء، ولولا إلهامه تعالىٰ وتعليمه لجعلتُ الثدي في فضاء فمي اُلجلجه وما مصصته.

ثمّ حفظني ورزقني في الدرجة الحيوانية إلىٰ أوان بلوغي الصوري، ثمّ وفّقني لتحصيل كمالاتي النفسانية، واكتساب معارفه ومعارف أوليائه وأنبيائه، إلىٰ أن بلغت أشدّي.

فكنت مدّة في هاوية الهيولىٰ والظلمات، وزماناً في فيفاء الجمادات، ووقتاً في آجام القصبات ومنبت النباتات، وبرهة كالديدان في الموحلات، وكباقي الحيوانات والعجماوات.

وفي جميع هذه المواقف والمقامات، غذّاني وربّاني وحفظني وكلأني، وصيّرني إنساناً في أحسن تقويم، ذا الأيدي والقوىٰ والقُدَر، فبأيّ لسان أشكر نعماءه وأحمد آلاءه؟ وفي أي بيان أدرج محامده وثناءه؟

غير آنكه زبان بكام خموشى كشيم ودم نزنيم

---

(١) «الإنسان» الآية: ١.

Books.Rafed.net

(هَبْنِي لابْتِداءِ كَرَمِكَ وَسالِفِ بِرِّكَ بِي)

هب: أمرٌ من الهبة، وهي العطاء.

الكرم: كالموهبة من الله تعالىٰ، إفادة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض، كما مرّ الكلام في جوده تعالىٰ.

سالف الزمان: ما مضىٰ منه.

البِرّ: الإحسان، وبالفتح بمعنىٰ: البارّ المحسن.

يريد السائل: أنّه لأجل ألطافك القديمة، ومواهبك العظيمة العميمة السالفة التي أعطيتها لي في ابتداء وجودي إلىٰ الآن، اغفر لي ذنوبي واعطني سؤلي، فإنّك عوّدتني بمواهبك السنية، ومراحمك البهية العلية.

(يا إلٰهي وَسَيِّدِي وَرَبّي، أتُراكُ مُعَذِّبي بِنارِكَ بَعْدَ تَوحِيدِكَ)

الهمزة: للاستفهام الإنكاري، و«تُرىٰ»: مضارع «رأىٰ»، وقياسه: «ترأىٰ» في مضارعه، كـ«تخشىٰ»، ولكن العرب أجمعت علىٰ حذف الهمزة من مضارعه، فقالوا: يرىٰ، يريان، يرون، من الرؤية.

والكاف مفعوله الأول، وجملة: (معذّبي بنارك) مفعوله الثاني، وكلمة (بعد) من ظروف الغايات.

وتوحيده تعالىٰ تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة، فهو تعالىٰ واحد؛ إذ ليس له شريك واحد؛ لأنّه بسيط وليس له جزء.

النسبة بين الأحدية والواحدية

وبين الأحدية والواحدية ـ كما قرّر في محلّه ـ عموم من وجه؛ لاجتماعهما في الحقّ البسيط الصرف المحض، وفي العقول، سيّما علىٰ مذهب الإشراقيين؛ لأنّهم يقولون: إنّها وجودات وأنوار بحتة لا ماهية لها، والتفاوت بينها وبين الوجود

Books.Rafed.net

الواجبي بالشدّة والضعف.

وكذا في النوع البسيط الذي هو هيولىٰ عالم العناصر علىٰ طريقة المشّائين، حيث إنّها مخالفة بالنوع لهيولىٰ عالم الأفلاك، فلا شريك لها من نوعها، وهي بسيطة؛ لأنّ جنسها مضمّن في فصلها، وفصلها مضمّن في جنسها، وإن كان لها شريك في جنسها ووجودها، وكان لها أجزاء عقلية، كما عرفت بأنّها جوهر مستعد، أو ماهية ووجود.

وتفارق الأحدية عن الواحدية في النقطة، من حيث انتفاء الأجزاء المقدارية عنها. وكذا في الأعراض من الماهيات التامّة، من حيث انتفاء الأجزاء الخارجية عنها، وإن كان لها الأجزاء العقلية. وكذا في الأجناس العالية والفصول الأخيرة من الماهيات الناقصة، من حيث انتفاء الأجزاء العقلية عنها.

وتفارق الواحدية عن الأحدية في الأجرام الفلكية من الأفلاك الكلّية والجزئية والكواكب السيارة وغيرها، إذ كلّ منها نوعه منحصر في فرده، ولا شريك له في نوعه، وإن كان لها شريك في جنسها ووجودها، ولو اعتبر النفي بالكلّية كانتا من الصفات المختصة بالله تعالىٰ؛ لأنّ ما سواه من الموجودات لا يخلو من شيء منها من الشريك في الوجود، بخلافه تعالىٰ فإنّه لا شريك له في الوجود، كما لا ثاني له في الموجود.

وما من موجود إلّا وهو زوج تركيبي له ماهية ووجود، بخلافه تعالىٰ؛ إذ لا ماهية له، بل ماهيته إنيّته وتأكّد وجوده ووجوبه.

برهان أحديته وواحديته تعالىٰ

وأمّا بيان أحديته تعالىٰ وكونه وجوداً صرفاً: لأنّه إن كان ذاته مركّبة من الأجزاء مطلقاً فلا يخلو: إما أن تكون الأجزاء موجودة بوجود واحد، أو بوجودات متعدّدة.

Books.Rafed.net

الأول: تكون أجزاء عقلية من الجنس والفصل والماهية والوجود.

والثاني: قسمان؛ فإنّ الأجزاء مع كونها موجودة بوجودات متعددة، إمّا أن تكون متّحدة في الوضع فهي الأجزاء الخارجية من المادّة والصورة، وإمّا غير متّحدة في الوضع وهي الأجزاء المقدارية.

فهو تعالىٰ بريء عن جميع هذه؛ لأنّه ليس جسماً حتّىٰ تكون له المادّة والصورة، وكذا الأجزاء المقدارية التي من لواحق الجسم، وليس نوعاً حتىٰ تكون له الجنس والفصل، وكذا لا ماهية له حتىٰ تكون له الأجزاء التحليلية العقلية، بل هو وجود صرف، والوجود بسيط محض.

في الاستدلال علىٰ توحيده تعالىٰ:

وأمّا بيان واحديته تعالىٰ ونفي الشريك عنه، فكما قيل في المشهور: إنّه لو كان الواجب لذاته متعدّداً لابدّ من امتياز كلّ منهما عن الآخر، فإمّا أن يكون امتياز كلّ منهما عن الآخر بذاته، فيكون مفهوم وجوب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضي، وكلّ عرضي معلّل، وقد قرّر بطلانه.

وإمّا أن يكون الامتياز ببعض الذات فيلزم التركيب، وكلّ مركّب محتاج إلىٰ الأجزاء، وكلّ محتاج ممكن، هذا خلف.

وإمّا أن يكون الامتياز بالأمر الزائد علىٰ ذاتيهما، فذلك الزائد إمّا أن يكون معلولاً لذاتيهما، وهو مستحيل؛ لأنَّ الذاتين إن كانتا واحدة كان التعيين أيضاً واحداً، فلا تعدّد، هذا خلف. وإن كانتا متعددتين كان وجوب الوجود عارضاً لهما، وقد ظهر بطلانه.

وإمّا أن يكون معلولاً لغيرهما، لزم الافتقار في التعيّن إلىٰ الغير، وكلّ مفتقر إلىٰ غيره في تعيّنه مفتقر إليه في وجوده؛ إذ التعيّن إمّا عين الوجود أو مساوق له، فيكون ممكناً، هذا خلف.

Books.Rafed.net

فقد ثبت توحيد واجب الوجود بالذات جلَّ برهانه.

وهاهنا شبهة عويصة منسوبة إلىٰ ابـن كـمونة، وقـد أجـابه صـدر المـتألّهين الشيرازي، في الأسفار[١]، من شاء فليرجع إليه.

وقد ذكر الحكماء حججاً وبراهين كثيرة علىٰ توحيده تعالىٰ، والحال أنّه غنيّ عن الحجج والبراهين، بل ذاته بذاته برهان ودليل علىٰ ذاته، كما في الدعاء: (يا من دلّ علىٰ ذاته بذاته)[٢].

وفيه أيضاً: (عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً، متىٰ غبت حتىٰ تحتاج إلىٰ دليل يدلّ عليك، ومتىٰ بعدت حتىٰ تكون الآثار هي التي توصل إليك)[٣].

(اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأُولي الأمر منكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٤].

علم چون بر فرازد شاه فرخـار　　چراغ انجا نمايد چون شب بار

زهي نادان كه او خورشيد تابان　　بـنور شـمع جـويد در بـيابان

فهذا القليل الذي ذكرت في توحيده تعالىٰ من أقوال الحكماء كافٍ فـي هـذا المختصر لمن له قلب سليم أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

فقوله: (بعد توحيدك) أي بعد توحيدي إيّاك، أُضيف المصدر إلىٰ المفعول. يريد أنّك تعذّب بنارك الموحّدين والعارفين بحقّك؟! لا والله، أنت أجلّ وأرفعُ مـن أن تعذّب موحّديك، وتولّه مفرديك ومحبيك.

---

(١) «الحكمة المتعالية» المشهور بالأسفار الأربعة، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٩١، ص ٢٤٣.　　(٣) «الإقبال» لابن طاووس، ص ٦٦٠.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٨٥ ح ١، وفيه: «والعدل والإحسان» بدل: «والنهي عن المنكر».

Books.Rafed.net

(وَبَعْدَ مَا انْطَوىٰ عَلَيهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ)

الانطواء: الاندماج والاجتماع، وكلمة (مِن) بيان لـ(ما).

القلب والروح والنفس الناطقة واحدة عند الحكماء، ولكن فرّق بينها العرفاء والأطباء.

فقال الأطباء: الروح هو البخار اللطيف المتولد في القلب الصنوبري، القابل لقوّة الحياة والحسّ والحركة.

كما يسمّىٰ هذا البخار عند العرفاء بالنفس، وما يتوسّط بين المدرك للكلّيات والمدرك للجزئيات بالقلب، فهو عند العرفاء[1] جوهر نوراني مجرّد يتوسط بين الروح ـ بالمعنىٰ الأول ـ والنفس، ولكنّ باطنه الروح، ومركبه وظاهره المتوسط بينه وبين الجسد: النفس.

وفي آية النور في قوله تعالىٰ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[2]، وقد مثّل القلب بالزجاجة وبالكوكب الدريّ، والروح بالمصباح، والنفس بالشجرة الزيتونة، فإنّها لا من شرق عالم الأرواح ولا من غرب عالم الأجساد، بل هي متوسطة بينهما ومشتملة عليهما.

فإنّ النفس ـ كما مرّ ـ جسمانية الحدوث، روحانية البقاء، ظاهرها هو البدن وقواه ومشاعره، وباطنها هو العقل الفعّال وقدرة الله تعالىٰ.

ويمكن أن يراد بالانطواء: الانفطار.

أي بعدما انفطر عليه قلبي، إذ القلوب مفطورة ومجبولة علىٰ المعرفة ولو إجمالاً، كما قال عليه السلام:

---

(١) انظر «شرح الأسماء» ص ٢١٢.

(٢) «النور» الآية: ٣٥.

Books.Rafed.net

(رأيت العــقل عــقلين　　فـمطبوع ومسـموع)[١]

وقال ﷺ: (ما من مولود إلّا يـولد عـلىٰ الفـطرة، فأبـواه يـنصّرانـه ويـهوّدانـه ويمجّسانه)[٢].

در هيچ سرى نيست　　كه سرّى از خدا نيست

والمعرفة أعمّ من العلم، إذ هي تطلق علىٰ إدراك الجزئيات أيضاً، بخلاف العلم، فإنّه لا يقال إذا أدرك أحد جزئياً: هو عالم به، بل يقال: عارف به.

(وَلَهجِ بِهِ لِسانِي مِنْ ذَكْرِكَ)

كلمة (من) بيانيّة، والجملة معطوفة علىٰ ما قبلها، أي وبعد ما لهج به لساني من ذكرك.

واللهجة: التنطّق، ومنه في وصف عليعليه السلام قالﷺ: (عليّ أصدق الناس لهجةً). وقالﷺ: (ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر)[٣].

(وَاعْتَقَدَهُ ضَميري مِنْ حُبِّكَ)

معطوفة علىٰ ما قبلها.

الضمير: الفؤاد والقلب، سمّي به لأنّه مضمر ومستتر. وكلمة (من) أيضاً بيانية. والحب والعشق بمعنًى واحد.

نيست فرقى در مـيان حب وعشـق　　شـام در مـعنى نـباشد جـز دمشـق

إنّ المــحبة للــرحــمن أسكـرني　　فــهل رأيت مـحبّاً غـير سكـران[٤]

---

(١) «بحار الأنوار» ج ١، ص ٢١٨، ح ٤٤؛ ج ٧٥، ص ٨٠، ح ٦٤، وفيه: «العلم علمان...».
(٢) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٢٨١، ح ٢٢، باختلاف يسير.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٢٢، ص ٤٠٥، ٤٠٦.　　(٤) انظر «شرح الأسماء» ص ٥٣٤.

Books.Rafed.net

كما أنَّ الخمر تذهب بالعقل وتأخذ الإنسان من نفسه، كذلك العشق والمحبة ـ رزقنا الله تعالىٰ ـ تأخذ الإنسان من نفسه، وتسكره سكراً ليس له صحو وإفاقة إلىٰ صباح القيامة.

وقد وصفها الله تعالىٰ في كتابة الكريم، قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[1]. وقال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾[3] أي مزاج الرحيق المختوم، وهو ما يمزج به (من تسنيم): وهو عين في الجنة، ينصبّ علىٰ أهلها من علوّ، وهو أشرف شراب في الجنة. قال تعالىٰ: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[4].

وفي مجمع البيان: «أي هي خالصة للمقرّبين، يشربونها صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة»[5].

اعلم أنّ مشرب العرب في شربهم مختلف، فمنهم من يشرب صرفاً، كما قال الشاعر:

يا ساق لا تشعشع الراح بما ... فهو يكفّ عاملاً عن عمل

وقال ابن الفارض:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم[6]

ومنهم من يشرب مزجاً، كما قال الشاعر:

فقلت: اقتلوها عنكم بمزاجها ... [فأطيب][7] بها مقتولة حين تقتل[8]

وقال أبو القاسم الحريري في مقاماته توريةً:

---

(١) «الإنسان» الآية: ٥ – ٦.
(٢) «الإنسان» الآية: ١٧ – ١٨.
(٣) «المطففين» الآية: ٢٧.
(٤) «المطففين» الآية: ٢٨.
(٥) «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٥٨١.
(٦) «ديوان ابن الفارض» ص ١٨٤.
(٧) من المصدر، وفي المخطوط: «فحب».
(٨) «ديوان الأخطل» ص ١٥٥.

Books.Rafed.net

يا قوم كـم مـن عـاتق عـانس ممدوحة الأوصاف في الأنديهْ
قـــــتلتها لا أتّـــــقي وارثاً يــطلب مـــني قـوداً أو دِيَـهْ

وقال حسّان بن ثابت:

إنّ التـــي نـاولتني فـرددتها قُتِلَتْ قُتِلتْ فهاتها لم تقتل[1]

والله تعالىٰ حرّم أصنافها علىٰ المؤمنين في الدنيا، ووعدهم في الأُخرىٰ الصِّرفَ للمقرّبين، والممزوجَ لأصحاب اليمين.

وقول الحريري: «عانس»، يقال: عنست الجارية، إذا بلغت وبقيت عند أهـلها، حتىٰ خرجت عن إدارة الأبكار ولا يتزوجها أحد.

والعاتق: من أسماء الخمر، وهي التي مضت عليها مدّة طويلة، سنة أو سنتان أو أكثر منها.

(وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرافِي وَدُعائِي خاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ)

الاعتراف والتصديق بمعنًى واحد، والربوبية مـن الربـوب مـن الرب، ومـعناها بالفارسية: خداوندي. ومنه الحديث: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية)[2].

(هَيْهاتَ، أنتَ أكْرَمُ مِنْ أنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ)

وهذه الجملة ناظرة إلىٰ ما قبلها، إلىٰ قوله: (أتراك معذّبي).

(هيهات) اسم فعل معناه: بَعُدَ.

التضييع: الإفساد.

(ربيّته): من التربية.

---

(١) «ديوان حسّان بن ثابت» ص ١٨٥، وفيه: «فاولتني»، بدل: «ناولتني».

(٢) «التفسير الصافي» ج ٤، ص ٣٦٥.

Books.Rafed.net

(أوْ تُبَعِّدَ مَنْ أدْنَيتَهُ)

أدنوه منّي: أي قرّبوه، من الإدناء، قد مرّ الكلام فيه.

(أوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ)

التشريد: التطريد والتفريق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾[1].

(آويته): أي مكّنته عندك وضممته إلىٰ عبادك، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾[2] أي انضموا واجتمعوا إليه.

(أوْ تُسَلِّمَ إلىٰ البَلاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ)

البلاء هنا بمعنىٰ الغمّ والحزن.

(كَفَيْتهُ): أي أغنيته عن غيرك، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[3] أي بمغنٍ.

(رَحِمْتَهُ): رزقته وأحسنت إليه.

(وَلَيْتَ شِعْرِي ياسَيّدِي وإلٰهي ومَولاي، أتُسَلِّطُ النارَ علىٰ وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً)

(ليت شعري): كلام يقال في مقام الحيرة في أمر، والبهت والاستفسار عن باطن ذاته، وأمثال هذا.

الوجوه ـ جمع «الوجه» ـ : وهو ما اشتمل علىٰ الناصية والذقن وما بينهما من الحاجبين والعينين والخدّين والأنف والفم.

(خرّت): أي سقطت.

---

(١) «الأنفال» الآية: ٥٧.

(٢) «الكهف» الآية: ١٦.

(٣) «الزمر» الآية: ٣٦.

Books.Rafed.net

(وَعَلىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحِيدِكَ صادِقةً)

تقييد التوحيد بالصدق لإخراج توحيد أهل النفاق، الذي هو الإقـرار بـاللسان فقط؛ إذ من أقسام الكفر كفر النفاق، وهو خلاف كفر التهوّد، الذي هو الإنكار في الظاهر، والإقرار في الباطن.

مراتب التوحيد:

ثم اعلم أنّ مراتب التوحيد أربعة:

توحيد الذات: وهو أن يرىٰ الموحّد جميع الموجودات ممحوقة ومقهورة في وجود الله تعالىٰ، بحيث لا يشذّ عن حيطة وجوده وجود.

وتوحيد الصفات: وهو أن يرىٰ الموحّد جـميع القُـدَر والصـفات الكـمالية مستهلكة في صفاته، كما أشعر بالأول: (لا هو إلّا هو) وبالثاني (لا إله إلّا الله).

وتوحيد الأفعال: وهو أن يرىٰ الموحد جميع الأفعال فانية في فعله تعالىٰ، كما أشار إليه قولهﷺ: (لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم).

توحيد الآثار: وهو أن يرىٰ الموحد كلّ الآثار من الله تعالىٰ، كما قال الحكماء: لا مؤثر في الوجود إلّا الله.

(وَبِشُكْرِكَ مَادِحةً)

معطوف على التوحيد .

(وَعَلَىٰ قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِإِلٰهِيَّتِكَ مُحَقِّقةً)

أي اعترافاً واضحاً.

Books.Rafed.net

(وَعَلىٰ ضَمائَر حَوَتْ مِنَ العِلْمِ بِكَ حَتّىٰ صارَتْ خاشِعةً)

(ضمائر): جمع «ضمير».

(حوت): أي جمعت من الحجج والبراهين علىٰ توحيدك وتوحيد صفاتك وتوحيد أفعالك وآثارك، حتّىٰ حصل لها الخشوع والخشية منك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

جميع هذه الجمل والفقرات وكذا الفقرتان الآتيتان معطوفة علىٰ «الوجوه».

(وَعَلىٰ جَوارِحَ سَعَتْ إلىٰ أوْطانِ تَعَبُّدِكَ طَائِعةً)

الجوارح: جمع «جارحة»، وهي الأعضاء من الرأس والظهر والبطن واليدين والرجلين وغيرها.

(سعت): أي جهدت وأسرعت.

الأوطان ـ جمع «الوطن» ـ: وهو محلّ التوقّف والإقامة مطلقاً، سواء كان مولد الشخص فيه أم لا، والمراد بها هنا: المساجد والمشاهد الشريفة والمعابد، وكلّ مكان أُقيم فيه طاعته تعالىٰ وعبادته.

التعبّد: هو فعل العبادة وقضاؤها.

أنواع العبادة وحقيقتها

اعلم أنّه كما قال المحقّق الطوسي والحكيم القدّوسي، في الأخلاق الناصرية، ناقلاً عن أقوال الحكماء: «عبادة الله تعالىٰ علىٰ ثلاثة أنواع.

الأول: ما يجب علىٰ الأبدان، كالصلاة والقيام، والسعي في المواقف الشريفة لمناجاته جلّ ذكره.

الثاني: ما يجب علىٰ النفوس، كالاعتقادات الصحيحة، من العلم بتوحيد الله وما

---

(١) «فاطر» الآية: ٢٨.

Books.Rafed.net

يستحقه من الثناء والتمجيد، والفكر فيما أفاضه الله سبحانه علىٰ العالم من وجوده وحكمته، ثم الاتساع في هذه المعارف.

الثالث: ما يجب عند مشاركات النـاس فـي المـدن، وهـي فـي المـعاملات والمزارعات والمناكح، وتأدية الأمانات، ونصح البعض للبعض بضروب المقارنات، وجهاد الأعداء والذبّ عن الحريم وحماية الحوزة» انتهىٰ.

وحقّ العبادة وحقيقها ـ كما في الحديث ـ ثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يرىٰ العبد لنفسه فيما أنعمه الله تعالىٰ ملكاً؛ إذ العباد لاينبغي أن يكون لهم الملك، بل يرون المال مال الله، يصرفونه حيث أمرهم الله تعالىٰ.

الثاني: أن لا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً.

الثالث: أن يكون جملة اشتغاله فيما أمره الله تعالىٰ ونهاه.

فإذا لم يرَ العبد لنفسه فيما أعطاه الله ملكاً هان عليه الإنفاق، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه إلىٰ مدبّره هانت عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد فيما أمره الله ونهاه لا يتفرّغ منهما إلىٰ المراء والمباهاة مع الناس.

فإذا اتّصف العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا وما فيها، ولا يطلب الدنيا تفاخراً وتكاثراً، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلوّاً، ولا يدع أيـامه بـاطلة. فـهذا أول درجة المتّقين.

ويمكن أن يراد بالتعبّد: دوام فعل العبادة، كما سـمّي مـن يـداوم فـي العـبادة بالمتعبّد.

(وَأشارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنةً)

أي أشارت الجوارح، فينبغي أن نعمم الجوارح حتىٰ تشتمل جميع الأعضاء، من اللسان والجنان والأصابع والعيون والجفون، وغيرها ممّا ذكر أو لم يذكر؛ إذ حيث يذكر الذاكرُ المذكورَ الحقيقي جميع المشاعر والقـوىٰ والآلات والأدوات مـلتفتاً

Books.Rafed.net

ومشيراً إليه تعالىٰ، كما قيل:

جمله اعضايم سراسر سوى دوست وقت يا الله إشارت ميكنند

(ما هٰكذا الظَنُّ بِكَ، وَلا أُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يا كَريمُ)

كلمة (ما) نافية، و(هكذا) كناية عن مقدار الشيء وعدّته.

نقل كلام ابن هشام في بيان لفظ كذا

قال ابن هشام: «ويرد «كذا» علىٰ ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين علىٰ أصلهما، وهما كاف التشبيه و«ذا» الإشارة، كما تقول: رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً كذا.

الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركّبة من كلمتين، يكنىٰ بهما عن غير عدد، كما جاء في الحديث: (يقال للعبد يوم القيامة: أتذكر يوم كذا وكذا فعلت كذا وكذا).

الثالث: أن تكون كلمة واحدة مكنّياً بها عن العدد، فتوافق «كأيّن» في أربعة أمور: التركيب، والبناء، والإبهام، والافتقار إلىٰ التمييز.

وتخالفها في ثلاثة:

أحدها: أنّها ليس لها صدر الكلام.

الثاني: أنّ مميزها واجب النصب، فلا يجوز جرّه بـ(من) اتفاقاً، ولا بالإضافة، خلافاً للكوفيين.

الثالث: لا تستعمل غالباً إلّا معطوفاً عليها»[1] انتهىٰ.

وهاهنا من الوجه الثاني، ولكنّها مركّبة من كلمات ثلاث، هي: «هاء» التنبيه، و«كاف» التشبيه، و«ذا» الإشارة، مجرّدة عن معانيها، وصيرورتها كلمة واحدة كنّىٰ بها عن غير العدد.

---

(١) حكاه عنه العلّامة الطريحي في: «مجمع البحرين» ج ١، ص ٣٥٧.

Books.Rafed.net

معنىٰ الظن

الظن يأتي لمعانٍ أربعة كما في المجمع[١]

منها معنيان متضادان:

أحدهما: الشكّ.

والآخر: اليقين الذي لا شكّ فيه.

فمن موارد اليقين قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ﴾[٢] ومعناه: علمنا وأيقنا.

ومنها معنيان ليسا بمتضادين:

أحدهما: الكذب.

والآخر: التهمة.

والذي أريد هنا هو المعنىٰ المصطلح، وهو الطرف الراجح من طرفي الاعتقاد، أي الذي بمعنىٰ الحسبان، كما هو المراد في الحديث القدسي: (أنا عند حسن ظنّ عبدي المؤمن)[٣].

وفي الأخبار: (أحسن ظنك ببارئك)[٤].

وقيل: فليحسن العبد ظنّه بربّه.

وقوله: (ولا أُخبرنا) أي ولا هكذا أُخبرنا، مجهول المتكلّم من الماضي من الإخبار، يريد أنَّ الذي أخبرنا بفضلك عنك عن نبيك بعكس ذلك، وهو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٥].

---

(١) «مجمع البحرين» ج ٦، ص ٢٧٩.
(٢) «الجن» الآية: ١٢.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٦٧، ص ٣٦٦، ٣٨٥، ٣٩٠.
(٤) «بحار الأنوار» ج ١١، ص ٢٦٣، وفيه: «بربك» بدل: «ببارئك».
(٥) «الزمر» الآية: ٥٣.

Books.Rafed.net

وإنّه غافر الخطيئات، ماحي السيئات، معطي المسألات، رافع الدرجات، قاضي الحاجات، واهب العطيات، غفور رحيم، ذو الفضل العميم، ذو العرش العظيم، حكيم قديم حليم كريم، عطوف رؤوف، وأمثال ذلك.

(يارَبِّ وأنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي)

(ضعفي): ووهني ووهيي.

(عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلاءِ الدُنيا)

كحرارة أهوية الصيف، وبرودة الشتاء، والجوع والظمأ، وأمثال ذلك.

(وَعُقوباتِها)

ونكالها، كالآلام والأوجاع، وانكسار العظم، وقطع اليد والرجل وسائر الأعضاء، وكالوقوع في المخاوف والمهالك، وسياسات السلاطين والحكّام، والتجلّد بالحدود، وأمثال ذلك.

(وَما يَجْرِي فِيها مِنَ المَكارِهِ عَلَىٰ أهْلِها)

والضمائر الثلاثة راجعة إلىٰ (الدنيا).

(عَلَىٰ أنَّ ذلِكَ)

أي بلاء الدنيا وعقوباتها والمكاره التي تجري علىٰ أهلها.

(بَلاءً وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْثُهُ)

ساعة أو يوم أو أُسبوع أو شهر أو سنة، كلّ ذلك:

Books.Rafed.net

(يَسِيرٌ بَقاؤهُ)

سريع الزوال.

البقاء: خلاف الفناء، كما أنَّ القليل واليسير خلاف الجزيل والكثير.

(قَصِيرٌ مُدَّتُهُ)

وزمانه القصير، ضدّ الطويل.

(فَكَيْفَ احْتِمالي لِبَلاءِ الآخِرَةِ وَجَلِيلِ وُقُوعِ المكارِهِ فِيها)

يريد أنَّ الإنسان الضعيف النحيف الذي لا يطيق احتمال العذاب والعقوبات السريعة الزوال في الدنيا، كيف يتحمل العقاب والعذاب الدائم المخلّد في الآخرة، كما قلت في كتابك الكريم: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾[1].

(وَهُوَ بَلاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدومُ مَقامُهُ، وَلا يُخَفَّفُ عَنْ أهْلِهِ)

أي أهل البلاء، وهو لا يخفّف عن أهله، لأنه كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً﴾[2].

بيان حشر أصناف الخلق

واعلم أنّ دار الآخرة هي دار بروز صور الملكات والأخلاق، وأهل المحشر يحشرون علىٰ أصناف شتىٰ وأقسام مختلفة:

فبعضهم يحشرون علىٰ صور البهائم، أُولئك الذين كانوا في الدنيا واقفين عن تحصيل المعارف الحقّة والكمالات الدينية بالرياضات الشرعية، وبذلوا جهدهم

---

(١) «السجدة» الآية: ٢١.

(٢) «النساء» الآية: ٥٦.

Books.Rafed.net

وصرفوا همّهم في سوق الشهوات ونيل اللذات العاجلة كيفما اتفقّ، وكم من آيـة مرّت عليهم في الدنيا وهم عنها معرضون!

وبعضهم يحشرون علىٰ صور الذؤبان والحضاجر[1]، أُولئك الذين كـانوا فـي الدنيا حسدين علىٰ ما أنعم الله به عباده من المال والكمال والجمال والعزّة والجلال، ولازالوا حاسدين وتمكنوا فيه، فماتوا علىٰ مَلَكته، وكم من نذير جاءهم فيها وهم عنه غافلون!

وبعضهم يحشرون علىٰ صورة الدببة والخنازير.

أُؤلئك الذين كانوا في الدنيا حريصين علىٰ ادخّار الزخارف، ومولعين في كثرة الأكل والشرب، وما زالوا واقفين علىٰ تلك الصفة الخبيثة، حتّىٰ تمكنوا فيه وصارت مَلَكتهم، وكم من ناصح نصحهم تركه وهم عنهم نافرون!

وبعضهم يحشرون علىٰ صور القردة، أُؤلئك الذين كانت طباعهم مجبولة علىٰ تقليد العباد، أفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وقـصروا هـممهم عـلىٰ إراءة صفات أهل الله بأقبح وجه وأسوأ حال، ومازالوا عاكفين عليها وماتوا علىٰ مَلَكتها، وكم من شفيع زاجر منعهم عن تلك الصفات الخسيسة وهم عنهم سائمون!

وبعضهم يحشرون علىٰ صور الأُسود والفهود والكلاب والنمور، أُؤلئك الذين شيمتهم في الدنيا سَوق الغضب علىٰ الخلائق، وديدنهم القهر ومزق الأعراض وهتك العصم بلا حجة شرعية، ومازالوا تورّطوا فيهَا حتّىٰ صارت مَلَكتهم، وكم من شفيق مكرم نصحهم تركها فما سمعوا، وماتوا وهم كافرون!

وهكذا بعضهم علىٰ صور النمل، وبعضهم علىٰ صور العقارب والزنابير والحيّات، وقِسْ عليها ما لم يُذكر.

هذا علىٰ طريقة الإمامية الاثني عشرية الحقّة، ومذهب حكماء الإسـلام، بـل

---

(١) كذا في المخطوط.

Books.Rafed.net

مذهب جميع الحكماء، من إدريس عليه السلام إلىٰ زماننا هذا، وإليها ذهب جميع العرفاء، وأهل الكشف والشهود، والآيات الفرقانية، والأحاديث الصحيحة الصريحة، والآثار من الحكماء النظّار والعرفاء ـ أولي الأيدي والأبصار ـ في هذا الباب أكثر من أن تعدّ وتحصىٰ.

قال **العارف الرومي** في مواضع من المثنوي، منها:

ز آنکه حشر حاسدان روز کنند　　بیگمان بر صورت گرگان کنند
حشر پر حرص خس مردار خوار　　صورت خوکی بود روز شمار
زانیانرا کند اندام نهان　　خمر خوارانرا بود کند دهان
سیرتی کاندر نهادت غالب است　　هم بران تصویر حشرت واجب است

ومنها:

آید ریده پوستین یوسفان　　کرك بر خیزی از انخواب کران
کشته گرگان هر یکی خوهای تو　　میدارنند از غضب اعضای تو
آنسخهای چومار و گردمت　　مار و کژدم گردد وگیرد دمت
ایبرادر تو همین اندیشهٔ　　ما بقی تو استخوان وریشهٔ
گر بود اندیشه ات کل گلشنی　　ور بود خاری توهیمه گلخنی
کان قندم نیستان شکرم　　هنم زمن میروید و من میخورم

إلىٰ غير ذلك.

وقيل: إنّ يوم الحشر إذا حُشر الناس علىٰ تلك الصور صاحوا وفزعوا فزعاً عظيماً، ونادوا نداء، ويقولون: يا ويلتىٰ ما هذه، ما كنّا بهائم وذؤباناً وأُسوداً وفهوداً وعمياناً، كما أخبر الله تعالىٰ عن حال الجاهلين في الدنيا، وقولهم هنالك: ﴿رَبِّ لِمَ

Books.Rafed.net

حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً﴾[١].

چشم بينا خشـه ام مـن أى كـرام   كـور مـحشورم كـند يـوم القـيام

فيقال لهم: إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم، ومَلَكاتكم صوّرت لكم، فيقولون: ياليتنا كنّا تراباً.

كاش از خاكى سفر نگزيد مى

ثمّ يعرضون جميعهم علىٰ النار، ويصلون فيها خالدين إلىٰ ما شاء الله.

(لأنَّهُ لا يَكُونُ إلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقامِكَ وَسَخَطِكَ)

الضمير يرجع إلىٰ البلاء.

الغضب في الحيوان: غليان دم القلب الصنوبري إذا أدرك ما ينافر طبيعته، وأراد التفصّي عنه أو الانتقام علىٰ باعثه.

وفي الله تعالىٰ: عقابه وإرادة الانتقام من العصاة، فإنّه يفعل بالكفّار ما يفعل الملك الجبّار إذا غضب علىٰ من تحت يده.

وفي رواية عمرو بن عبيد مع أبي جعفرعليه‌السلام، وقد قال له: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[٢] ما ذلك الغضب؟ فقالعليه‌السلام: (هو العقاب يا عمرو، وإنّه مَن زعم أنّ الله قد زال من شيء إلىٰ شيء فقد وصفه صفة المخلوقين)[٣].

أقول: قد مرّ في المكر أنّ الغضب والحياء والخدعة والتردّد وأمثال ذلك، إذا أُسند إليه تعالىٰ يراد بها الغايات لا المبادئ، فغاية الغضب مثلاً هو الانتقام والتخلّص، فإذا أراد الله تعالىٰ عقوبة العاصي أو انتقام الكفّار علىٰ كفرهم، فصدق عليه تعالىٰ أنّه غضب عليهم. وقِسْ عليه البواقي.

---

(١) «طه» الآية: ١٢٥.   (٢) «طه» الآية: ٨١.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، ح ٥.

Books.Rafed.net

الانتقام: التعذيب علىٰ المخالفة.

السخط: الغضب، وهو في الإسناد إليه تعالىٰ كالغضب، يراد به ما يوجب السخط من العقوبة.

(وَهذا ما لا تَقُومُ لَهُ السماواتُ والأرضُ)

يريد أنّ غضبك وانتقامك وسخطك شيء لا تقوم له السماوات والأرض.

(ياسَيِّدِي، فَكَيْفَ بِيْ وَأنا عَبْدُكَ الضَعِيفُ الذَليلُ الحَقِيرُ المِسْكِينُ المُسْتَكِينُ)

(الضعيف): من ضَعُف عن الشيء، أي عجز من احتماله، فهو ضعيف.

(الذليل) من الذُلّ ـ بالضم ـ : بمعنىٰ الهوان والاستخفاف، خلاف العزّ.

(الحقير): الصغير الذليل.

(المسكين): الفقير الذي لا يقدر علىٰ قوت يومه وليلته.

(المستكين): الخاضع.

يريد: أنّ ما لا تقوم له السماوات والأرض من غضبك وانتقامك كيف يمكن لي تحمّله ومقاومته، والحال أنّني (عبدك الضعيف)...؟ إلىٰ آخره؟

(يا إلٰهي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلاي، لأيِّ الأُمورِ إليكَ أشْكُو، ولِما مِنْها أضِجُّ وَأبْكِي)

في القاموس: «شكا أمره إلىٰ الله شكوىٰ ـ ويُنوّن وشكاة وشكاوة وشكية وشِكاية ـ بالكسر ـ إذا أخبر عنه بالسوء»[1].

فالعارف الخبير ينبغي أن لا يشكو إلىٰ غيره تعالىٰ، مقتفياً بالأنبياء والأولياء، كما

---

(١) «القاموس المحيط» ج ٤، ص ٥٠٥.

Books.Rafed.net

قال تعالىٰ حكاية عن يعقوب النبيعليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾[١].

والشكوىٰ المذمومة هي التي جاءت بها الرواية، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنما الشكوىٰ أن تقول: لقد ابتليت بما لم يبتلِ به أحد، أو تقول: لقد أصابني ما لم يصب أحداً، وليس الشكوىٰ أن تقول: سهرت البارحة وحُممت اليوم)[٢].

(و) عاطفة، وكلمة (ما) في قوله: (لما) للاستفهام، وقيامه سقوط الألف إذا دخلت عليه الحاء، ومثل «لِمَ و«بِمَ» و«إلىٰ مَ» وغيرها، ولكن لمّا كان بعدها حرف من جنسها، وهي الميم في (منها)، ولم يكن محل الإدغام، فلم يسقط ألفها. والضمير راجع إلىٰ (الأُمور).

الضجّة: الفزع.

سبب البكاء:

وسبب البكاء ـ كما قيل ـ هو إدراك ما لا يلائم الطبيعة، فإنه إذا أدرك أحدٌ الأمر الغير الملائم له تحرّك روحه البخاري من الظاهر إلىٰ الباطن، هرباً منه، فتتمدّد الأعصاب نحو الباطن، ويضيّق أفضية الدماغ والعصبتين والصدر، وينعصر منافذها، ويحدث شكل البكاء، ويخرج حينئذٍ بالضرورة ما في الدماغ من الرطوبات الرقيقة بالدمع والمخاط، كما يخرج الماء من الإسفنجة المغموسة فيه عند غمز اليد عليها.

وحصول تلك الرطوبات واجتماعها في الدماغ بسبب أنّ الألم الموجب للبكاء يسخّن القلب عند توجّه الدم والروح إليه، وحينئذٍ ترتفع منه ومن نواحيه أبخرة حارة إلىٰ الدماغ، تذيب الرطوبات التي فيه وترقّقها وتسيّلها، ثمّ تبرد هي بنفسها، وتغلظ حين وقوفها فيه، فتصير رطوبات، فيدفعها الدماغ بالعصر إلىٰ جهة العين، لاتصال [...][٣] بها، وكلّما كان الموجب أقوىٰ كان الدمع أحرّ.

---

(١) «يوسف» الآية: ٨٦.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٧٨، ص ٢٠٢، ح ١.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

Books.Rafed.net

(لأَلِيمِ العَذابِ وَشِدَّتِهِ، أوْ لِطُولِ البَلاءِ وَمُدَّتِهِ)

أليم: فعيل من الألم، وهو إدراك المنافر، كما أنّ اللذة إدراك الملائم.

معنىٰ الشر والألم

ومن قواعد الحكماء[١] أنَّ الشرّ عدمُ ذاتٍ أو عدمُ كمالٍ لذات، ونوقضت هـذه القاعدة بالألم، حيث إنّه شرّ مع كونه وجودياً. فقد ذكروا في التفصّي عـن نـقض القاعدة أقوالاً.

والحقّ ما حقّقه صدر المتألهين السبزواري[٢]، من أنّ الألم معدود من الخيرات، لأنّه وجودي، ولكنّه شرّ بالعرض بواسطتين:

إحداهما: تفرّق الاتصال.

والثانية: عدم الطاقة.

وقاعدة الحكماء غير منقوضة، وهي أنّ كلّ ما هو شرّ بالذات فهو من أفراد العدم البتة. ثم إنّ الناس اختلفوا في سبب الألم: هل هو تفرّق الاتصال أو سوء المزاج، أو قد يكون هذا وقد يكون ذلك؟

فأكثر الأطباء ـ تبعاً لجالينوس ـ علىٰ الأول، والإمام الرازي مع جماعة علىٰ الثاني، والشيخ الرئيس علىٰ الثالث[٣].

ثمّ إنّ استعمال «المدّة» لبلاء الآخرة، كسائر أسماء الزمان الذي اسـتعمل فـي ثوابها وعقابها، علىٰ سبيل المجاز؛ لأنّها من الأسماء المبهمة للزمان، والزمان ـ كما قرّر في محلّه ـ مقدار الحركة القطعية التي كانت للفلك الأقصىٰ[٤].

ودار الآخرة في باطن العالم الجسماني كذلك ثوابها وعقابها من سنخها، وهي دار الصور الصرفة الغير الواغلة في المادة، إذ عالم الصورة غير منحصر فـي هـذا

---

(١) انظر «القبسات» ص ٤٣٠ ـ ٤٣١.
(٢) «شرح الأسماء» ص ٦٨٣ ـ ٦٨٩.
(٣) انظر «شرح الأسماء» ص ٦٨٧.
(٤) انظر «شرح حكمة الإشراق» ص ٤٢٨.

Books.Rafed.net

العالم، بل الصورة صورتان:

صورة منطبعة وواغلة في المواد، وهي داثرة زائلة غير باقية.

وصورة صرفة مجردّة عن الموادّ قائمة بذاتها، ودائمة باقية لا تتغيّر من حال إلىٰ حال، وعذابها وثوابها أيضاً صورية صرفة لا تنقطع، فلا وقت ومدّة هناك.

فالمراد بالمدّة ما نزلت منزلتها، وهو الدوام والبقاء الدهري؛ إذ كما مرّ جارٍ مجرى الوعاء للثابتات هو الدهر.

وما ورد في القرآن الكريم، كقوله تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ﴾[1] وقوله: ﴿يَومَ القِيَامَةِ﴾[2]، وقوله: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ﴾[3] ـ وغير ذلك من أسماء الزمان التي ذكرت في القرآن ـ من ذلك القبيل.

(فَلَئِنْ صَيَّرتَنِي في العُقوباتِ مَعَ أعدائِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أهْلِ بَلائِكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أحَبّائِكَ)

بمعصيتي واستحقاقي للعقوبات.

الأحباء: جميع حبيب، وأحباؤه تعالىٰ هم الذين خلصوا وأخلصوا في المحبة، وهم الأنبياء والأوصياء، وسيّما رأسهم ورئيسهم وسيّدهم هو الخاتم الملقب بحبيب الله ﷺ، وأوصياؤه الاثنا عشر من بعده، وكذلك أشياعهم وأتباعهم وأشعتهم وأظلّتهم من العلماء الراشدين الراسخين، والعرفاء الكاملين الشامخين.

(وَأوْلِيائِكَ)

جمع «الولي»، بمعنىٰ: الحبيب والمحبّ هنا، وهو من عطف الخاص علىٰ العام إن أُريد بها الأوصياء فقط، وأُريد بالأحبّاء: جميع الأنبياء والأوصياء والملائكة

---

(١) «يونس» الآية: ٣٠.

(٢) «البقرة» الآية: ١١٣، ١٧٤، ٢١٢.

(٣) «القمر» الآية: ١.

Books.Rafed.net

المقربين، كما مرّ. وقد لا يفرّق بين الأولياء والأحبّاء، بناء علىٰ قاعدة أنّ كل نبي ولي ولا عكس، وحينئذٍ كان من قبيل عطف العام علىٰ الخاص، والفرق هو الاختلاف في العبارة وملاحظة التفنّن فيها. وسيأتي لك تعداد بعض معاني «الولي» عند شرح قوله: (يا ولي المؤمنين).

(فَهَبْنِي يا إلٰهِي وَسيِّدي وَمَوْلايَ وَرَبِّي صَبَرْتُ عَلَىٰ عَذابِكَ)

الفاء للتفريع، «وهب»: من أفعال القلب، يلازم الأمر أبداً، وهو بمعنىٰ: ظنّ. (هبني) أي ظنّني، ينصب مفعولين، كقول الشاعر:

فقلت أجرني أبا خالد وإلّا فهبني امرأً هالكا[1]

مفعوله الأول ضمير المتكلّم، والثاني «امرأً»، فقوله: «هالكاً»، وكذا: «فانياً»، صفتان لقوله: «امرأً».

وهاهنا مفعوله الأوّل ضمير المتكلّم، وجملة (صبرت علىٰ عذابك) مفعوله الثاني.

(فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَىٰ فِراقِكَ)

وحرمان لقائك الذي هو منتهىٰ آمال المحبّين، ونصب عيون العارفين، وغاية منىٰ المجاهدين، ومفرّج قلوب العاشقين، الذي وعدت به عبادك المتّقين، وقلت في كتابك المبين ـ وأنت أصدق الصادقين، وأعزّ القائلين ـ : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[2].

فراق بر دل نادان چوپ كاهي نيست بيا وبر همدان بين كه كوه الونداست

كيف: اسم للاستفهام. والاصطبار: توطين النفس علىٰ تحمّل مشاق الأُمور في

---

(١) القائل هو عبدالله بن همام السلولي. انظر «لسان العرب» ج ١٥، ص ٤١٢. وفي المخطوط زيادة: «فانيا» آخر البيت، وما أثبتناه وفق المصدر.

(٢) «الكهف» الآية: ١١٠.

Books.Rafed.net

طلب المطلوب المحبوب.

وفي الحديث: (الصبر صبران: صبر [علىٰ] ما تكره، وصبر علىٰ ما تحب)[١].

فالصبر الأول: مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها، وثباتها وعدم انفعالها، وقد يسمّىٰ: سعة الصدر، وهو داخل تحت الشجاعة.

والصبر الثاني: مقاومة النفس لقوّتها الشهوية، وهو فضيلة داخلة تحت العفّة.

ثمّ إنّ السائل أدرج فراق أحبّاء الله تعالىٰ وأوليائه في فراقه تعالىٰ، وإلّا فالأولىٰ أن يقول: فكيف أصبر علىٰ فراقك وفراق أحبائك وأوليائك، إشارة إلىٰ أنّ فراقَهم من حيث إنّهم أولياؤه فراقُه تعالىٰ؛ إذ العلة واجدة لكمال المعلول بنحو الأتمّ. ولهذا ورد: (مَن أحبهم فقد أحب الله، ومن أبغضهم فقد أبغض الله، ومن أطاعهم فقد أطاع الله)[٢].

وفي مناجاة الشيخ عبدالله الأنصاري، قال بالفارسية: «إلهي چون آتش فراق داشتي باتش دوزخ چه كار داشتي؟»[٣].

أقول: ظنّي أنه ألهمه الله تعالىٰ ـ إذ ناجاه بهذه المناجاة ـ أنّه خلقتُ نار السعير لإحراق جلود الفاسقين والكافرين في الآخرة، وجعلتُ نار فراقي لأحرق بها قلوب العاشقين والعارفين في الأُولىٰ.

أي فراقت همچو نار مؤصده ... زد بهر بندم هزار آتشكده
سينه خواهم شرحه شرحه از فراق ... تا بگويم شرح درد اشتياق

(وَهَبْني صَبَرتُ عَلَىٰ حَرِّ نَارِكَ)

أي نار جهنم. وجملة (هَبني) معطوفة علىٰ (هبني) الأُولىٰ.

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٦٨، ص ٩٥، والزيادة من المصدر.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٣٨، ص ١٣٩، ج ٣٩ ص ٢٥٠، باختلاف.

(٣) انظر «شرح الأسماء» ص ١٠٧.

Books.Rafed.net

(فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَظَرِ إلىٰ كَرامَتِكَ)

كرامته تعالىٰ للعباد: إراءته إيّاهم جماله وجلاله في فراديس الجنان، واجتماعهم مع أحبّته وأوليائه في محضر القرب ومشهد الأُنس.

(أمْ كَيْفَ أسْكُنُ فِي النارِ وَرَجائِي عَفْوُكَ)

(أم): حرف عطف، والجملة معطوفة علىٰ ما قبلها.

يريد: أنّ رجائي القديم الذي معه وفدتُ علىٰ فناء بابك وفضلك وعفوك، فكيف يسكن ويقوم في النار مَن تغيّر رجاؤه وانعكست منيته وآماله.

(فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلايَ أُقْسِمُ صَادِقاً)

حرف الباء للقسم، وجملة: (أُقسم صادقاً) تؤكده، أي قسماً صادقاً خالصاً.

(لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً)

أي لا تأخذ عني قوّة التنطّق والتكلّم، ولا تُذهب بجرأتي هيبتُك وسطوتُك، وبقي لي مجال البكاء والفزع والصياح.

(لأَضِجَّنَّ إلَيكَ بَيْنَ أهْلِها)

أي أهل النار والعذاب.

(ضَجِيجَ الآمِلِينَ)

أي أفزعنّ وأصيحنّ صيحة المشتاقين.

الأمل: المنية والاشتياق، والآمل وصف منه بمعنىٰ: المشتاق والراجي.

Books.Rafed.net

(وَلَأَصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُراخَ المُسْتَصْرِخِينَ)

الصـراخ: الصياح بالاستغاثة، والصريخ: المغيث والمستغيث، من الأضداد. ومنه في الدعاء: (يا صريخ المستصرخين)[1] أي مغيثهم.

(وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكاءَ الفاقِدِينَ)

الفاقد: مَن فقد ابنه أو ابنته بالموت أو الأسر أو الغرق والخسف والهلك، أو فقد شيئاً آخر مطلوباً له. والمصدر للتنويع، أي نوع البكاء الفاقدين.

(وَلَأُنادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنتَ يَا وَلِيَّ المُؤْمِنِينَ)

معنى الولي والإيمان ومراتبه

للولي معانٍ كثيرة، منها: الناصر، والمعين، والمدبّر، والمتولي لأُمور العالم المتصرّف فيه، وهو من أسمائه تعالىٰ. والمناسب هاهنا هو الأول والثاني.

والإيمان في اللغة: التصديق والاعتقاد، وفي العرف أيضاً: عبارة عن التصديق بتوحيد الله تعالىٰ ونبوة أنبيائه، والاعتقاد بما جاء به النبيّون، مع موالاة أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم.

اعلم أنّه ـ كما مرّ ـ للإيمان مراتب، أدناها الإقرار باللسان، وأعلىٰ منها التصديق بالجنان والعمل بالأركان، وأعلىٰ منها ـ وهي المرتبة القصوىٰ ـ تنوّر في القلب، ينكشف به حقيقة الأشياء كما هي عليها، فيرىٰ الجميع من الله وإلىٰ الله، واقتدار في الباطن يوصل به إلىٰ مقام «كن»، فيتخطّون في المقامات، ويشاهدون في أنفسهم الكرامات، فيصدّقون علىٰ أبلغ وجه بالنبوّات والولايات، ولا يحتاجون في إثباتها إلىٰ الدلائل والبيّنات، وهذه هي حق حقيقة الإيمان.

---

(١) «المصباح» للكفعمي، ص ٣٣٦.

Books.Rafed.net

فقوله: (أين كنت) أي أين نصرك وإعانتك يا معين المؤمنين؟

(يا غايَةَ آمالِ العَارِفِينَ)

ومنتهىٰ أشواقهم وطلباتهم.

العارف ـ كما قال صدر المتألهين[1] ﷺ ـ : من أشهده الله تعالىٰ ذاته وصفاته وأفعاله.

والعالم ـ إذا جُعل مقابلاً له ـ : من أطلعه الله علىٰ ذلك لا عن شهود، فهو في مقام علم اليقين، والعارف في مقام عين اليقين أو حق اليقين، ولهذا يقال: المعرفة إدراك الجزئي أو البسيط؛ لأنّ متعلق الشهود جزئي حقيقي وبسيط. والعلم حدود ورسوم مركّبة وتصديقات كذلك، وجميعها عنوانات كلّية. وغاية الشيء: منتهاه.

الآمال: جمع «أمل»، قد مرّ معناه.

(يا غِياثَ المُسْتَغِيثِينَ، يا حَبيبَ قُلُوبِ الصادِقِينَ)

إن كان الحبيب بمعنىٰ المُحبّ فالقلوب محبوبون له تعالىٰ، وإن كان بمعنىٰ المحبوب فهم محبّون له، كما قال تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2].

الغياث: بمعنىٰ المغيث.

(وَيا إلٰهَ العَالَمِينَ)

ومعبودهم الحقيقي.

العالمون: اسم جمع لـ«العالَم» ـ بفتح اللام ـ وليس جمعاً له، إذ هو اسم لما سوىٰ الباري تعالىٰ. والعالمون يختص استعماله في ذوي العقول وما سوىٰ البارئ تعالىٰ،

---

(١) «شرح الأسماء» ص ٥٣١.

(٢) «المائدة» الآية: ٥٤.

Books.Rafed.net

أعمّ من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء، ولو كان جمعاً له ينبغي أن يكون مدلوله زائداً علىٰ مدلول مفرده، والأمر بالعكس فيهما.

(أَفَتُراكَ سُبحانَكَ يا إلٰهي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيها صَوْتَ عَبدٍ مُسْلِمٍ سُجِنَ فِيها بِمُخالَفَتِهِ)

الضميران المؤنّثان راجعان إلىٰ النار.

(سُجن): أي حُبس في السجن، والباء للسببية، أي بسبب مخالفته أوامرك ونواهيك.

والمسلم من أتىٰ بالشهادتين: شهادة التوحيد، وشهادة الرسالة.

(وَذاقَ طَعْمَ عَذابِها بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ أطباقِها بِجُرْمِهِ وَجَرِيرَتِهِ)

أطباق النار: دركات الجحيم التي بعضها فوق بعض، كما أنّ درجات الجنان بعضها فوق بعض.

الجريرة: الخطيئة. والضمائر الثلاثة ترجع إلىٰ العبد.

(وهو يضجُّ)

ويفزع.

(إلَيكَ ضَجيجَ مُؤَمِّلٍ)

وراجٍ.

(لِرَحْمَتِكَ)

ورأفتك.

Books.Rafed.net

(وَيُنادِيكَ بِلِسانِ أهلِ تَوحِيدِكَ)

أي يناديك ويدعوك كما يدعوك الموحّدون الذين لا يرون في مملكة الوجود غيره تعالىٰ ديّاراً، بل يرون في كلّ شيء ذاته وصفاته وأفعاله وشؤونه وآثاره، ولا يدعون لحوائجهم أحداً غير الواحد الأحد الصمد، المقصود في الحاجات وقاضيها، ويقولون:

جمالك فى كُـلّ الحـقائق سـائر ... وليس له إلّا جـــلالُك ســاتر
تجلّيت للأكوان خـلف ستورها ... فتمت بما ضمت عليه الستائر[1]

جمال دوست هـر جـا جـلوه كـرده ... ز مــعشوقان عــالم بســته پـرده
الا تـــانغلطى نــاگــه نگــوئى ... كـــه از عــاشقي وزا و نگــوئى
كه همچون نـيگوئى عشـق سـتوده ... از او ســربر زده در تــو نــموده
تـــو آئـــنيه او آئـــينه آرا ... تـــوى پــوشيده و او آشكــاره
چـونيكو بـنگرى آئـينه هـم اوست ... نه شها گـنج او گـنجينه هـم اوست
من و تـو در مـيان كـارى نـداريـم ... بــجز بــيهوده پــندارى نـداريـم

(وَيَتَوسَّلُ إلَيكَ بِرُبوبِيَّتِكَ)

كما في دعاء عرفة: (بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ولو لا أنت لم أدرِ ما أنت)[2].

كما قيل:

بــوى گـل خـود بـچمن راهـنما شـد ورنـه
مرغ مسكين چه خبر داشت كه گلزار كجاست

ولكنّه ليس المراد هاهنا جعله تعالىٰ وسيلة لمعرفته، بل المراد جـعله وسـيلة

---

(١) انظر: «جامع الأسرار» ص ١٥٢، «شرح الأسماء» ص ٢١٨، «شرح دعاء الصباح» ص ١٨٢.
(٢) «الإقبال» ص ٣٣٥، من دعاء أبي حمزة الثمالي.

Books.Rafed.net

لاستخلاصه من العذاب

الوسيلة: هي ما يتقرّب بها إلىٰ الشخص، حتّىٰ يعرض عليه حاجته.

(يا مَولايَ، فَكَيفَ يَبقىٰ في العَذابِ وهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ)

ورأفتك ورحمتك.

فالمراد برجاء السائل: ما سلف من حلمه تعالىٰ أنّه في الدنيا كثيراً ما صدر عنه المعصية، وترقّب لذلك غضب الله وسخطه علىٰ نفسه، ولكن تجاوز عنه كثيراً ما؛ لحلمه ورأفته ورحمته بعباده، وما أخذه بالعقوبة، كما قال المولوي:

خونيها جرم نفس قاتله هست بر حلمش ديت بر عاقله

فاعتاد لذلك بحلمه تعالىٰ، ويرجوه عن الله في الآخرة أيضاً.

(أمْ كَيفَ تُؤْلِمُهُ النَّارُ)

وتوجعه.

(وَهُوَ يَأْمُلُ)

ويرجو.

(فَضْلَكَ وَرَحْمَتِكَ، أمْ كَيفَ يُحِرقُهُ لهيبُها وأنت تَسْمَعُ صَوتَهُ)

لهب النار: اتقادها واشتعالها.

(وَتَرىٰ مَكانَهُ)

ومقامه في النار.

المكان: مقولة من المقولات التسع العرضية، وعُرّف بـ«البعد المجرّد» في

Books.Rafed.net

اصطلاح الإشراقيين[١]، وبـ«تماس باطن الحاوي بظاهر المحوي» في اصطلاح المشائين[٢].

كأنّه يريد السائل: أنّ إبراهيمعليه السلام حين أُلقي في نار نمرود لم يستغث ولم يستصرخ، وما دعا ربّه للنجاة منها، مع أنّ جبرائيلعليه السلام نزل إليه من ربّه الجليل وقال: (هل لك حاجة؟) قال: (بلىٰ، أمّا إليك فلا)[٣]. فمع هذا ما آلمته النار وما أحرقته، بل جُعلت النار عليه برداً وسلاماً، فكيف بعبدٍ استغاثك واستصرخ إليك وأنت تسمع صوته، وترىٰ مكانه فيها، وهي تؤلمه ويحرقه لهبها، ولا تنجيه عنها؟ حاشىٰ بكرمك وفضلك.

(أمْ كَيفَ يَشْتَمِلُ عَليهِ زَفِيرُها)

اشتمل عليه: أي أحاط عليه.

الزفير: حسيس النار، وهو في الأصل: أول صوت الحمار، كما أنَّ الشهيق آخره. شبّه حسيسها المفظع بزفير الحمار الذي هو كذلك.

(وَأنتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ)

وهنه وتوانيه وعدم طاقته، وقلّة بضاعته في مبانيه.

(أمْ كُيفَ يَتَغَلْغَلُ بَينَ أطباقِها)

التغلغل: هو التحرّك مع الاضطراب، إذا قصد الخروج عن تحت شيء لا طاقة له فيه.

---

(١) انظر «شرح المقاصد» ج ٢، ص ١٩٨ ـ ١٩٩. (٢) انظر «شرح المقاصد» ج ٢، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٣) «مجمع البيان» ج ٧، ص ٧٥.

Books.Rafed.net

طبقات النار: مواقفها ودركاتها.

(وأنت تعلم صدقه)

أي أنت تعلم أنّه في تغلغله وعدم تحمله إيلام النار وإحراقها صادقٌ لا خادع وماكر.

(أمْ كَيْفَ تَزْجُرهُ زبانِيَتُها وَهُوَ يُنادِيكَ يا رَبَّه)

(تزجره): أي تمنعه عن الخروج منها.

الزبانية: الملائكة الموكّلة عليها، واحدهم «زُبني» مأخوذ من «الزبن» وهو الدفع؛ لأنّهم يدفعون أهل النار إليها.

وفي الصحاح: «الزبانية عند العرب: الشرطة، وسمّي به بعض الملائكة؛ لدفعهم أهل النار إليها»[1].

(أمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ في عِتْقِهِ مِنْها فَتَتْرُكُهُ فِيها)

العتق: التحرير والتخليص عن القيد.

تتركه: أي تَذَرُه فيها.

(هَيْهاتَ، ما هكذا الظَنُّ بِكَ، ولا المَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ)

بل الذي هو معروف من فضلك بين عبادك بعكس ذلك، كما مرّ.

(وَلا مُشْبِهٌ لِما عَامَلْتَ بِهِ المُوَحِّدينَ)

---

(١) «الصحاح» ج ٥، ص ٢١٣٠، مادة «زبن».

Books.Rafed.net

معطوفة علىٰ ما قبلها، أي ولا هكذا مشبهٌ لمعاملتك مع الموحّدين.

(مِنْ بِرِّكَ وإحسانِكَ)

كلمة: (من) بيان لـ(ما).

يريد أنّك تتعامل مع موحّديك بالبرّ والإحسان، لا بالعذاب والإساءة والنيران.

(فَباليَقِينِ أقْطَعُ)

الفاء للتفريع، والظرف متعلّق بـ(أقطع).

وجملة (أقطع) تأكيد لما قبلها، أكدّه لاقتضاء المقام.

اليقين: هو الاعتقاد الجازم الثابت، ويرادفه القطع.

ثم لمّا كان المقام أن يتوهمّ متوهّمٌ أنّ السائل في تلك الضراعة والابتهال والمسكنة وتوصيف العذاب والنكال، كأنه أساء ظنّه بربه وضعف اعتقاده بفضله وكرمه، فلدفع هذا التوهم أتىٰ بجملة مؤكدة:

(لَوْلا ما حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيبِ جاحِدِيكَ)

كلمة (من) بيان لـ (ما).

الجاحد: المنكر المصرّ في الإنكار، وحكمه تعالىٰ بتعذيب جاحديه في القرآن المجيد، حيث قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

---

(١) «السجدة» الآية: ١٢ – ١٤.

Books.Rafed.net

(وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إخلادِ مُعانِدِيكَ)

(قضيت): حكمت.

المعاند والعنود والعنيد واحد، وهو: المعارض لك بالخلاف عليك.

والمراد بهم: الذين عارضوا رسول الله ﷺ، وجادلوه بالباطل والخلاف، ولم يؤمنوا بالله ورسوله، وماتوا علىٰ كفرهم.

الخلود: دوام البقاء، وقضىٰ أيضاً في كتابه الكريم، حيث قال تعالىٰ في جواب إبليس متىٰ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

(لَجَعَلْتَ النارَ كُلَّها بَرْداً وَسَلاماً)

جواب (لولا).

البرد: خلاف الحرّ، كما أن الحرارة خلاف البرودة.

سلام: كناية عن الراحة وعدم الآفة والأذىٰ، ومنه سمّىٰ الجنة: دار السلام؛ لعدم وجدان الآفة فيها، ونضارة عيش أهلها بالتنعم والالتذاذ.

(وَمَا كانَ لأحَدٍ فِيها مَقَرّاً ولا مُقاماً)

المقرّ والمقام: كلاهما اسم مكاني القرار والقيام.

(وَلٰكِنَّكَ)

استدراك عمّا قبلها.

---

(١) «ص» الآية: ٨٢ - ٨٥.

Books.Rafed.net

(تَقَدَّسَتْ أسْماؤُكَ)

تنزّهت عن شائبة النقص والعيب.

(أقْسَمْتَ)

في كتابك الحميد، حيث قلت مخاطباً لنبيّك: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾[1] أي علىٰ ركبهم وأطراف أصابعهم، لا يستطيعون القيام علىٰ أرجلهم في حول جهنّم.

(أنْ تَمْلأها مِنَ الكافِرِينَ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ أجمَعِينَ)

أقسام الكفر:

الكفر ثلاثة أقسام: كفر الجحود، وكفر النفاق، وكفر التهوّد. وفي جميعها بمعنىٰ الستر والإنكار.

ولكن الأول عبارة عن إنكار ضروري من ضروريات الدين، أو إنكار جميعها، فمَن أنكر واحدها أو أنكر الجميع فهو كافر شرعاً بالكفر الجحودي، وليس لدمه وماله وعرضه حرمة ما دام باقياً عليه.

والثانى عبارة عن الإنكار فى القلب والإقرار باللسان، خوفاً وطمعاً، كالمنافقين الذين أخبر عنهم قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[2]

والثالث عبارة عن الإنكار في الظاهر والإقرار في الباطن، كاليهود الذين علموا وأيقنوا أنَّ موسىٰ عليه السلام رسول الله ونبيّه، ولكن أنكروه بأقوالهم، وطلبوا منه المعجزات، ومع إتيانه بها لهم أصرّوا أيضاً في الإنكار القولي، حتىٰ سألوا منه رؤيته

---

(١) «مريم» الآية: ٦٨.

(٢) «المنافقون» الآية: ١ - ٢.

Books.Rafed.net

تعالىٰ بأبصارهم الحسّية الحيوانية، كما قال المولوي:

گر بديدي حسّ حيوان شاه را پس بديدى گاو وخر الله را

فهذه الأقسام الثلاثة [...][1] وحكم بها ظاهر الشريعة، وتسمىٰ بالكفر الجلي.

وأمّا الكفر الخفي فأقسامه كثيرة، وفيه ورد أحاديث:

منها: قوله ﷺ: (إنّ دبيب الشرك في أُمّتي أخفىٰ من دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء ـ أو الملساء ـ في الليلة الظلماء)[2].

ومنها: قوله عليه السلام: (من دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس)[3].

أي لا يزال دهره منغمساً في الضلال والعمىٰ عن الحقّ، وعُدّ الاستبداد بالرأي والجهل والفسوق من أقسام الكفر الخفي.

وبالجملة، كلّ ما ستر الحق ولو لحظة عن فؤاد العباد فهو كفر عند أهل السلوك.

والجِنّة: جمع «جِنّ»، من: جَنَّهُ إذا سَتَرَهُ، ومنه الجنين في الرحم، إذ الجنة والأجنة مستورة عن الحواس. ثم إنَّ من الجن كافر ومنهم مؤمن، وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالىٰ.

(وأنْ تُخَلِّدَ فِيها المُعانِدِينَ، وَأنْتَ جَلَّ ثناؤُكَ)

أي عظم من أن يصفه الواصفون، كما قال الشاعر:

إذا أثنىٰ عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء

معناه: أنّه يكفي من تعرّض للثناء التعرّض فقط، وإلّا لا يمكن لأحد أن يثني لله تعالىٰ حقّ ثناؤه، بل ثناؤه أجلّ من إحصاء البشر، كما قال سيد الكائنات: (لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك)[4].

---

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٦٩، ص ٩٣، باختلاف يسير.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٢٩٩، ح ٢٤.

(٤) «مصباح الشريعة» ص ٥٦.

Books.Rafed.net

(قُلتَ مُبتَدِئاً)

في ابتداء الإسلام وأول الدين، متىٰ نزل الفرقان السماوي، وتفضّلتَ:

(وَتَطَوَّلْتَ في الإنعامِ مُتَكَرِّماً)

التكرّم: ازدياد الكرم علىٰ البرايا، فهو تعالىٰ متكرّم، أي مضعّف إكرامه وإنـعامه علىٰ عباده، ومن فضله وإنعامه أنّه أخبر عباده علىٰ لسان نبيّه وأعلمهم في كتابه الكريم، وقال:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

كيف يتساوىٰ الكفر والإيمان، والفسوق والعـدالة، والنـور والظـملة، والجـهل والعلم، والبصارة والعمىٰ، والهداية والغواية؟

(إلٰهي وَسَيِّدِي، وأسْأَلُكَ بالقُدْرَةِ التي قَدَّرْتَها)

الواو عاطفة.

معنى القدرة:

والمراد بالقدرة هنا: إمّا قدرته الفعلية، أي الوجود المنبسط والفيض المـقدّس، التي قدّرها بالقدرة الذاتية، وبها قدّر جميع المقدورات وأوجد جميع الموجودات، وأحيا بها جميع الأشياء، وبها خلق الموت والحياة، وبها أخرج الأشياء من العدم والليسية الذاتية إلىٰ الوجود والأيسية.

قد مرّ أنّ القدرة في الواجب الذاتِ واجبةٌ بالذاتِ وفوقَ الجوهرية، فضلاً عن العرضية، وعين ذاته بقولٍ مطلق؛ إذ لا ماهية له وراء الإنيّة البحتة، حتّىٰ يمكن أن يقال: قدرته عين شيئيته، ووجوده لا عين ماهيته، وفي فعله تعالىٰ عين فعله، وفي

Books.Rafed.net

العقول: جواهر مفارقة عن المادّة رأساً؛ لأنّها وإن لم تكن عين ماهيتها، لكنّها عين وجودها، دائمة بداوم وجودها. وفي الحيوان: كيفية نفسانية.

والمراد بالقدرة: العقل الفعّال الذي هو قدرة الله المتعال، ومخرج النفوس جميعاً من القوة إلىٰ الفعل، ومعلّم أنبياء الأولين والآخرين، وهو المسمّىٰ بـ«روح القدس» و«جبرائيل» و«روح الأمين»، في لسان الشرع المبين.

والمراد بتقديرها: إيجادها؛ لأنّه وإن كان موجوداً دائماً بديمومة الله تعالىٰ، ولكن بذاته ليس محضاً وإمكاناً صِرفاً، كما قال الحكماء: الممكن من ذاته أن يكون الليس، وله من علّته أن يكون الأيس.

أو المراد بالقدرة: مطلق الإيجاد، والخلق والإحياء، وبتقديرها: جعلها.

أو يكون المراد: إحياء الإنسان بخصوصه، وكأن المراد بقوله:

(وبالقَضِيَّةِ التي حَتَمْتَها وحَكَمْتَها)

بيان حكمة الموت:

هي قضية الإماتة والموت التي حَتَمها وحَكَمها علىٰ النفوس؛ لإيصالها إلىٰ غاياتها الذاتية والعرضية، ولأنّ الموت إن لم يُخلق لم تصل دورة الحياة والوجود الكوني الطبيعي إلينا، بل إلىٰ الدورات الأُخريات التي تكون بعدنا؛ إذ الممكنات غير متناهية، فلابدّ أن تنقضي وتموت دورة، حتىٰ تأتي وتحيا دورة أُخرىٰ؛ لأنّه لو بقيت أشخاص الناس والحيوانات بلا نهاية لكان السابقون قد أفنوا المادّة، التي منها التكون، فلم يبق لنا مادّة يمكن أن نوجد ونتكون منها، ولو بقيت لنا مادّة لم يبق لنا مكان ورزق.

وإن قلنا: نبقىٰ نحن والذين بعدنا علىٰ العدم دائماً، ويبقىٰ الأولون علىٰ الوجود أبداً، كان منافياً لحكمته تعالىٰ؛ إذ ليسوا بدوام الوجود أولىٰ منّا، بل العدالة الإلٰهية تقتضي أن يكون للكل حظّ ونصيب من الوجود والحياة، فوجب أن يموت السابق

Books.Rafed.net

ليكون لوجود اللاحق إمكان، فلذلك حَكَم وحَتَم علىٰ عباده بالموت والفناء.

والسبب الطبيعي للموت: انعدام الرطوبة الأصلية، ووقوف الغاذية عن شغلها، إذ القوىٰ الطبيعية متناهية التأثير والتأثر، فلابدّ لها من الوقوف، وبقاء الحرارة الغريزية الأصلية بلا مقاوم ومعادل، فيُهدم البدن، فتقطع النفس علاقتها عنه.

جان عزم رحيل كرد گفتم كه مرو گفتا چكنم خانه فرو ميايد

أو المراد بالقدرة: هي القدرة التي جعلها الله تعالىٰ في عباده، كما أنّ أحد أسمائه: (يا ربَّ القدرة في الأنام)(١) أي صاحب القدرة فيها.

وبالقضية: هي التكليف الذي حَكَمه وحَتَمه علىٰ العباد.

أو المراد: مطلق الحكم، تكوينياً كان أو تشريعياً.

وبالقدرة: جمع «القدر»، وكانت الألف واللام فيهما للاستغراق.

أو المراد بالقدرة: القدر، وبالقضية: القضاء، فإنّ الصور القضائية كلّها محكمة محتّمة لغلبة أحكام الوجوب عليها، ولكلّيتها لكونها العلم الفعلي لله تعالىٰ لا تُرَدّ ولا تبدّل.

(وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيهِ أجْرَيْتَها)

أي أجريت القدرة والقضية عليه.

فمن المعلوم أن مَن أُجري عليه قضاء الله وقدره ـ بأي معنًى كان القضاء والقدر ـ فهو مغلوب مضمحل، مستهلك تحت حكمه وقدرته تعالىٰ.

وغلبته: قهره، ومقهورية الأشياء في سطوع نوره وهيمان حضوره.

(١) «المصباح» للكفعمي، ص ٣٣٧.

Books.Rafed.net

(أنْ تَهَبَ لِي في هذِهِ الليلةِ وفِي هذهِ الساعَةِ)

ظاهر الليلة والساعة: لعلّها ليلة الجمعة، وساعتها التي تلا فيها هذا الدعاء الشريف، ومن المأثور تأكيد استحباب تلاوته في ليالي الجمعات.

وباطنها وتأويلها: هذا العالم برمّته وجملته، بل جميع العوالم في السلسلة النزولية؛ لأنَّ هذا العالم مختتم نوره تعالىٰ، ولهذا أطلق الله تعالىٰ علىٰ كلّ عالم من العوالم في السلسلة الصعودية اسم «اليوم» عليه، كما قال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾[1]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2]. وقال في مقام آخر: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3].

والمراد: اليوم الملكوتي، واليوم الجبروتي، واليوم اللاهوتي وهو يوم القيامة والطامة الكبرىٰ.

وسرّ تسمية العوالم في السلسلة النزولية بالليالي، وفي السلسلة الصعودية بالأيام، هو أنَّ اليوم عبارة عن بروز النور وظهوره وشدّته، والليل عبارة عن الظلمة والغسق وضعف النور وقلّته.

فإذا صدر الأمر ونزل من المبدأ إلىٰ هذا العالم، كأنّه بَعُدَ متدرّجاً عن مطلع شمس الحقيقة وأدبر عنه، فحين الوصول إلىٰ كلّ عالم كان ذلك العالم ليلاً بالنسبة إليه؛ إذ النور ضعيف بالإضافة إلىٰ عالم الفوق، إلىٰ أن يصل الأمر إلىٰ عالم المادّة، يعني عالمنا هذا، وهذا العالم لمّا كان عالم الظلمة والهيولىٰ، وكان قسطه من مطلق الكمال والنور قوة الكمال والنور، كان في غاية الانظلام والانعدام بالقياس إلىٰ العوالم الطولية، فكان ليلاً مظلماً، ولهذا قال المولوي رحمه الله:

---

(١) «إبراهيم» الآية: ٥.
(٢) «السجدة» الآية: ٥.
(٣) «المعارج» الآية: ٤.

Books.Rafed.net

در شب دنيا كـه مـحجوبست شـيد ناظر حق بـود و ز آن بـودش امـيد
چشم من ده برد شب خودرا شناخت جمله شب باروى ماهش عشق باخت

ثمّ إذا صعد الأمر في قوس الصعود إلىٰ الله تعالىٰ، كما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[١]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٢]، فحين الوصول إلىٰ كل عالم من العوامل المذكورة، كان ذلك العالم يوماً بالنسبة إلىٰ ما دونه، إذ النور فيه أبهر وأقهر، إلىٰ أن يصل إلىٰ يوم القيامة ـ ووقف عند الله تعالىٰ ـ وهو يوم الواحدية، كما تيسر هذا الوصول التام والبلوغ التـمام لسـيدنا وسـيد الكـونين: مـحمدﷺ وأوصيائهعليهم السلام، وذلك مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٣].

وقيل في وصفهﷺ:

دو سر خـط حـلقهٔ هسـتي در حقيقت برهم تو پيوستي

فعلىٰ ما عرفت من تأويل اليوم والليل، فكأنّ السائل أراد بقوله: (في هذه الليلة) هذا العالم، يعني: اغفر لي ذنوبي وخطيئاتي في الدنيا، حتىٰ أُجرّد منها ومن معاقبتك عليها يوم القيامة.

والمراد بالساعة في قوله: (وفي هذه السـاعة) مـجموع سـلسلة الزمـان، كـما قالﷺ: (الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة)[٤].

وقيل:

كشش سلسلة دهر بود آنى چند

(كُلَّ جُزْمٍ أَجْرَمْتُهُ)

---

(١) «فاطر» الآية: ١٠.
(٢) «الأعراف» الآية: ٢٩.
(٣) «النجم» الآية: ٩.
(٤) «بحار الأنوار» ج ٦٧، ص ٦٨.

Books.Rafed.net

أي كلّ ذنب أذنبته.

(وَكُلَّ ذَنْبٍ أذْنَبْتُهُ)

تفنن في العبارة، استقصاء لجميع الألفاظ التي استُعملت في الذنوب، ولعاً لغفرانه تعالىٰ جميعها.

(وَكُلَّ قَبِيحٍ أسْرَرْتُهُ)

أي أخفيته، وعملته في الخفاء عن أعين الناس.

(وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ)

أي كل جهل مركّب أو بسيط عملت بهما، وما اجتهدت في تعلّمه؛ غفلةً وغروراً.

(كَتَمْتُهُ)

من عيون الناس في عمله.

(أوْ أعْلَنْتُهُ)

أي عملته علىٰ رؤوس الأشهاد، وما استحييت منك ومنهم، كما قيل:

در مقاميكه كنى قصد گناه — گر كند كودكى از دورنگاه
شرم دارى ز گنه در گذرى — پردهٔ عصمت خودرا ندرى
شرم بادت ز خداوند جهان — كه بود واقف أسرار نهان
بر تو باشد نظرش بيگه وگاه — تو كنى در نظرش قصد گناه

Books.Rafed.net

(أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ)

أي بعدما عملت المعصية أخفيتها في نفسي، أو أظهرت عند عبادك فعلها، فلذلك سهل عليهم فعل المعاصي، وتجرأوا فيها، فصدر عنهم المعصية أيضاً.

(وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثباتِها الكِرامَ الكاتِبِينَ)

الضمير راجع إلىٰ السيّئة.

الكرام: جمع كريم، و(الكرام الكاتبين) هم الملائكة الذين كتبوا ما صدر عن الناس في الألواح العالية من صحائف الدهور الأربعة، وهم من جنود إسرافيل الذي هو أحد حوامل العرش، فيصورون الأفعال الحسنة علىٰ الصور المناسبة لها، ويضاعفون لها في التصويرات، ويصوّرون الأفعال السيئة علىٰ الصور المناسبة لها، ويقلّلون في التصويرات؛ ولهذا سُمّوا (الكرام الكاتبين).

ماهية الملائكة وحقيقتها

ثمّ إنّ الناس اختلفوا في ماهية الملائكة وحقيقتها، وذكر صدر المتألهين الشيرازي، في مفاتيح الغيب وجهَ ضبطٍ لأقوالهم، فلنذكره تبصرة للناظرين في هذا الشرح، فقال: «اعلم أنّ الناس اختلفوا في ماهية الملائكة وحقيقتها، وطريق الضبط أن يقال: إنّ الملائكة لابد وأن يكون لها ذوات قائمة بأنفسها في الجملة، ثم إنّ تلك الذوات إما أن تكون متحيزة أو لا تكون.

أما الأول ففيه أقوال:

أحدها: أنها أجسام لطيفة هوائية، تقدر علىٰ التشكل بأشكال مختلفة، مسكنها السماوات. وهو قول الظاهريين.

وثانيها: قول طوائف من عبدة الأصنام: أنّ الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب الموصوفة بالإنحاس والإسعاد، فإنها عندهم أحياء ناطقة، وأنّ السعدات

Books.Rafed.net

منها ملائكة الرحمة، والنحسات منها ملائكة العذاب.

وثالثها: قول معظم المجوس والثنوية، وهو أنّ هذا العالم مركب من أصلين أولين، وهما النور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شفافان قادران مختاران، متضادا النفس والصورة، مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضلٌ خيرٌ نقي، طيب الريح، كريم الأصل والنفس، يسر، ولا يضر وينفع، ولا يمنع، ويحيي ولا يبلى. وجوهر الظلمة علىٰ ضدّ ذلك في جميع هذه الصفات.

ثم إنّ جوهر النور لم يزل يولد الأولياء، وهم الملائكة، لا علىٰ سبيل التناكح، بل علىٰ سبيل تولد الحكمة من الحكيم، والضوء من المضيء، وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء، وهم الشياطين، علىٰ سبيل تولد السفه من السفيه، لا علىٰ سبيل التناكح. فهذه أقوال من جعل الملائكة أشياء متحيزّة.

وأما الثاني، وهو أن الملائكة ذوات قائمة بأنفسها، وليست بمتحيزة ولا بأجسام، فها هنا قولان:

أحدهما: قول النصارىٰ، وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها، المفارقة لأبدانها علىٰ نعت الصفاء والخيرة، وذلك لأن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين.

وثانيهما: قول الفلاسفة، وهو أنها جواهر قائمة بأنفسها ليست بمتحيزة، وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علماً، وأنها للنفوس البشرية جارية مجرىٰ الشمس بالنسبة إلىٰ الأضواء.

ثم إنّ هذه الجواهر علىٰ قسمين:

منها: ما هي بالنسبة إلىٰ أجرام الأفلاك والكواكب كالنفوس الناطقة بالنسبة إلىٰ أبداننا.

ومنها: ما هي أعلىٰ شأناً من تدبير أجرام الأفلاك، بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته مستقلة بطاعته. وهذا القسم هم الملائكة المقربون، ونسبتهم إلىٰ الملائكة

Books.Rafed.net

الذين يدبّرون السماوات كنسبة أُولئك المدبّرين إلىٰ نفوسنا الناطقة.

فهذان القسمان قد اتفق الفلاسفة علىٰ إثباتهما، ومنهم من أثبت نوعاً آخر من الملائكة، وهي الملائكة الأرضية المدبّرة لأحوال هذا العالم السفلي.

ثم إنّ مدبرات هذا العالم إن كانت خيّرة فهم الملائكة، وإن كانت شريرة فهم الشياطين، فهذا تفصيل المذاهب في الملائكة»[1] انتهىٰ.

وفي بعض الكتب الكلامية، قال صاحبه: «إنَّ الجواهر الغائبة عن الحواس الإنسانية إمّا أن تكون مؤثرة في الأجسام، أو مدبّرة للأجسام، أو لا تكون مؤثرة ولا مدبّرة لها.

والأول: هو العقول السماوية عند الحكماء، والملأ الأعلىٰ في عرف الشرع.

والثاني: ينقسم إلىٰ: علويّة تدبّر الأجرام الفلكية، وهي النفوس الفلكية عند الحكماء، والملائكة السماوية عند أهل الشرع.

وإلىٰ سفلية تدبّر عالم العناصر، وهي إمّا أن تكون مدبّرة للبسائط الأربعة: النار، والهواء، والماء، والأرض، وأنواع الكائنات، وهم يسمّون: ملائكة الأرض وإليهم أشار صاحب الوحي ﷺ وقال: (جاءني ملك البحار وملك الجبال وملك الأمطار وملك الأرزاق).

وإمّا أن تكون مدّبرة للأشخاص الجزئية، وتسمّىٰ نفوساً أرضية، كالنفوس الناطقة.

والثالث: وهي الجواهر الغائبة التي لا تكون مؤثرة ولا مدبّرة للأجسام، تنقسم إلىٰ: خيّرة بالذات، وهم الملائكة الكروبيون عند أهل الشرع، وإلىٰ شريرة بالذات، وهم الشياطين، وإلىٰ مستعد للخير والشرّ، وهم الجنّ»[2] انتهىٰ.

وقال صدر المتألهين السبزواري ﷺ: «اعلم أنّ المبادئ الفاعلة إما لا علاقة لها مع

---

(١) «مفاتيح الغيب» ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢) حكاه في «شرح الأسماء» ص ٧٠٧ ـ ٧٠٨، عن «الطوالع».

Books.Rafed.net

الأجسام، ولو علاقة التدبير، فهي الأنوار القاهرة، فإمّا مترتّبة وهي الطبقة الطولية من القواهر الأعلين، وإمّا متكافئة وهي الطبقة العرضية من القواهر الأدنين، وكلّهم مهيمون في مشاهدة جماله، عبّر عنهم القرآن الكريم بـ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾[1] و﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾[2].

وإمّا لها علاقة مع الأجسام، فكلّ منها إمّا مبدأ أفعالٍ مختلفة، وإمّا مبدأ فعلٍ واحد.

وعلىٰ كلّ واحد من التقديرين؛ إما مع الشعور، وإما عديم الشعور. فمبادئ الأفعال المختلفة بلا شعور هي النفوس النباتية، ومع الشعور الجزئي أو الكلّي هي النفوس الناطقة والنفوس الحيوانية الحساسة المتحرّكة.

ومبادئ الفعل الواحد الذي علىٰ وتيرة واحدة مع الشعور هي النفوس السماوية، ومبادئ الفعل الواحد بلا شعور إن لم يقوّم المحلّ هي المبادئ العرضية، وإن قوّمت؛ فإمّا في البسيط فهي الطبائع، وإما في المركّب فهي الصور النوعية.

فجميع تلك المبادئ ملائكة سماوية وملائكة أرضية، ولكن باعتبار جهاتها النورية، وباعتبار أنّها متدلّيات بالحقّ»[3] انتهىٰ.

وقال بعض العرفاء موافقاً بعض الأخبار: «إنّ لكلّ فرد من أفراد الإنسان ملكين موكلين به، وهما مَلَك العمّالة ومَلَك العلّامة، أحدهما حافظ الأعمال الصادرة عنه، والآخر حافظ الصور العلمية التي يكتسبها».

﴿الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي﴾

أي يوجد ويحصل منّي من الأفعال والأعمال.

---

(١) «الصافات» الآية: ١.
(٢) «النازعات» الآية: ٤.
(٣) «شرح الأسماء» ص ٧٠٥ ـ ٧٠٦.

Books.Rafed.net

(وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ)

جمع «شاهد»: وهو الحاضر المطّلع علىٰ الأمر، أو العالم به.

(مَعَ جَوارِحِي)

جمع «جارحة»، وهي العضو كما مرّ، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. وذلك لأنّ جميع الأعضاء والقوىٰ والمشاعر التي أنعم الله تعالىٰ بها علىٰ النفوس الإنسانية وجعل خوادمها ملائكةُ الله وأيديه الفعّالة، ولها جهات ووجوه إلىٰ الله وجهات إلىٰ النفوس، فجهاتها النورية شواهد ورقباء عند الله علىٰ جهاتها الظلمانية ووجوهها النفسانية.

(وَكُنْتَ أَنْتَ الرَقيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِم)

كقوله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[2].

يريد أنهم حجب جماله وجلاله تعالىٰ، وليس الوراء بمعنىٰ الخلف هنا، إذ (من حدّه تعالىٰ فقد عدّه)[3].

(وَالشاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ)

كالخواطر السيئة والنيّات الفاسدة الكاسدة التي لا يدركها الموكّلون، ويعلمها الله.

(وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ)

من الملائكة.

---

(١) «النور» الآية: ٢٤.

(٢) «البروج» الآية: ٢٠.

(٣) «نهج البلاغة» الخطبة: ١.

Books.Rafed.net

(وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ)

علىٰ الخلائق.

(وَأَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي)

معطوفة علىٰ قوله: (أن تهب لي).

التوفير: التكثير، من الوفور.

الحظّ: النصيب والقسمة.

(مِنْ كُلِّ خَيرٍ تُنْزِلُهُ)

من السماء إلىٰ الأرض.

(أوْ إحْسانٍ تُفْضِلُهُ)

تعطيه إلىٰ عبادك.

(أوْ برٍّ تَنْشِرُهُ)

علىٰ الخلق.

البر: الإحسان.

النشر: البثّ والاتساع في الشيء.

(أوْ رِزْقٍ تَبْسِطُهُ)

والرزق أعمّ من رزق البدن وقواه وآلاته وأدواته، ومن رزق النفس والقلب والروح، والسرّ والخفي والأخفىٰ، فجميعها مرزوقة من الله، بلا وهن وفترة وتجوّز،

Books.Rafed.net

بل لكلٍّ رزق مخصوص معيّن، كما مرّ في أوائل الشرح.

بسط الرزق: انتشاره واتساعه.

(أوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ)

أي توفّر حظي في المغفرة أيضاً، بأن تغفر ذنوبي علىٰ أسرع الحال، من دون أن يعثر عليه أحد، وتوفّقني لترك الذنب بعد الغفران.

(أوْ خَطأٍ تَسْتِرُهُ)

الخطأ: ضدّ الصواب، وهو أعمّ من الخطأ في العلم أو في العمل.

(يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ)

منادىٰ بحذف ياء المتكلم وإبقاء الكسر، دليلاً علىٰ حذفها.

(يا إلٰهي وسَيِّدي وَمَوْلايَ ومَالِكَ رِقِّي)

الرِقّ: العبدية ـ بكسر الراء ـ خلاف الحرية.

(يا مَن بيده ناصيتي)

الناصية: شعر مقدّم الرأس فوق الجبهة، والمراد بها هنا وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[1]: المهجة، أي مهجتي بيد قدرته.

---

(١) «هود» الآية: ٥٦.

Books.Rafed.net

(يا عَلِيماً بِضُرِّي وَمَسْكَنَتِي)

قد مرّ معنىٰ الضرّ والمسكنة.

(يا خَبِيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي)

نصب المنادىٰ فيهما علىٰ أنّه نكرة في اللفظ لا في المعنىٰ.

و«الخبير» من أسمائه تعالىٰ، وهو بمعنىٰ العالم بما كان وما يكون، لا يعزب عنه شيء ولا يفوته أحد؛ إذ قد مرّ أن علمه تعالىٰ فعلي حضوري، وهو وجودات الأشياء وحضورها عنده تعالىٰ، فكيف يعزب عن علمه شيء أو يفوته أحد؟!

(يا ربِّ يا ربِّ أسْأَلُكَ بِحَقِّكَ)

علىٰ ذاتك وعلىٰ عبادك.

(وَقُدْسِكَ)

وبحقّ قدسك وتنزّهك.

(وَأَعْظَمِ صِفاتِكَ وَأَسْمائِكَ)

وبحقّ أعظم صفاتك، وهو صفة الرحمانية والرازقية التي كانت مسبوقة بالعلم والحياة والقدرة والإرادة.

بيان أعظم الصفات

وقيل: أعظم صفاته القيّومية؛ لأن جميع صفاته الإضافية ترجع إليها، كالعالم والقادر والخالق والرازق وغيرها.

وقيل: أعظم صفاته هو صفة وجوب الوجود، إذ جميع الصفات الحقيقية ترجع

Books.Rafed.net

إليها، وهو ـ أي وجوب الوجود ـ تأكّد الوجود وشدّة النورية، والصفات الحقيقية هي الصفات المحضة كالوجوب والحياة ومبادئ الصفات الإضافية، كالعلم فإنه مبدأ صفة العالمية، والقدرة فإنها مبدأ صفة القادرية، والإرادة فإنها مبدأ صفة المريدية، جميعها عين ذاته تعالىٰ وليست زائدة علىٰ ذاته كما زعمته الأشاعرة[١]، وإلّا يلزم تعدد القدماء، ولا الذات نائبة منابها كما زعمته المعتزلة[٢]؛ لأن حقيقة الصفات فيه تعالىٰ ولا يصح سلبها عنه؛ إذ كما مرّ في القدرة للصفات مراتب، ومرتبة منها ذات مستقلة واجبة.

والبرهان علىٰ عينية الصفة الحقيقية ومبادئ الصفات الإضافية كما قال الحكماء[٣] العظام: أنه لو لم تكن عين الذات يلزم أن تكون ذاته تعالىٰ من جهة واحدة فاعلة وقابلة، وهو محال، ولم يكن بذاته مستحقاً لحمل «عالم» و«قادر» و«خالق» وغيرها، بل يكون عالماً بالعلم وقادراً بالقدرة، وهكذا.

وبيان الملازمة: أنه علىٰ تقدير الزيادة كان ذاته في مرتبة ذاته عارية عن الكمال، فكان له إمكانه، والإمكان إذا كان موضوعه أمراً تعمّلياً كالماهية من حيث هي كان ذاتياً، وأما إذا كان أمراً واقعياً كالمادة كان استعدادياً، والموضوع هنا عين الوجود الصرف.

فالخلوّ عن الكمال ليس بمجرّد كما في الماهية، بل أمر واقعي، فالإمكان استعدادي، وحامل الاستعداد والقوة مادة، والمادة تلازم الصورة، والمركب من المادة والصورة جسم، تعالىٰ عن الجسمية علوّاً كبيراً. والأحاديث في هذا الباب ـ أي عدم الزيادة ـ كثيرة.

(أَنْ تَجْعَلَ أَوْقاتِي فِي اللَّيلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً)

---

(١) انظر «شرح المواقف» ج ٨، ص ٤٤.

(٢) انظر «شرح المقاصد» ج ٤، ص ٦٩، ٨٦.

(٣) انظر: «شرح المواقف» ج ٨، ص ٤٧.

Books.Rafed.net

قال تعالىٰ في القدسي لموسىٰ ﷺ: (يا موسىٰ اذكرني، فإنّ ذكري حسن علىٰ كلّ حال) أي علىٰ كل الأحوال والأوضاع، قائماً كان أو قاعداً، راكعاً كان الذاكر أو ساجداً، مستلقياً كان أو منبطحاً أو مضطجعاً، وسواء كان الذاكر علىٰ الطهارة أو علىٰ القذارة، في المسجد كان أو في الحمام، والسوق أو في الخلاء والملاء، ففي كل حال ذكره مستحسن، ولذا قال تعالىٰ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾[1].

وقد ذكر في مواضع من القرآن ذكره تعالىٰ مقروناً بلفظ الكثرة، وأمر عباده بكثرة التذكر، إشعاراً بأنّ كثرة تذكّره يطرد الشيطان عن نفس الإنسان، ويقرّبه إلىٰ الرحمن، كما قال المولوي ﷺ في المثنوي:

ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد ... رخت بربندد برون آيد پليد

المعمورة: خلاف الخروبة.

(وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً)

أي تجعل أوقاتي في الليل والنهار بخدمتك موصولة ومتصلة، كقول الشاعر:

ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الأسناد بالأسنادِ

أي متصلة الأسناد، بحيث لم يفصل بين أكابره غير الوزير أحد.

(وَأَعْمالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً)

يريد: أن توفقني لأن أعمل عملاً تقبله في الغابر، فخير الأعمال وأحسنها وأشرفها طاعة الله تعالىٰ، فإنها جُنّة ووقاية من امتساس النيران، كما ورد: (إن طاعة الله حرز من أوار نيران موقدة) وفي الحديث أيضاً: (ما من صلاة يحضر وقتها إلّا ونادىٰ ملك بين يدي الناس: قوموا إلىٰ نيرانكم التي أوقدتموها وراء ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم).

(١) «الأحزاب» الآية: ٣٥.

Books.Rafed.net

(حَتّىٰ تَكُونَ أعْمِالي وَأوْرادِي كُلُّها وِرْداً واحِداً)

الوِرد ـ بالكسر ـ الخير، والجمع: أوراد.

(وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً)

السرمد ـ كفرقد ـ : الدائم المستمر الذي لا ينقطع.

(يَا سَيِّدِي يا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلِي)

أي معتمدي، مصدر ميمي من التعويل، كما قال الشاعر:

فيا رب هل إلّا بك النصر يرتجىٰ عليهم وهل إلّا عليك المعوّل

أي الاعتماد.

(يامَنْ إليهِ)

لا إلىٰ غيره.

(شَكَوْتُ أحْوالِي)

قد مرّ الكلام في الشكوىٰ.

(يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ، قوِّ)

أمرٌ من التقوية.

(عَلَىٰ خِدْمَتِكَ جَوارِحِي، وَاشْدُدْ)

أمرٌ من: شدّه يشدّه، إذا قوّاه.

Books.Rafed.net

(عَلَىٰ العَزِيمَةِ جَوانِحِي)

العزيمة: القصد علىٰ الفعل أو ما قبله.

واعلم أنّ الإنسان إذا أراد أن يفعل أمراً يتصوّره أولاً، ثم يصدّق بفائدته تصديقاً ظنياً أو تخيّلياً أو يقينياً، أنّ فيه منفعة أو محمدة أو صلاحاً، وبالجملة: خيراً ما من الخيرات بالقياس إلىٰ جوهر ذاته، فينعبث من القوة الشوقية لذلك شوق إلىٰ ذلك الأمر، ويصير الشوق بعد الجزم عزماً وعزيمة، وإذا حصل العزم يصير قصداً، فالقصد كان الجزء الأخير الذي لا يتخلف عنه التحرك والفعل، فالعزيمة ما قبل القصد.

ولعل السائل لم يفرق بينهما وأراد منها القصد.

والجوانح: جمع الجانحة، وهي الضلع مما يلي الصدر.

(وَهَبْ لِيَ الجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ)

أي أعطني الجِدّ، وهو بالكسر: الاجتهاد في الأمر، خلاف التقصير.

الخشية والخوف بمعنىً واحد.

يريد السائل: أعطني توفيق تحصيل العلوم والمعارف، وقضاء الطاعات حقها، حتىٰ يحصل لي حق خشيتك، إذ بالعلم والعمل يحصل الخشية من الله تعالىٰ كما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

وفي الحديث: (أعلمكم بالله أخشاكم من الله).

وفي دعاء الصباح: (من ذا يعرف قدرتك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما أنت فلا يهابك).

(وَالدَّوامُ في الاتّصالِ بِخِدْمَتِكَ)

أي هب لي المداومة في خدمتك، يعني: وفقني لأن أصرف جميع عمري في

---

(١) «فاطر» الآية: ٢٨.

Books.Rafed.net

العبادة. والباء بمعنىٰ: في.

(حَتّىٰ أسْرَحَ إلَيْكَ في مَيادِينِ السّابِقِينَ)

أسرح: أي أسير وأمشي إلىٰ طلبك وطلب القربة عندك، بالتخلق بأخلاقك، والاتصاف بصفاتك، إذ ليس القرب منه تعالىٰ بالقرب الذاتي والزماني والمكاني؛ ولا القرب الرتبي؛ لأن جميع تلك القربات ما يتحقق بين شيئين أصليين، لا بين شيئين أحدهما هو الشيء بحقيقة الشيئية ووجوبها وتأكدها، والآخر هو الشيء بمجاز الشيئية وضعفها وإمكانها، كما في الحق تعالىٰ ومخلوقه، فإن اثنينيتهما كاثنينية العكس مع العاكس، والنور مع الظل والفيء.

ومعلوم أن العكس والظل والفيء ليست أشياء علىٰ حيالها، بل وجودها بوجود العاكس والنور.

ميادين: جمع «ميدان»، وهو مكان التحرك والجولان، ماد الشيء يميد ميداً ـ من باب باع ـ وميداناً، إذا تحرك.

ومنه قول الشاعر:

دنياك ميدان وأنت بظهرها ... كرة وأسباب القضاء صوالج
سبق الكرام إلىٰ مواطن عزّهم ... ويبقى لئام نُكّس وفوالج
ما بالنا كنّا سقاماً في الهوىٰ ... ونجيبنا سفن النجاة عوالج

أراد أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنهم سفن النجاة وسفّان السفينة، كما قال صلى الله عليه وآله: (مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من تمسك بهم نجا، ومن تخلّف عنهم غرق).

والمراد بالسابقين: هم الأنبياء والأوصياء الذين ساروا إلىٰ الله تعالىٰ من الدنيا كالبرق الخاطف، كما ورد: أنّ من النفوس يمرّون علىٰ الصراط كالبرق الخاطف.

وقال صلى الله عليه وآله: (سيروا فقد سبق المفرّدون) وقال: (جزناها وهي خامدة).

Books.Rafed.net

(وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فِي المُبادِرِينَ)

السرعة: نقيض البطء، يقال: عجبت من سرعة فلان، أي من عجلته، وفلان أسرعَ في السير: أي خَفَّ.

المبادرة: المسابقة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾[1].

والمبادرين: المسابقين في العلم والعمل، وهم الذين سبقت من الله فيهم الحسنىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[2].

(وَأَشْتاقَ إِلىٰ قُرْبِكَ فِي المُشْتاقِينَ)

أي حتىٰ أشتاق.

الاشتياق: منازعة النفس إلىٰ الشيء.

والفرق بين الشوق والعشق: أن الشوق وجدان وفقدان، بخلاف العشق، فإنه تأكد ميل النفس إلىٰ الشيء المحبوب.

وعن الغزالي: معنىٰ كون الشيء محبوباً هو ميل النفس إليه، فإن قوي الميل سُمّي عشقاً.

وقال جالينوس: العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد، فالسائل المشتاق إلىٰ الله تعالىٰ حصل له من القرب شيء، ويطلب أشياء أُخر لم تحصل له بعد.

(وَأَدْنُو مِنْكَ دُنُوَّ المُخْلِصِينَ)

أي أقرب منك نوع قرب المخلصين.

المخلص ـ بكسر اللام ـ : من أخلص لله في العلم والعمل والمحبة والعشق،

---

(١) «النساء» الآية: ٦.

(٢) «آل عمران» الآية: ١٣٣.

Books.Rafed.net

وبالفتح: هو من أفنىٰ نفسه في محبة الله وعشقه. ولعل الثاني مراد السائل، لأنه لم يحصل له بُعدٌ يطلبه من الله تعالىٰ أن يرزقه.

(وَأخَافَكَ مَخافَةَ المُوقِنِينَ)

الموقن: من أيقن بالله، سواء كان بالعلم والبرهان، أو بالشهود أو العيان، وبالتحقق بحقيقة الإيمان.

والإيقان: المصدر للنوع، أي نوع مخافة الموقنين.

(وَأجْتَمِعَ فِي جِوارِكَ مَعَ المُؤْمِنِينَ)

الجوار ـ بالكسر ـ: مصدر جاورت فلاناً، إذا لاصقته في المسكن.

وهنا المراد: جوار عباده تعالىٰ وأوليائه؛ إذ مجاورتهم مجاورة الله تعالىٰ، كما في حديث العامة: من أراد أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف.

قال المولوي في الحديث القدسي الذي قال تعالىٰ: (يا موسىٰ إنّي مرضت ولم تعدني):

آمد از حق سوس موسى اين عتب	كى طلوع ماه ديده تو ز حبيب
شرقت كردم ز نور ايزدي	من حقم ونجور كشتم نامدى
كفت سبحانا تو پاكى از زيان	اين چه وفر است اين بكن يا رب بيان
باز فرمودش كه در رنجوريم	چون نپرسيدى تو از روى كرم
كفت يا رب نيست نقصانى تورا	عقل كم شد اين سخن را بركشا
كفت ارى بندهٔ خاص كزين	كشت ونجورا و منم نيكو[...]
هست معذورش معذورى من	هست رنجوريش رنجورى من
هر كه خواهد همنشيني باخدا	تا نشينيد در حضور أوليا

Books.Rafed.net

از حـــضور اوليـــا كـــر يكســـلى تو هلاكى ز آنكه جـز وى بـى كـلى
هـــر كس اد يـــو از كـــريمان وابـرد بـــيسرش يـــابد ســـرش را وابـــرد

(اللهمَّ وَمَنْ أرادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ)

الإرادة هنا: القصد علىٰ الفعل، لا بمعنىٰ المشيئة والمحبة، أي مَن قصد إليّ بالسوء والخيانة فأرده واقصده به.

(وَمَنْ كادنَي)

بالسوء والأذىٰ.

(فَكِدْهُ)

كلاهما فعل المقاربة، أي مَن قرب منّي بسوء فاقرب منه بالجزاء والمكافاة، لأني قد فوضت أمري إليك، وأنت بصير بعبادك، عليم بأقوالهم وأفعالهم، خبير بنياتهم وأحوالهم.

(وَاجْعَلْنِي مِنْ أحَسْن عِبادِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ)

أحسن عباده تعالىٰ وأكرمهم: هو المتقي بتقوىٰ الأخص، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

وإنما قلنا: تقوىٰ الأخص، إذ مراتب التقىٰ كمراتب التوبة، ثلاثة: تقوىٰ العام، وتقوىٰ الخاص، وتقوىٰ الأخص.

الأول: هو الاجتناب عن المحرمات، وهو تقوىٰ العوام.

---

(١) «الحجرات» الآية: ١٣.

Books.Rafed.net

والثاني: هو الاجتناب عن الحلال، إلّا بقدر الذريعة والبلغة إلىٰ الآخرة، وهو تقوىٰ الخواص.

والثالث: هو الاجتناب عمّا سوىٰ الله، وهو تقوىٰ الأخصين الذين قسطهم وقسمتهم من الله تعالىٰ هو حق اليقين.

(وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ)

أي أقربهم درجة عندك.

والمنزلة: هي مقام النزول.

(وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ)

الزلفة والزلفىٰ: القربىٰ والمنزلة عنده تعالىٰ.

(فإنَّهُ)

أي أحسن عبادك وأقربهم وأخصهم.

(لا يُنالُ ذٰلِكَ)

النصيب والمنزلة والزلفة.

النيل: الوصول إلىٰ الشيء.

(إلّا بِفَضْلِكَ)

وموهبتك.

ما بدان مقصد عالی نتوانیم رسید هم مگر لطف شما پیش نهد گامی چند

Books.Rafed.net

(وَجُدْ لِيْ بِجُودِكَ وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ)

المجد: هو الشرف الواسع المنيع عند العرب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[1].

العطوفة: الشفقة.

(وَاحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِسانِي بِذِكْرِكَ لَهِجاً)

أي ناطقاً، مولعاً في التنطق بذكرك.

(وَقَلْبي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً)

أي عاشقاً متذّللاً.

(وَمُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إجابَتِكَ)

أمرٌ من المنّة، أي أنعم عليّ.

وحسن الإجابة: سرعة قضاء الحاجات، واستيفاء جميع المسألات، وإعطاء الجميع إلىٰ السائل.

(وَأَقِلْني عَثْرَتِي)

أي أزل عنّي ذنوبي واعفها منّي، من الإقالة.

(وَاغْفِرْ لِي زَلَّتي)

أي خطيئتي، من: زلّ قدمه وزلّت، إذا زلقت.

المراد هنا: الذنب.

(فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَىٰ عِبادِكَ بِعِبادَتِكَ)

الفاء للسببية.

ومراد السائل: أنّ ما صار سبباً لدعواتي ومسألاتي واستدعيت قضاءها عن الله

---

(١) «البروج» الآية: ٢١.

Books.Rafed.net

تعالىٰ، وهو حكمه علىٰ عباده بعبادته وطاعته، كما قال في كتابه المجيد: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[١] وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ﴾[٢] وقال: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٣]

(وَامَرْتَهُمْ بِدُعائِكَ)

كما قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤].

(وَضَمِنْتَ لَهُمُ الإجابَةَ)

كما قال المولوي ﴿رحمه الله﴾:

گفت حق گر فاسقى واهل صنم   چون مرا خوانى اجابتها كنم

الضمانة: الكفالة.

(فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهِي)

تقديم الظرف لقصد الحصر، أي إليك لا إلىٰ غيرك.

والنصب: الاستقامة، وهنا المراد: ارتفاع اليدين، ومحاذاة الوجه إلىٰ السماء حين الدعاء، كما قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[٥] أي إذا فرغت عن الصلاة فانصب إلىٰ ربكّ في الدعاء.

(وَإِلَيْكَ مَدَدْتُ يَدِي)

مددت: أي بسطت ورفعت، قدّم الظرف أيضاً للحصر.

---

(١) «الاسراء» الآية: ٢٣. (٢) «البينة» الآية: ٥.

(٣) «يس» الآية: ٦١. (٤) «غافر» الآية: ٦٠.

(٥) «الشرح» الآية: ٧.

Books.Rafed.net

(فَبِعِزَّتِكَ اسْتَجِبْ لِي دُعائِي)

الباء للقسم.

(وَبَلِغْنِي مُنايَ)

أي أوصلني إلىٰ مناي، بالحذف والإيصال، كقوله تعالىٰ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[1] أي من قومه سبعين.

(وَلا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجائي، وَاكْفِنِي شَرَّ الجِنِّ والإنسِ مِنْ أعْدائِي)

اكفني: أي اغنني عن شرّهم، وادفع شرهم إليهم.

الشر عدمي هو ـ كما مرّ ـ عدم ذات، أو عدم كمال لذات، وهو مجعول في القضاء الإلٰهي بالعرض.

(يَا سَرِيعَ الرِّضا)

الرضا: ضد السخط والكراهة، وهو تعالىٰ سريع الرضا، لأنه يرضىٰ من عباده باليسير، ويعفو عنهم الكثير، ويعطيهم الجزيل والخطير.

(اغْفِرْ لِمَنْ لا يَمْلِكُ إلّا الدُّعاءَ)

أي لا يملك شيئاً من الوجود وكمالات الوجود إلّا الدعاء، ولكن إن أمعن النظر في الحقيقة ليس العبد مالكاً للدعاء أيضاً، كما قال المولوي:

أي دعا از تو اجابت هم ز تو — ايمنى از تو مهايت هم ز تو
چون خدا خواهد كه غفارى كند — ميل بنده جانب زارى كند

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٥٥.

Books.Rafed.net

(فَإنَّكَ فُعّالٌ لِما تَشاءُ)

أي أنت تفعل ما تشاء وما تريد، بمحض الإرادة والمشيئة، لا حالة منتظرة لجنابه تعالىٰ، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1].

(يَا مَن اسْمُهُ دَواءٌ)

لكل داء وبلاء.

(وَذِكْرُهُ شِفاءٌ)

لكل ألم وسقم ومرض مزمن، قد أعيت الأطباء وآيسوا عن معالجته.

(وَطاعَتُهُ غَناءٌ)

عن الخلق.

والغَناء ـ بالفتح والمد ـ: الكفاية.

وفي الحديث: (من يستغن بالله وعطائه يغنه الله) أي يخلق في قلبه غنىٰ.

(ارْحَمْ مَنْ رَأسُ مالِهِ الرَّجاءُ وسِلاحُهُ البُكاءُ)

السلاح ـ بالكسر ـ: هو ما يقاتل به في الحرب ويدافع، والجمع: أسلحة.

(يَا سابِغَ النِّعَمِ)

أي كاملها وتامها وواسعها.

---

(١) «يس» الآية: ٨٢.

Books.Rafed.net

(يَا دافِعَ النِّقَمِ)

ومزيلها.

(يَا نُورَ المُسْتَوْحِشِينَ فِي الظُّلَمِ)

الظُّلَم: جمع الظلمة، وهي الغسق.

المستوحش: القاعد في الخلوات، من الوحشة وهي الخلوة، وإن عُمّم لفظ «المستوحش» فيشتمل الأجنة التي في غواسق الأرحام، والواقفين في ظلمات الأوهام، والسائرين في الأسفار وفي الليالي المظلمة والطرق المدلهمة، وهو تعالىٰ نور جميعهم.

(يَا عالِماً لا يُعَلَّمُ)

من التعليم، أي غير معلّم من أحدٍ.

(صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ)

وأنت أهل التقوىٰ والمغفرة.

وشكراً للرب وللوالدين

انتهينا من العمل في هذا الكتاب نهاية ربيع الأول ١٤٢٤ هـ.

مصطفىٰ الشيخ عبد الحميد الشيخ منصور آل مرهون

Books.Rafed.net

الفهرس

رواية كميل بن زياد ٧
دعاء كميل ٩
المدخل ١٥
بيان مراتب الوجود..... ٢٢
أقسامِ الرحمة ٢٢
بيان أرزاق الموجودات..... ٢٤
بيان القوىٰ العشر الظاهرة والباطنة .. ٢٥
بيان انشعاب العقل إلىٰ أربع قوى ... ٢٥
وجه تسمية عالم العقول بالجبروت.. ٢٧
وجه تسمية عالم الأسماء والصفات باللاهوت..... ٢٧
وجه تسمية عالم المثال بالملكوت.. ٢٨
وجه تسمية عالم الأجسام بالناسوت. ٢٨
أفعال الله الحسية وفيه ذكر بيان معاني العرش..... ٣١
بيان مقدار عظم الكواكب الثابتة والسّيارة..... ٣٢
بيان أفعال الله المعنوية ٣٢
أسماء الصّفات ٣٨
بيان أقسام ثلاثة لأسماء الله تعالىٰ .. ٣٨
بيان أقسام أربعة لأسمائه تعالىٰ.... ٣٩
الأول: اسم الذات فقط ٣٩
الثاني: أسماء الذات مع إضافة ٣٩
الثالث أسماء الذات باعتبار سلب الغير عنه..... ٤٠
الرابع أسماء الذات مع الإضافة والسّلب..... ٤٠
تحقيق معنىٰ الاسم..... ٤٠
نقل كلام المحقّق السبزواري ٤١
نقل كلام المحقّق السبزواري في شرح الحديث المذكور:..... ٤٣
تحقيق معنىٰ العلم، وأنَّ أي قسم منه لائق به تعالىٰ..... ٤٩
الفرق بين النور والضياء ٥٢
بيان قسمي النور الحسّي والمعنوي .. ٥٤
بيان فروق كثيرة بين النورين الحسّي والمعنويّ ٥٤
بيان ثلاثة أقسام للحياة ٥٥
أولها: الحياة العامة. . . . ٥٥ ثانيها الحياة الخاصّة ٥٥
ثالثها: الحياة الأخصّ ٥٥
بيان أقسام الموت الاختياري: ٥٦
نقل كلام شيخ الاشراقيّين ٥٧
نقل كلام المحقّق السبزواري ٦٣
الذنوب والكبائر..... ٦٣
نقل الأقوال في تعيين الكبيرة..... ٦٣
بيان العصمة ٦٥
بيان ما يترتب علىٰ الذنوب..... ٦٨
الذنوب المغيرة للنعم..... ٦٩
بيان الذنوب المغيّرة للنعم ٧٠
بيان الذنوب الحابسة لغيث السماء .. ٧١
بيان الذنوب المنزلة للبلاء: ٧٤
الذنوب القاطعة للرجاء ٧٥
الفرق بين الذنب والخطيئة..... ٧٥

Books.Rafed.net

بيان المراد من الذكر..... ٧٦
البحث في الشفاعة..... ٧٩
نقل كلام المحقّق السبزواري ٧٩
بيان أقسام الخواطر ٨٤
مراتب الإيمان والمعرفة..... ٩٣
نقل كلام المحقّق الطوسي في مراتب المعرفة..... ٩٣
بيان ما قيل في معنىٰ المكر والتردّد من الله تعالىٰ..... ٩٥
بيان معنىٰ الأمر التكويني والأمر التشريعي ٩٥
بيان ما قيل في معنىٰ قدرته..... ٩٦
نقل كلام أفلاطون الإلهي ٩٨
بيان الجهل البسيط والمركّب ١٠٤
تعريف النفس وبيان مراتبها الخمسة ١١٢
النفس الأمّارة..... ١١٢
النفس اللوّامة ١١٢
النفس المسوّلة ١١٢
النفس الملهمة..... ١١٣
النفس المطمئنّة..... ١١٣
بيان أقسام أربعة للنّفس..... ١١٤
النّفس النباتيّة ١١٥
النّفس الحيوانيّة..... ١١٥
النّفس النّاطقة ١١٥
النّفس الإلهيّة ١١٥
بيان حركات النطفة في الرحم ودورانها..... ١١٥
الدور المعدني..... ١١٧
الدور النباتي..... ١١٧
الدور الحيواني ١١٧
الدورة الإنسانية..... ١١٨
معنىٰ خيانة النفس..... ١٢٠
نقل كلام الغزالي ١٢٠
بيان معنىٰ الحكم..... ١٢٦
التحسين والتقبيح العقليان والشرعيان..... ١٢٧
بيان معاني القضاء..... ١٣٠
النسبة بين الأحدية والواحدية ١٤٠
برهان أحديته وواحديته تعالىٰ.... ١٤١
في الاستدلال علىٰ توحيده تعالىٰ:. ١٤٢
مراتب التوحيد: ١٤٩
أنواع العبادة وحقيقتها..... ١٥٠
نقل كلام ابن هشام في بيان لفظ كذا..... ١٥٢
معنىٰ الظن ١٥٣
بيان حشر أصناف الخلق ١٥٥
سبب البكاء:..... ١٦٠
معنىٰ الشر والألم..... ١٦١
معني الولي والإيمان ومراتبه ١٦٦
أقسام الكفر:..... ١٧٥
معنى القدرة:..... ١٧٧
بيان حكمة الموت: ١٧٨
ماهية الملائكة وحقيقتها..... ١٨٣
بيان أعظم الصفات..... ١٩٠

Books.Rafed.net